شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة جامعة برنستون

مخطوطة

رسائل ابن العميد الكاتب

المؤلف

مجهول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

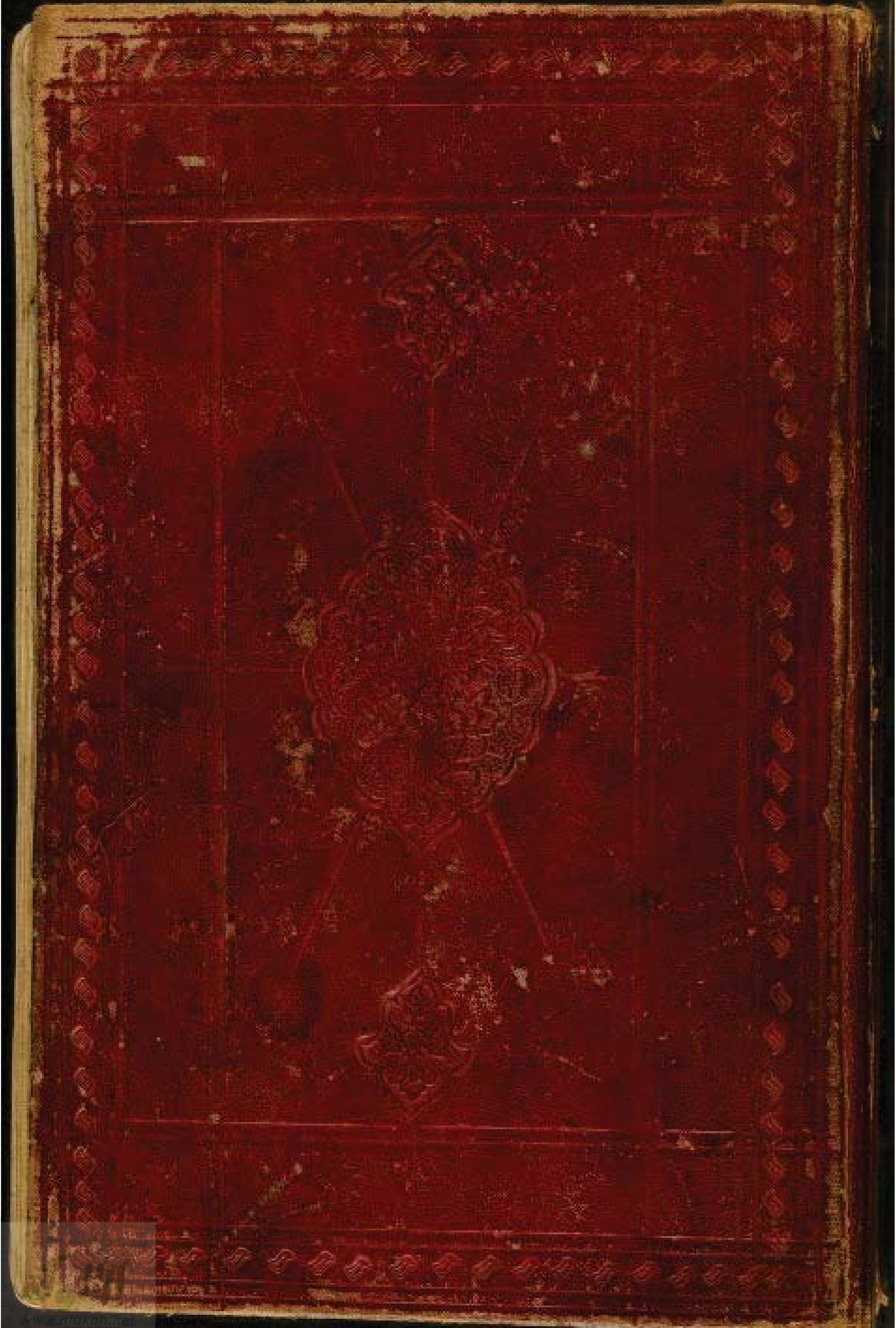

طوله وعرضه الا فتر يجمع الى الضيق نتنا والى الخراب بردا لولا ان تحله فاقة
اوسع منها نقير نواة . ويعوض عنها افحص قطاة . ومجلس اضيق من كفة حابل
واحرج من صدر الباخل . واجدب من الزمن الماحل . واوحش من زوال ظل حيطانه
سحيقة وجدرانه منثلمة . والبواري فوقه منقوضة . والسواري حوله مائلة وحشة
وبابه مرقع . ودخلي فيه مضيع . ان وقعت على سطحه قطرة تداعت جوانبه . وان
غاثت السماء سالت مرازبه . فكلما يبتدي بوكفه . اتترس تحت سقفه
وكلما يؤذيني ترابه . استتر خلف بابه . فكان سقفه شيخ فوقي يبكي مجنون
او عذري تذكر ايام البعد . او اديب يبكي شجوا من قساوة زمانه . او غريب
استهل حنينا الى اوطانه . او ثكلى اصيبت بانجب اولادها . او سحابة
صابت لوجه عهادها . وانا مع هذه المحن قاعد على حالة تقي الابصار والجفا
وعايم في الماء ابترص في الدواير . واخاف على البيت كل ساعة من رقة
قلبه ان يسجد . ولا امن على قيد ان اجمد .

من كان بالخير مخبوا تصرفه . فقد ضمنت اموري كلها بجري

ولو جرى امري ادام الله تمكين مولاي الشيخ في هذه الايام . على سنن النظام
والاستواء . ولم تذكر في هذا الشتاء حرفة الادباء . لما خلوت كل يوم من
مباكرة الخمار . ومعاقرة العقار . ومناغات الاوتار . ومباينة الوقار
ومنادمة الاحرار . ومناشدة الاشعار . ومذاكرة الاخبار . فان تضييع العمر
في مثل هذه الاوقات الطيبة خصوصا في مثل هذه البلدة المخصبة . واهمال
العرض في مثل هذا المكان مع قليل الامكان . مما ليس لمواضيها رجوع
ولا لهواديها طلوع شعر كن مع الوقت لا تضيع زمانا . ان مضى ما له رجوع
ولكني بحول الله حيث ما زلت اعثر في الخطوب . واينما كنت في يد
المغلوب . ومولاي الشيخ ادام الله تمهيده ولي التفضل بانصافي من
خلف العامل المتخلف عن كل فضيلة . والمتقدم الى كل رذيلة . فاني
في عينه كالوحشي مجانز في عين اليتيم . بل كالعايد الثقيل في عين السقيم
بل كملك الموت في عين الكافر . وقد ختم عمره بالخيانة . والامر بالترسيم
عليه ومطالبته بباقي مال لديه . فانه يقدره حتى ويقتره . كانني صبي
في حجره . اوسعه في حجره . فكانما يواسيني بصدقته . او يبرني بنفقته
وارجو الله ان يخفف شوم رفقته بصفقته . ويخلصني من عاديته وبايقته .

٤٠

شبكة الألوكة
www.alukah.net

[illegible]

ولنطقت بلسان سحبان وائل • ولضربت بصمصامة عمرو ولطعنت
برمح عامر • ولبطشت بيدي قاهر قادر • ولاريته من الشعوذة بابا
لو حضرته سحرة فرعون لخروا له سجدا • ولو نشر لها هاروت وماروت لعكفا على
عبادتها سرمدا • ولو رآها الملائكة لحاروا وكبارا لها واستعظاما • ولو رأت
الحكماء لاتخذوها لهم قدوة وإماما • ولكن لي قلبا ثابتا لا تحرك الحوادث
سكونه • وحلما ابحلما يكاد يذبل يذبل دونه • وصبرا لا يتزلزل بجزع بساحته • ولا ما
يتعجب الدهر من رزانته ورجاحته • فإن أسكت فعن خلق حميد ۞
عرفت به كريما لا لئيما • فلا يغررك طول تحاملي • فأيقنا نصافيه حليما ۞
فليستدرك الشيخ أدام الله عزه ما فات من التقصير والاقتصار • ولا
يطويني في أدراج الإهمال • ولا يأخذني على طريق الإغفال • ولا ينقض ما
كان أبرمه من عقده • ولا يخفر ما عاهد عليه من وثيق عهده • ولا يسلبني
برد عز أصلي حوكها • ولا يحوجني إلى مبايعة أزرق شرها • وليعد في ناصرا
لا يستطيع الزمان طعنا في أسباب حزمه • ونادرا لا يسطو الشيطان بنار
عزمه • وساترا لا يخاف يوم عضاره عثارا • وثائرا لا يخشى عند الانتصار
اقتصارا وانكسارا • إن شاء الله

الى الوزير في الشكاية من بعد جاريه وعكره على جبل الباديه

شرع الكرام أطال الله بقاء مولاي الوزير
عذب • وفناؤهم رحب • ورب الصنيعة عندهم مستحب • والفطام عن عاداتهم
لكريم صعب • وقد كان جرى شريف عادته لا أخلاه الله من عوايد إحسانه
ولا حرمه التوفيق في سره وإعلانه • في الأعوام الماضية • والأيام الخالية • بالإنعام
علي • وتحصيل جاري من دواوين لم يكن لي فيها تصرف وإيصاله إلي • وما لي من
استخراجه • هذا وكانت الأوقات عكرة قذرة • والمعرفة نكرة • وأبواب
الأموال منسدة • ونفوس الجباة قلقة متحيرة • والخاطر منتشر • والتلاومه
من تلك الأهوال غيبة • فكيفما فات أخرج ذلك الاهتمام والاشتمال أو
أعدم ذلك الإنعام والإفضال • وقد رزقنا الله الآن اتساع ولاية • وارتفاع
راية • ومضاء أمر • وانتشار ذكر • وهيبة صوت • وبعد صيت • ومزيد رتبة
وعلو • وذل حاسد وعدو • ولا يتبع الزمان لي مساعدة وأنا مستتر ولابد
ولا أمشي السماء تابعة • وأنا متبوع الأولياء • ولا أستغني عن الناس وأنا
في بحار نعم عائم • ولا أستخدم الناس وأنا عبد وخادم • وما على الله بعزيز

شبكة الألوكة
www.alukah.net

48

ان يتهلل لرقاب الانام ويملكها عند الاباء ليتضاعف عزه وسلطانه
ويتزايد اقتداره وامكانه فاصبح تحت ظلاله الظليلة في عالي الرتب
صاعدا ومرتقيا وتنفس بمناصي التي لا اجد لها سواه طالبا ومستوفيا
بجوده ومجده ثم انكما انقبضت عن صيانة حضرة مولاي الوزير
الاجل زاد الله في جلالها واعرضت عن الزيارة في ابهائها واكنافها
دعتني الضرورة الى كشف القناع والجاتني الحاجة الى السؤال والالحاح
فو الذي خصه بالاقبال والسعادة وزحزح بغيه التي لا يحمدها الا
خبيث الاصل والولادة اني من امر هذه الحوالة في حالة اتمنى الموت
دونها من مقاساة ذل وعذاب والتردد من باب الى باب وملابسة
احقاد وامتهان والاحالة على فلان وفلان والاجتهاد في الاقتضاء
وجهاد واحتمال ابتذال غير معتاد كل المصايب قد تمر على الفتى
وتهون غير شماتة الحساد لم يصل الي اوصله الله مولاي الوزير الاجل
الحجج امانيه ومباغيه ومكنه من نواصي اعاديه ومعانديه من شهر
رمضان في العام الماضي والى اليوم نصف الجاري فكيف يكون حالي
بعد انقطاع الجاري عني خمس سنين متوالية ونزل الافلاس داري
عن كل ما اكتسبته خالية الى ان تفضل الله فعاد بيمن دولته وبركة
عنايته وكرم عاداته شمل الجاري مجموعا ووصل بعد ما كان مقطوعا
وواصله عقيب ما كان ممنوعا ومالي قدرة على الاستدانة والاستقراض
ولا لي طاقة على المواعيد العليلة المراض ولم ار مذ عرفت مقام نفسي
بلوغ بغيتي يساوي حل مني ولا اعرف من اشكو اليه غيره فطالما
اولاني واواني ووالاني ونولني ورفعني ونفعني واصطنعني
وكما اصطفاني ولو كان ايثاره بحسب الاثار واختياره على قدر الاختبار
لاستغنيت عن اطالة الشكوى باقرب لحظة ولبلغت غاية المنى
بايسر لفظة ولكن لان في السياسة اغراضا لا يجوز للعاقل ان يكلفه
اظهارها واسرارا لا يقبل ان اجتني باجاد ثمارها بمشيته اهنا
وادنى ولولا ان الوزير الاجل دام علوه في اغاثتي واعانتي والدلالة
على حضرته ومكانتي وحراستي من التبذل وصيانتي واستنقاذي من
صاحب الديوان وتاويله وكثرة مطاله وتطويله ولجاني في تيسير

هذا الجاري وتسهيل مجرى أولياء الأخصين • وخدمة المخلصين • ليتم نور
أيامه بما يوافقه من غرايب أفضاله لديّ • ويختم بعض أفعاله بالحسنة
من بدايع إنعامه عليّ • إن شاء الله **الشيخ عماد الدولة وهو يصرف في شغل**
وسلطانية وتهذيب مذهبه أنا قلت لسيدنا الشيخ عماد الدولة
لا أشكو الزمان • فإنه خان • ولا أقول ضد الأوان • وفي ذلك فاشتد اشتكاني •
وإنما أشكو الإخوان الذين تغيروا ألوانا • وصاروا مع الخطوب أعوانا •
ونصبوا بيني وبينهم حربا عوانا • وتكدر اكتنافهم كان مشارب • وتنكر
ارتضائهم كان مذاهب • وتوغر إخاؤهم كان طرائق • وتوعر أحلامهم كان
خلائق • واستقال الكريم كان عهده إلي وانتقم كان مقتدا • وكنت يعلم
الله في الأحايين أتعجب من صديق إذا أتيته جافيا • وإذا دريته صافيا •
وأبرم بصاحب إذا لقيت قلبه قاسيا • ووجدته لعهد العشرة ناسيا •
وأنكر الهفوة الواحدة إذا ندرت منه • والزلة النادرة إذا بدرت
عنه • إلى أن أراني الله العجايب • وأبرز الدهر لي مكامنة الغرايب •
وكثر تلون أصدقائنا ودهم • واستطابوا الغيبة والذم • ورأيت الجفاء
أصدقاءهم • والمراءاة تنكر عيوبهم • والانقباض أوفق طباعهم
والإعراض أنفق متاجرهم • وصادفت المكايدة بينهم منسية مطوية •
وبنية أكثرهم في اختلالها والعتبانية • وهممهم مخففة عقب ارتفاع
وصد وصدودهم ضيقة بعد اتساع • فعلمت أن البلد عامر
والكرام نوام • وأن أولئك الأفاضل الذين كنت أسمع في السير أخبارهم
واقرأ فيها محاسن آثارهم • أفنتهم الأيام جميعا • فلم تغادر منهم أحدا •
وحلفت أبدا بتلك الأيام البوالي • وأبكي تلك الأزمنة الخوالي •

• لو أن امرأ يبكي على ما رأيته • لأبكى أساس الصخر لا جرم الشعب •

ثم كان الشيخ عماد الدولة أدام الله سعادته قد علم ما اتصل بمولاي الوزير
الأجل أدام الله جلاله ابتداء منه اقتضاء • وانتشارها بغير اقتناع واقتراح
من إعادة الجاري الذي كان لي في الراتب قديما إلي • ذكرته بعد الياس علي
حتى جرى كما في بعد ما ثويت ولم يرج نشوزها • وخفت فلم يبد نشوزها
ولم ينقص ظهورها • وبقي بالولاية مكرمة أنطق بشكرها عليها اللسان كل
خاطب • ومنة بجنابه في كل كاتب • فحمدت الله على ها إجرائي

بجم

عليه من جميل عادته ● ورزقني في ايام نظره حظا من سعادته ● وجلت
قدر النعمة فيما خصني به من بين الجماعة ● وبذلت في الدعاء له والتهالك
في الطاعة كنه الاستطاعة ● وطابت نفسي ثانيا لما املت ان
تلك النعمة التي حققت بها امالي وجهي لا تكون فلتة جادت على غير عمد ●
او عارية تنقص بارتجاع ورد ● واعتقدت ان ذلك التراب الذي
اساغ به غصتي لا يورث شرقا ● وان الماء الذي نقع ببرده غلتي
لا يصير طرقا ورنقا ● واستشعرت ان اوامر الله اياما لا يصطنعني
الا ويحقق ان اجودي لخدمة عظيمة وجدي مهذبا ● وان قلبني وقلد في
صادفني جوادا ومرفدا ● وان طلب كفايتي الغناء فيها وجد بها مستبدا ● ولئن
اماني لم ير فيها مثلي احدا ابدا ● وقلت ان الوشاة بعد تخصصهم به لا يضيق
بضروب الخديعة عن رتبة الصنيعة ● والسعاة يبعد بهم الحسد لا يردون نهضو
بحيلة عن اتمام الفضيلة ● وانه سيكسب عاجلا بتقريبي منه حسادا ●
اعتقدوا في فسادا ● ويجد باختصاصي لخدمته اعدا ● اضمروا في عدوانا
واعتدا ● ويدعهم في حسرة يعضون فيها بنانهم كل غايظ ● ويضربون
رؤسهم بكل حايط ● وانه يميز بكفايته ودرايته الحق من الباطل ● والحالي
من العاطل ● ويفرق بين عالم متعلم ● وظاهر متعلم ● بين من يتشوق بكلام لا
يساوي سامعه ● وبين كل من اخذ من الادب صفاياه ومراتعه ● ويظهر لكافة
الناس انه اصح من نقد وانتقادا ● واحسن في الاحرار الاخيار اعتقادا ● هذا
مع علمه باني اسبق من جميع من اصطنعه في ولايته قدما ● واثبت قدما ●
واوكد ذمما ● وافصح لسانا وقلما ● فلم ار من جميع ما حدثته به نفسي ودر منيت
عليه حدسي غير اطلاق الرزق الذي منيت ان اقضي ببعضه ديونا
اجتمعت علي ايام انقطاعه في مدة خمس سنين ● واحسن الى قوم كانوا
فيها الي محسنين ● فوالله ما انتشرت اخبار محاسن ما اولانيه احسن الله
ولايته وكفايته في الامصار حتى ارتفعت بالابصار ● ولا اشتهرت في
في الافاق حتى شرعت بالارفاق والانطلاق ● فكانت تلك النعم ما سلمت ●
حتى ودعت ● ولا طلعت حتى رجعت ● ولا اتصلت حتى انفصلت ● ولا
حلت حتى ارتحلت ● ولا عرضت حتى انقرضت ● ولا مضت حتى نقضت ● ولا
انقضت ● حتى انقضت ● ولا اقامت حتى هامت ● ولا وفت حتى

شبكة
الألوكة

انصرفت ولا خلصت حتى تنغصت ولا طابت حتى غابت ولا دارت
حتى طارت ولا بطلت حتى جلت ولا توالت حتى تولت اقامت
اقل من سنة ناشق ثم نفرت اسرع من لمع بارق وتمكنت مقدار نطق
ناطق ثم وثبت وثب آبق سارق وكنت في اثناء هذه الاحوال نويت
الى صاحب ديوان الخاص صوائب سهامي وامطرت عليه سحائب عتبي
وملامي ظنا مني انه هو الذي يدافع ويماطل ويمانع ويطاول الى ان
اجتمعنا فوقفني على صورة الامر واوضح لي طريق العذر فعذرته وسقط
العتاب وصبرت ولكل اجل كتاب فلا تستوحش نفس الشيخ عماد
الدولة من طول هذا العتاب ولا تقلقه من الخطاب وكيف لا اعاتبه
وهو يعلم اني اليوم بين احوال ارى مرتوقها وادفع مرتقها وارقى نجومها واجمع
مفرقها واطلق مقيدها واقيد مطلقها وابلي جديدها وارقع خلقها فوالله ما ادري
كيف اعيش وما اصنع ان تقربت اليكم ابغضتموني بغض الجرب والرقيب
وان تفضلت اليكم جانبتموني مجانبة المحرم من الطيب وان ازرت حضرتكم
كرهتموني كراهية الشباب للمشيب وان فارقت خدمتكم انزلتموني منزلة
الظنين المريب هذا وانتم تعلمون اني ما حططت بفنائكم رحلي الا وشددت
الى الرحال ولا اقبلت على خدمتكم الا ليحيي مني الاقبال ولا تقربت الى
طاعتكم الا لتستقيم لي الاحوال ولا انقطعت الى جملتكم الا لتهابني الرجال
امن الانصاف ان يهزل في جنابكم جوادي ويسمن حماري ويتفقر على بابكم
جاري ويستغني بافلس وقفار ام من المروة ان اذوب فرط المحبة وتجنبا
والقى سوء كيلة وحشف افقصد غيركم وبيدكم عنان الملك تصرفونه على حسب
اختياركم ام يقنعني ما تمحونه من وجوه اعتذاركم كلا انا اعلم ان الشيخ
عماد الدولة ادام الله سموه وجاها مبذولا في الشفاعات لا يزداد الا صقالا
ووضاحة وداني الحاجات لا يكتسب الا استقلالا وهو مثل الشمس
ارتفاعا وجلالا ورياسة لا تزيد عند الدهر الا انتقالا لا اضمحلالا بتغير وعز
وفضلا لا يتنكر طبعه وهو اعلم باخلاق مولاي الوزير اجله وخصاله واعرف
بجميع اسبابه واحواله والطف في خطابه وسؤاله واصبر على هجره وملاله
وقد كنت كتبت الى الحضرة الجليلة حرسها الله في حديثي رقاعا عدة لم
اسمع لها جوابا مقنعا ولا خطابا مشبعا غير المواعيد المحال وما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالسلطان والاحالة على صاحب الديوان ولئن آثرت ان انتفع اليه
بالناس واضيق عليه مجاري الانفاس والشيخ عماد الدولة اولى
من يكفيني مؤونة التذرع اليه بالشوافع والذرائع والتقبل عليه
بالوسائل والمسائل واحرى من يتجرد للاجتماع معه مرة واحدة في
مجلس خلوة لا يكون لهما ثالث ويعرفه صورة حالي وما في سببه من انغلاق
واقفال وجمود الجاري وخموده وتعقده وركوده فان انسدت
عليه والعياذ بالله ابواب الاستخدام فاقل من الطعام وان وجده
استصعب الى اصطناعي الطرق فلابد من قوت يمسك الرمق وان
آثر ان يفرده بقدر جاري ضيعة اخرج اليها فاقيم بها واتعلم فيها صناعة
الزراعة واتخلص فيها من الفراغة والشناعة والايقاس فرج ورد
صريح وما في هذا الباب شكر احمده على عز الجديد في ذكره ووصفه
ويبوح في المحافل بنشره وعرفه ان شاء الله **الى الوزير في الشكر والثنا
والمدح والاستزادة والاستزارة بعد العزل** لو جاز ان تكون آمال الرجاء
مولاي الوزير الاجل في الدنيا نعمة واحدة تكون سبب الغنى والمنى قائدة وفي
عواقبه الحمد والمكارم باقية خالدة وعلى اطلال قد رسمها وحولها شاهدة
لكانت هذه النعمة الواحدة التي انعم بها انفا على عبده اذ احيى آماله بها وكانت امواتا
وجمع احواله وكانت اشتاتا واستقاه بعد الظماء الفاجع فراتا واغناه حتى
طلق ام الافلاس طلاقا بتاتا وعلم الناس كيف تقتضى الاثمان بغرائب
الاحسان وتقرع مناكب الجلال باصطناع الرجال وتنطق السنة الامم
بابكار النعم وتجمع محاسن الايام ببدائع الانعام فهل تجحد هذه الفضائل
التي هي اوضح من سنا القرن الشارقا واوسع من سعة الخافقين آفاقا الا من
لم تقم عنده حرة ولم تكن لنفس مرة ولم يضرب اصله بعرق كريم ولم ينتم
الى شرف اصيل قديم جعل الله قدرته في الارض مبسوطة وآمال الكرام به
منوطة واركان الملك بصائب رايه مضبوطة وساحته المصائب
والمصاعب محوطة بعزه وعونه ومولاي الوزير الاجل ادام الله ايامه يعلم
من باطن حالي وظاهرها واولها واخرها ما لا يعرفه احد سواه وتحقق ان هذه العطية
التي انعم بها علي ليس يجري فيما يجري فيه من ايام المتاجر والمكاسب والمرافق والرغائب
للمستغل والضياع والعقار والرباع قد ساعدتهم الايام فجمعوا وادخروا وذخائرهم

الانعام فاعتروا واتندروا . ونصر قوافي الاعمال فوجدوا ما وجدوا .
ونظر قوافي الاموال فانكثوا واستندوا . ثم لا يشمون روايح خيرهم
ضيفا . ولا يطعمون جانيا رغيفا . وانما انا رجل انتبه لي بحدثان ما
تأول في عنفوان الدولة . وعز الزمان تجني ثم بدا الافطار على وجه وهام .
وانقطعت عني المادة التي كنت ابتلغ بها مقدار خمس سنين وهي السنون التي
اهلكت الطوائف . وابادت التوالد والطوارف . وافنت الخفيف الجارف .
وجملت اكياس الاغنيا لفائف . حتى بعت كل علق مصون . وانفقت
كل مدخر ومخزون . وقاربت ان يتهتك ستري واكاد . ونفذ حكم الله
في الناس بما اراد . فلولا ان تداركني من عند الله جل اسمه رحمة . وتلافتني
من تفضل مولانا عليه السلام نعمة . ولحقتني نظرة الوزير الاجل ادام
الله دولته الذي احيى رمقي . وكشف غمتي . ونعشني من صرعة الدهر .
والبسني باصطناعه اياي ملابس الفخر . وطول نعمتي الايام والليالي وهي
باقية . وتحقق الصنائع والمساعي وهي بادية . ما استقرت لي دار . ولم
تشتغني اعصار رغبة تار . ولكن لله الطاف خفية . ومواهب في اثنا
المصائب مطوية . وامري ادام الله عز الوزير الاجل مع متولي الديوان الذي
يجري جاري منه طريف جد كان يعد في كل وقت بحمل ما استحققت منه
وعد مغالط . ثم يتغافل عني كانه من واسط . وكنا انا من شهر رمضان
الى يومي هذا لم اقبض منه دينارا . ولم ار الا عدة ضمارا . قد اصبحت
محروما من انصافه . ومظلوما من فرط تلومه في الوعد واخلافه .
لا يكاد يميز الجهول الخمول ارباب العقول . من الطلول والطبول
ارباب الفضول . كانه لم يسمع بقول اهل الفضل .

كم رابع الشخص الاثر طلل . وهائل الصوت الاثر بوق .

دابي ابدا من هولا الصدور الذي تخشى بوائقهم . وترجى بوادرهم
وتخاف طوارقهم . وتستحلى طرائقهم . فما انا رجل غريب فيما بينهم
جل صناعتي اعتزازي بخدمة الوزير الاجل واعتزائي الجاهد ونمائي
في نعمته . وانتمائي الى دولته . واجل بضاعتي ما لا يشتري معظمها
بفلس . ولا ينتفع اكثرها فيمن يريد الا بثمن بخس . فاذا لم يرد لي
متولي الديوان بفضل اختصاص . حسب ما عرفه في طاعتي من

ثم نادمه

الاخلاص

51

الاخلاص • ولا يمنعني تزيد اهتمام • كاميري هو شرف اصطناع
واكرام • واجراني في هذا المجاري من لا يفكر في اضعافه فقبضها امر صرفها
واخذها امر نبذها • اشرفت على البوار • ووقفت بين الباب
والدار • وقد كان يحتج بايام التحصيل زمانا • فوالله ما فرغ التحصيل
حتى سوّد وجوه الآمال • ونغص كيس المال • وبيض جرايد الشكر • و
هدم قواعد البر • ولا آمن ما دامت هذه الحجة قائمة • وهذه
العلة لازمة • الى ان يحتج بايام الحصاد • فاحصد فيما بينهم بالمنا
ويفقدني المطل العاجل • بالحرمان الآجل • مع اني لا ابالي بالحرمان
ومولاي الوزير الاجل في ظهري • ولا افكر في جور الزمان وهو لي مجير •
ولا احفل بالنوائب وكعبه لي نصير • ولا افزع من الحوادث وهو على
دفعها قدير • والوفضل ادام الله ايامه ان يشرف عبده • وينبه
صاحب الديوان على وفور محله عنده • واري منه في هذا الباب
اهتزازا خالصا • يرد كيد الحساد على عقبه ناكصا ان شاء الله تعالى

الى متولي الديوان وهو حسين بن بغرا شكا واقتضا موسم وعتاب وخطاب

انا من امر هذه الحوالة • ادام الله سيدنا الشيخ في
اصعب حالة • ومن التحير فيها بين سآمة وملالة • اقتضاء
مثل النار • ومواعيد طويلة الاعمار • وسؤال متصل • ومال
لا يصل • وصداع يتجدد • ورقاع تتردد • فليت شعري متى
تنجلي هذه الغماية • وتنقضي هذه النكاية • ومتى تنساغ هذه
الغصة • وتنفصل هذه القصة • ومتى ننتعش من هذه النشا
ونصحو من هذا الخمار • ونخرج من هذا السرار • ونرى بياض الدرهم
وصفرة الدينار • ولو علمت ما في باطن هذا الامر • ووراء هذا الستر
لفتحت بابه • وفتحت ابوابه • ولكنني عن علم ما في غد بكم • امري يشهد
الله في حديث الجاري عجيب اذ هو ليس بممكن ولا ممتنع • ولا بمتصل ولا
بمنقطع • اذا ابصرت خطوط العمال • طمعت في استيفاء المال • واذا
قاسيت طول المطال • طرت بجناحي الضجر والملال • فلا ايناس واضح
اشراقه • ولا ايناس مر مذاقه • ولا نجاح تسكن النفس الى فصوله

ولا قنوط يستريح القلب من انتظار وصول المال وحصوله •
وعد كجنى الآفل زهره مونق وطعمه ذعاف • وكلام كنبت الخلاف •
ورقه اخضر ناضر • وثمره خلاف • ومخاطبة ترد خطوب الدهر
على اعقابها • ومعاملة تهد قواي لا انقلد بها واصطبر لها • ايحال
جاري على طاولك ببرقة خلب • وتقال تصحى مرتد • وعلى ضمان
لا احصل من ما التزم الا على الشماتة • ولا اربح من معاملتكم غير الابتذال
والمهانة • ومحل بال غيري اليه وهو مستودع في بقيته • مترنح في دسته
هذه والله حكومة • ولكنها مشومة • وقضية • ولكنها ردية • وظلم
لا سبيل الى الانتصاف من الظالم • وعدول عن معالم المكارم الى اخلاق
البهائم • انا بحمد الله ومنه في ظل الوزير الاجل ادام الله بسطته في
عز حاضر • وايجاب وافر • وسحاب ماطر • وربيع باكر • وقد زالت بحمد الله
وعونه ومنه • وبركة الوزير ادام الله علوه ومنه عنى الوحاشة •
وانقشع غمامها • وطارت المخافة • وانقطع زمامها • واستقرت
الوزارة ايامها • وطابت السعادة وضربت خيامها • وعم كافة
الناس احسانه وانعامه • واستنارت الاقاليم فيها منذ جرت اقلامه •
واخمدت نوار الفتن منذ جرد حسامه • وانهزمت كتائب المصائب
منذ صابت سهامه • واشرقت نجوم الملك منذ انصرف الى سياسته عنايته
واهتمامه • فلو عرف الشيخ بصورة حالي وقصة قد عنها المال رضي ان اعلل
بقول باطل • واعذب بكلام عاطل • واوعد بوعد حائل • وانا طالب بتموله
لا احظى منه بطائل • وما خلاف في ان اصبح وشملي مبدد • واملي مقيد
وعيشي منكد • ووجه رجائي اسود • واضحى وطني مؤكد • وحزني مجدد
وامري معقد • وصاحبي بين زيد وعمرو مردد • واسى بقلب مشغول
وكيس خال • وكم جهد بدد وبال بال • وليل من طول ليال • وويل متواتر
متوال • لا تزال ادام الله ايامه لما اتاه من جلالة رتبة ومكان • ودنو
بسطة وامكان • وعلو همة وشان • وسمو قدر وسلطان • يعلم اولا
ان النعم التي خصه الله بمزاياها • وافاض عليه ظلالها وخلدها • اذا
لم تدعم بابتناء المكارم خيف انتثارها واندثارها • واذا لم تنتشر

ما انتشر

بالشكر الدائم لم يوتمن بقاؤها وقرارها • وعرف حالي وصورتها •
وتشعثها وكدورتها • وان ايام العطلة هاضت جناحي • وجذبت
فاجتياحي • وان ايام التعذر عنف في خصومته • وجنف في حكمه
واخذ من اعناقي بحظ • وتحقد على بقلب فاجر فظ • واقتفر عذرة
الوزارة باعادة جارتي الى بن عبد الجامع في سؤال • وقضى حق
الرياسة بتدارك امري بعد اختلال • ثم لم يقتصر على هذه اليد
البيضا • والكريمة الغرا • حتى ناط تغرره بهذه الجنة المباركة
نعقد ذا ان تدر على اخلافها • وتتمهد لي اكنافها • وان لا يخلف
سحابها • ولا يخلف حسابها • وحرضنا منه ان يتعجل الى وصوله
وحصوله • ويونز في حالي المستحيلة غرمه وحجوله • والآن فقد
وقف الدست وهذا كما كنا • والشكاية زيادة • والاقتصاد الا نتقاد •
وفضل الشيخ ادام الله عزه عذب مشرع الفضل • رحب مرتع النقل
صحيح التمييز بين الخواص والعوام • كثير التوقي من سهام الملام • غير
جديد في خدمته • ولا حديث من نعمته • فلا ادري كيف
أعاتبه وأخاطبه • ولكني أحاكمه وأحاسبه • ولست والله
الزمه ما يضيق عليه فيه الطريق • ولا اكلفه من اصلاح
امري ما لا يطيق • بل غرضي في هذا الرزق ان لا يخصني من
بين سائر اصدقائه بحرمان • وان لا يحيلني على فلان وفلان •
الا انها صورة الحال الى تلك الحضرة الجليلة قدمتها بان لا ارى
منها غير العناية الوكيدة والرعاية الجميلة • وعالما باني اذا شكرته
فبحياني خطابه • واذا شكوته لم اجاوز عتابا ودعابه • ان شا الله

في معاداة الى بعض اصدقائه وهو ابو طالب بن خماد

الشيخ اطال الله بقاه • وجعلني فداه • اذا ذكر الذكا فذكاؤه • واذا
وصف الادب فسماؤه • واذا اجيلت القداح على اعشار الكتابة
فله رقيبها ومعلاها • واذا عدت اخبار الائمة فهو اعلمها واعلاها
واذا مدحت الفصاحة فهو مدير رحاها • ومنه مبتداها
واليه منتهاها • واذا استحسنت البلاغة فهو طلاع ثناياها وجماع

بمنه ورحمته وله الى القاضي ابي الحسن بن محمد بن ابي اليسر من الكوفة وكان بدمشق
كتابي وشوقي الى الشيخ القاضي اطال الله بقاءه شوق الصادي الى الماء وقد
ارمضته غلته . والعليل الى الشفاء وقد قلقته علته . والمهجور الى الوصل
وقد اضنته حرارة الهجر . والمقتر الى الغناء وقد اودت به مرارة الفقر .
والهرم الى عودة الشباب وقد فاتته ايامه . والمحروم الى مساعدة الدهر
وقد اصمته سهامه . وكيف لا اشتاق الى من لم اسعد الا بطلعته . ولم افرح
الا بصحبته . ولم احمد ايامي الا حين جالسته وعاشرته . ولم تتم ادابي الا حين
حادثته وذاكرته . ولم تتجل لي الايام شملتني عنايته ورعايته . ولم تساعد
الايام الا زمان ادركني يمنه وسعادته . ولم تكنفني الدولة الا تحت اكنافه .
ولم يجد حتى احد الا ببعض اوصافه . ولم اتهنا الا عند حضيره . ولم انصرف يوما
الا في جيره وخيره . ام كيف لا احن الى من اشرقت على صفحات احوالي
نايلة . وان خرست لم تعرب عني الا فواضله . وان قعدت قام بي جوده
بشكره خاطبا . وان غبت لم يصبح عني احسانه غائبا . وان ثبت زادني
من نعمه جمال . وان ابتهجت باكرني من عنده اقبال . فمرحبا بمن عهده
اوصافه واهلا . وسقيا لمن سقاني من سحائب وده علا ونهلا . ولا
سلبت محاسن من لكرمه من شمائله اسكرني من الشمول . ونفحت من صبا رق
للروح المشمول . ولا زالت الايام بحكمه مساعدة ساعفة . والمواهب
لديه متزايدة متضاعفة . والمحن عن جنابه نائبة . والمخاوف عن ولايه
بائنة . ولعل مولاي القاضي ادام الله حراسته يذكر ايام ارتحالي من الغوطة
واجتهاده في استصلاح وقت تقوى النفس به على السفر . واختيار طالع
يؤمن معه وارد الغرر . وما قاربني الغرور به من المسير بطالع الاسد
والقمر كان في المحاق . والمريخ كان راجعا بعد الاحتراق . وعطارد كان
بها بطا . والمشتري من نفس الطالع كان ساقطا . والشمس حائزة الى تربيع
زحل . والزهرة ساقطة عن الوتد . وتقسم قلبه لبعد التوديع لسوء الاتفاق
واشارته علي بالتلبث عن الرفاق . وما خامره من الفزع والوجل لما اراده
من ضيق صدره . وما شاهده من قلقه واشتغال سره . وسمعوه من كلامه وتحققوه
من اصابته في احكامه . ومفارقتي اياه على حالة استسلمت معها للقضاء المقدور
واستشعرت العطب وسوء عاقبة الامور . وجعلني لم ادخل السماوة الا بغتة

ثنايا بها فلا فضل الا وهو لابس حلته ولا علم الا وهو فارع قلته
ولا بديع الا واستكمل زهره ورياضه ولا نتيج الا وذلله بعقله وراضه ولا
ولا مستصعب الا سهل سبله ولا مستبعد الا قرب متناوله
فحكام الفضل يسجلون على انه اوحد زمانه واحكام العقل تشهد بانه
مالك عنانه ورواة الاخبار مجمعون على انه احسن من تقدمه مناقب
ومذاهب ونقلة الآثار متفقون على انه اكثر من فرطه مفاخر
ومآثر والآداب تتجمل بذكره والعلوم تتزين باسمه والايام تتشرف
بمكانه والعقول تحار في بيانه والخزائن تكنز فنون معلوماته والنفوس
تبهر من حلاوة عباراته والخواطر تثني على غرر فضائله والالسنة
تجري على مجاري انامله فلو تجسم العقل لتجلى في صورته ولو تخطط
الجهل لصفا من كدورته ولو اطلق عنان القلم لاستخدم السيف
صاغرا ولو سود بياض الورق لغادر اللآلئ حائرا ولو نظم المنثور
لكنا محاسن الايام انتظاما ولو نثر المنظوم لتناثرت الكواكب
اجلالا له واعظاما ولو بدهه لتبلد كل مرو وبديهة وخاطرة ولو روى
لاعجز مناظرة ومذاكرة فطبعه الماء بل احلى واجلى ولسانه
العضب بل اجل واجلى وخاطره الشهب بل امضى واثقب
والفاظه السحر بل اعجب واغرب صانه الله عن عين الكمال واعانه
على بلوغ الآمال وامده بجنود الاقبال واسعده في جميع الاحوال
وعمر بقائه نوادي الجلال وحمى فناءه من غير الايام والليالي بمنه وكرمه
نعم كنت ادام الله عز الشيخ في سالف الايام مولعا باستنباط غوامض
الالغاز وان كانت صعبة المراقي بعيدة المرامي وادور على حل عقد
التراجم وان عجزت عنها الخواطر الثاقبة وقصرت الافكار الصافية
دونها لكثرة ملابستي لها ومعاطاتي اياها وكان يتفق منها ما
يستسهل الغر طريق استخراجه ويتهاون بحذف تركيبها ثم يرجع على ادراجه
وكنت اعاشر الكتاب الاغراض بعضهم صرف الهم الى حل الرموز التي عفت
آثارها وتصفح العلوم التي درست اسرارها وتأمل موضوع الخطوط
المبهمة والابانة عن مقاصدها المشتبهة حرصا على ان تنفتح عقولهم

دون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتقوى ابصارهم وتصفو اذهانهم وتذكو خواطرهم ورغبة في ان
يترقوا من ادنى درجة منها الى ما فوقها من علوم شريفة قل طلابها
ودرج اصحابها فكنت معهم كاحدهم اتعب بدني واشغل فكري
بايضاح المعميات التي تعذرت مضايقها وحل التراجم التي تعسرت
مغالقها حتى كنت حجابها فصارت الصنائع لي عادة معتادة
وذللت صعابها فامكنت لي بصحبة منقادة وصرت باهون
سعي وايسر فكر اتسنم غاربها فاصرفها على حكم الاختيار واعلو
كاهلها فاروضها بيد الاختبار فلما اقتضى الاسفار وساقني
الاقدار الى الحضرة الشريفة ورزقت بجارها بالارض محيطة
وسكنت حرمها ملاذا لمدة بسيطة وجنيت ثمار الحفظ غير من
اشجارها وورقها واثبت الاملاق من دون ان اظهر لاحد ملقا
شغلني بلوغي اقاصي الارب عن الاشتغال بالادب وصرفني نيل
اماني الرتب عن النظر في الكتب وكرهت نفسي على ترك العلوم و
نسيانها وثنيت عنانها عن الجري في ميدانها ونبذت هذه
الغرائب وراء ظهري ولم اشتغل بالاستكثار منها بدني وعلمت
ان العلو في هذه الحرفة حرفة والتناهي في هذه الصناعة رقاعة
وان الحظ والحظوة ينالها من لا يحسن ان يمسك قلما والملوك
والفروع يحوزها من لا يثبت له في الفضل قدما حتى ربما ياتي
الجاهل رزقه سعيا وهو نائم ويخطي العالم وهو ساع قائم و
يدرك الضعيف مناه وهو غافل ويفوت القوي قوته وهو
حازم فاضل ويبدل الله امور الخلق فيفعل فيها ما يريد واسباب الرزق
تنقص وتزيد عرض علي بعض اصدقائنا ادام الله عز الشيخ الذي درس
الاسفار وطوف في الآفاق ونقب وتغرب عمره فتدرب وكسب
الاموال فانفقها وجمع الظرف وفرقها ما لم تكحل عيني بمثله كمالا
ولم يسمح الزمان بمثله اعتدالا تقصر الاوهام من اشكاله وتتنزه الابصار
في اشكاله اعز مصون واذل مبذول وارفع حامل وانفع محمول
نور للابصار من حجره وتعلم الاسرار من حجره اصلب المساكن سكناه
واوهن البيوت ماواه ابطاله لا تصرع واشجاره لا تزرع ليس لسبعه

ذنبه • ولا نظائره صفين قد تدانت اقطاره • وتباعدت امصاره •
وصغرت كباره • وكثرت صغاره • بنابيب الابواب • ويشحذ الالباب
اوله آخره • وآخره مفاخره • اخرس الا انه لسن • واملس الا انه خشن • ابيض
الشعار • احمر الدثار • اخضر المهاد • اصفر الوساد • ويبق لشه ضيق
قلبه • يغلق فينطلق • ويقبل فيقبل • ويسير فيقوم • يتقابل عليه
الفارسان خائف وآمن • ويتقاتل عليه الفرسان متحرك وساكن •
يحوم حوله طايران • ويحوم فوقه حازان • له بلد غير مسكون • وجلد غير
محزون • اذا استتر عرفته من ظاهره • واذا غاب شهد بمناظره • لا يذرع
وله ذراع • ولا يزرع وله ارتفاع • ولا يشرب والساقي يخدمه • ولا
يظلم والضارب يظلمه • ولا تنقرض غايته • ولا ترتج بابته • ولا يصطاد وحشه
ولا تداس فرشه • ولا يقطع وبره • ولا يحصد شجره • له راس بلا عنق •
ووجه بلا طرف • وطرف بلا اجفان • واسنان بلا لسان • وجوف بلا
جيد • وحبل بلا وريد • وجبهة بلا جبين • وقلب بلا وتين • وكف
بلا اصابع • وقدم بلا اصابع • وفرج وثقوب • واطراف وجنوب •
وجسم بلا علل • ومنكب بلا عاتق • ومرج بلا سابق • ماؤه لا يخاض
وجناحه لا ينفاض • وظله لا يزول • وريحه لا يطول • ثلثاه امر
وثلثه حجر • والقلب عن عكس ثلثه حذر • لا زلت تبغي لنا ولا زلت
بربعك الحادثات والغير • فليقف الشيخ على ما عنيته • وليقبل ما حكيته
على انه لا يهتدي الى صوره • واسراره حتى يؤوب المنجلي •

الى الوزير في اقتضاء ومدح وشكر وحمد

مولاي الوزير الاجل ادام الله ايامه • وظاهر عليه ظاهر وباطن انعامه •
سيسند زحل الزمان بمنكبه • وتزاحم الحرمان بموكبه • ويتعلم الاحسان
من مذهبه • وينال الانسان غاية مطلبه • فلمعاليه نشر مثل الروض
فايح • ولاياديه عرف مثل المسك نافح • ولوجهه بشر مثل الصبح واضح
ولجده اقبال لابواب الرزق فاتح • فانا لا ابالي بالزمان ما دمت في
جنابه السعيد • ولا افكر في الدهر ما نمت في ظله المديد • ولا اخاف
الفقر منه الفت السعادة اليه بالمقاليد • ولا استبطي الاماني فانا قرنت
منه بنجح المواعيد • فادام الله ايامه في عيش سابغ يتقلب بين الغنى عنده افضاله

حال
الفقر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويؤملني بجزيل نواله • ويكسب حسن الثناء بجماله • ويبلغ خادمه فوق
آماله • بمنه وعونه • وقد كان سبق عند مولاي الوزير الاجل ادام الله دولته
بالامر الى صاحب الديوان في معنى الجاري الذي مذ اجراه علي حياتي وكفاني
مؤونة السؤال واغناني • وفي اوان دجية راجية ناضة باسمي اذ بقيت لي في
الديوان بقية من مال العام الماضي جملة تعذر وصولها الى هذه الغاية •
مع جميل الرعاية • وجليل العناية • ولمولاي الوزير الاجل ادام الله بسطته
في تحقيق ظني فيما سألته • لاصبح من الفقر سالما • ويمسي الزمان لي
مسالما • واعيش خالي القلب ناعما • واكون لابدا خادما • الراى العالي
ان شاء الله • **في معاتبة البعض لصديق نابه من العارفين وهو عصي**
الطبع او المستقله ياسيدي ادام الله عزك انزاح الصدد • ولم تسعد
مساعدة الدهر صدى وكل • والكاتب اذ تعاطى ما ليس في قدرته
حاد عن الطريق وضل • ومن عرف قدر نفسه لم يتطاول على ابناء
جنسه • ومن تأمل صورة حاله • لم يخطر الكبر بباله • ومن لم يقف
في مناعيه عند مقداره • لم يأمن الفضيحة عند اختباره • ومن لم
يقصر خطاه وقت حصاره • لم ينفعه اعتذاره عند عثاره •
ومن لم يلق رداء التيه عن منكبه • تاه عن مسالك الفضل ومذهبه
والتواضع جنة الرئيس تقيه سهام الحساد • وتؤمنه مكايد الاعداء
وتحببه الى الناس • وتؤمنه غاية الايناس • وافضل الخلق من يعرف
عجزه ونقصانه • ويعترف بان الكمال لله سبحانه • وتحقق انه وان بلغ
في العلوم الامد الاقصى • وجمع من الفضائل ما لا يحصى • فتأخر من تالي
السابقين من العلماء • وقاصرون مدى اولئك السادة الحكماء •
وكيف شأنا الا يبنى على قواعدهم الراسخة الراسية • وحسبه جلالة ان يحو
حول مواردهم العذبة الصافية • وما اقل انصاف اهل زماننا لاولي
الفضل • واكثر اعتسافهم في العماية والجهل • وابلد خواطرهم في استنباط
العلوم الشريفة • واضعف بصائرهم الا في الاعمال السخيفة • نسأل الله
ان يقفنا على نهج الحق • ويرفعنا للقول الصدق • ويحط عن كاهلنا
موبقات الاوزار • ويختم عمرنا بصالح الآثار • انه ولي ذلك والقادر

عليه • كتب يا سيدي ايدك الله اهديت الي تحفة اول حروفها
موزون بالقرآن • محجوب عن العيان • فاستحسنتها غاية الاستحسان
وقصرت عن مدحها عبارة اللسان • وما ظننت بشي مذكور في
الآثار • مسطور في الاخبار • بعيد من جنسه • خشن لا يقدر على مسه
نابث ولا يقدر على ضبطه • غايب وانت في وسطه • اخره وما فيه
ساكنة • وعنصر وما لا مكدسة • اذا قلب صار جيفة منتنة
كلاما • وان زيد في آخره حرف تضمن فاقة واعداما • ويتلوه حرف
النفس الاعلاق في نفعها • واد نها طيبا • لا يفارق الشمس كيفما تدور •
ولا يزايل الماء حيثما يغور • فمن يمين القبلة مطلعه • ومن اكثر الزروع
منبعه • وفي خزاين الملوك مقرعه • ومن مخافة العساكر مفزعه • اخرها باب
محاجزه • ويبقى سايره • ويا ر طار له ذنب • وسلم منه سبب • يعانق وما
يحب العناق • ويفارق ولا يعرف الفراق • ان فرقت حروفها فثمانية • وان
جمعتها فثلاثة متدانية • وان تحققت معناها فظرف ظريف • وان تاملت
اعدادها فشكل طريف • هدية من لا يستراب بوده • وتحفة من طابت ووافقت
شمايله • فمن يكشف المستور عن جارحته • وكيف بانه قد سدت عليه مداخله •

رقعة في العتاب لبعض اخوانه

كنت احسب ان مولاي اطال الله بقاه لا يستمع في قول الوشاة • ولا يعي
كلام الحساد والشماة • ولا يراني بصورة من يتصدى لغيبة • او يتجافى
في عتبه • وكيف اعتاب مثل اخشاه بذمتي من ان كفرت نعمته وانعامه
وبدا مني ان توليت مساءته • لاني ما رايته قط اخل بالمكارم بل فرع ذروتها •
ولا اهمل العوارف بل سكن عقوتها • ولقد كان يبلغني ادام الله تاييده
يذكرني بما كنت مطرقا منه اذا سمعته • مستغنيا في اذا عرفته • والله
بعدها ولولا الايمان • من اعظم الايمان • اني ما عدلت عن طريق مودته •
ولا الحدت في دين محبته • واذا خالفت هذه القضية كنت كمن اختار على الوفاء
الغدر • وعلى الشكر الكفر • وعلى الحمد الذم • وعلى المدح اللوم • ومعاذ الله
ان يراني بهذه الصورة • او ارضى لنفسي قبح هذه الحالة المذكورة • والله يبقا
بقيه ويبقيه • ويمتعني به وينيه بمنه وعونه •

تم الكتاب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

55

الى حسان وحيد اما بعد فان امير المومنين وان كانت
فاينعمه على اوليآ دولته • واسبلة الى المتصلين بدعوته عامة • اقطار
مملكته تامة عند اجناده ورعيته • فانك يا حسان بن جراح مخصوص من
نعمه العجيبة باطنا وظاهرا • ورحمته العظيمة غايبا وحاضرا • بما لو تاملت امرك
لحسرت من معرفة قدرها السنتك • وقصرت عن توفي شكرها اعنانك •
وضاق نطاق طاقتك عن التحدث بها وان اسهبت واطنبت • وعجز
قدر قدرتك عن نشرها وان اعربت واغربت • فامن نعمه توليها شيعة
اجداده واوليائه الاخصين • ونسبتها الى اهل طاعته المخلصين • الا وقد
اضافوا اسلاف امير المومنين على اسلافك على بعد • واضافوها اليهم
فقربوا وبعدوا • اذا احيوهم وكانوا امواتا • وجمعوهم وكانوا اشتاتا • واعلوا
اقدارهم وكانت داوية ذابلة • ونشروا آثارهم وكانت خاوية خاملة • ورفعوهم
من بطون الفدافد • الى ظهور الفراقد • ومن ذرى الحجاز • الى ذرى
المنابر • ومن ادمان الشقآ • الى عنان السمآ • ومن اخفاف النعم • الى
اكناف النعم • ومن مجانسة البهايم • الى مجالسة الاكارم • حتى شبعوا بعد
المجاعة • وارتفعوا عقيب الضراعة • وامنوا فرط المخافة • وسمنوا اثر النحافة •
وانتعشوا بعد الانخفاض • وانبسطوا عقيب الانقباض • وحسدهم
الغريب وكانوا محرومين • ورهبهم الناس وكانوا مظلومين مهضومين •
وملكوا البلاد وكانوا عنها مبعدين مطرودين • وغنموا الاموال وكانوا
معدمين مجدودين • فلم يقابلوا هذه المواهب التي ما خطرت بخواطرهم •
ولا استقرت في ضمايرهم • بحمد ولا شكر • ولم يجروا هذه العوارف مع جلالة
اقدارها ونفاسة اخطارها على ذكر • ولم يثنوا نحو المحسن اليهم • والمنعم عليهم •
حقا ولا حرمة • ولم يراقبوا الا ولا ذمة • ولا حفظوا من حدود الايمان
بعضها • ولا وفوا بالعقود التي يجب الا ينقضها • بل لما استغنوا طغوا
ولما استولوا بغوا • ولما وجدوا بعدا لا ملاذ • مردوا على النفاق • ولما امنوا
سهام الانتقام • غمطوا دوام الانعام • فكان النعمة ما اغنتهم • بل اغرتهم
وغرتهم • وكان الدولة ما رفعتهم واصطنعتهم • بل وضعت منهم وضيعتهم •
وكانهم ظنوا الله في امهالهم عاجزا عن محاكمتهم • وفي اغفالهم غافلا عن معاقبتهم •
وكانهم لم يسمعوا قول الله فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير • ولقد

كلا قد سبحا • وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير •
ولم يعلموا أنه لولا عواطف الرحمة والرأفة • وعناصر الكرم التي عجن الله طيني لاما
به المخالفة • والحلم الذي يتزعزع دونه الجبال وهضباتها • والعقل الذي لا يحجبه
الا مغالطة أو مباحثة • والتأدب بأدب الله في العفو عند المقدرة • ولاكبا
مع المملكة • لا يستوصلوا في أقرب زمان • وتوحشوا من أبعد مكان • بل لو قصدوا
لا قصدوا • ولو رصدوا لحصدوا • ولو لم أستحفظ نعم لاد رجفت وثلبت •
ولو جدوا في طلبهم لضاقت عليهم الأرض بما رحبت • لأن في قدرتي من عزماتهم ما
يسبق إلى مقاطع الآجال • ويستنزل العصم من الجبال • ويستخدم الزمان لتتبع
أغراضهم • ويستنزل الإقبال لبصون أعراضهم • ولكنهم جروا على قدم أعداهم في الوفاء
بعهد الله العهد كان مسئولا • وأعضوا على قبح نفاقهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا
وقد علمت ما كان منك في أيام أحكام • حين شققت العصا وجاهرت بالعصيان •
وتعديت طورك في الاعتداء والعدوان • وتبرزت في العناد فأدبتك •
وأجبت على النساء وقدمتك • وأبديت أنواع النفاق والمداهنات • وكشفت قناع
الحشمة والحياء عنك • ونقضت الأيمان بغدرك وختلك • ونبذت الإيمان
وراء ظهرك • وبنيت على المحال والمحال قولك • وحشرت أحزاب الضلال
والجهال خلفك • وما جرى من هنات أصغرها كبيرة لا تمحو الأيام عنك عارها و
عوارها • وأيسرها جريرة لا يحط الإسلام عنك أصارها وأوزارها • حتى سارت الركبان
بذكر مخازيك برا وبحرا • وتحدثت النسوان بقبيح مساويك سرا وجهرا • ثم اتفاقك
الأدنين بلبن رحما • وأنكر الولد الأولاد عندك رحما • واشتهر عند كل باد وحاضر
أنك كفرت النعمة • وأحرزت الأثمة • وبغيت على من أنعم عليك • وأسأت إلى من أحسن
إليك • فاغتررت بانبساط يدك • واستكثرت حقير عددك وعددك •
وسعيت في اجتثاث أصل كنت مستظلا بأغصانه • وهدم بيت كنت محتميا
بجنباته • وقصف رمح كنت طاعنا بسنانه • ومكاشفة ملك كنت تصرف
بسلطانه • كمخالفة إمام كنت تعيش في إحسانه • وإحراق حرمي كنت رتعا في
سعدانه • وإعجابي من ولي سبت انيابا في رهانه • ومبارزة قادر لم تكن أنت من
أقرانه • كنت في شأن الثعالب تنظر صفحة الجبان • وتفر مخشية المزهد • وتروغ
روغان الثعلب • وتتعلق بالأماني الكواذب • وتخبط خبط جاهل • وتغالط
حقا بباطل • متعذرا أنك أمهلت • وأنا أهملت • ومعتذرا بما أرتجي من

خلافه

شبكة الألوكة www.alukah.net

خناقك • وانما انفرت لإيباقك • فلما علم من تظاهر اخفاقك • وضاحي اعمالك •
ان نظاماتك بزول • وايامك لا تطول • وان الشيطان سوّل لك احاديث غرور
غرور • والخذلان املى عليك اساطير زور • وان قلة المبالاة بك اطمعتك
في الباطل • وكثرة الإعراض عنك عرضتك للخزي الآجل والعاجل • وان الذين
جبتهم من خراب البلاد • والساعين في الارض بالفساد • والطغاة الذين
آتيتهم من فضل ما انعم به عليك • وآسيتهم ببعض ما حصل من اموال لديك •
وقدتهم بخزائم انوفهم الى لوازم حتوفهم • وبمطامع آمالهم الى مصارع آجالهم •
ونصبت حبالك في اقتناصهم • لغرضك في اهلاكهم واجتياحهم • اذا رأوا رايات
النصر خافقة • وآيات الحق ناطقة • وصدور الاسنة نحوهم مشرعة • ووجوه
الأعنة اليهم مسرعة • خذلوك وقت الاستنصار • ونبذوك بعد الاستبصار •
وتبرؤوا منك رغبة في مزيد الاحسان • وباعوك باوكس الاثمان • وزهدوا
في مصاحبتك • وانفوا من مقاربتك ومقارنتك • استعان بالله الذي
لا يخيب آمله • ولا يضيع سائله • وقلدك البغي الذي لا ينجو راكبه • ولا يفلح
صاحبه • ورماك من جنود الله بكتائب كانت السعادة تخدم اعلامها •
والهيبة تسير امامها • وقدم مثلك تزل عن الثبات قدامها • وعينك تعجز عن
ان ترى غبارها • ونفسك تصغر عن ان تصلى نارها • فشتتك اعصار الفرار
قبل اظلالها عليك • ونسفتك فلول الادبار قبل وصولها اليك • وطفقت
تطير بجوانح الفزع بين سمع الارض وبصرها غادرا انصارها • وتستر بجرها
ومدبرها حائرا حائرا • وتفرق اذيال الخجل غاديا ورائحا • وتغوص في اوحال
الوجل سائحا وطائحا • حتى تشبثت على الحصة والسفينة • واوفيت على الجماعة
والقرية • واستجرت بأفناء العرب كالجار الاذل • وطولت عليهم في العدد الاقل •
ثم تطارحت بعد ذلك على مكارم الحضرة واستعذبت براحها • واعترفت بجرائر
نفسك وعظم جرائمها • وتشفعت بوجوه الدولة واعيانها • وتذرعت بانصارها
واعوانها • واستأذنت في ورود الباب مستعطفا ومستغفرا • ولذت بكنف
الرحمة متنصلا ومعتذرا • فاجبت الى ما اردت • وسهل سبيلك الى ما ارتدت •
خلفك
فامنك امام امامك وانت تقدر انه يبالغ في تعنيفك وتقريعك • او يزري
بسوء صنيعك • او يخاطبك على فرطاتك • او يطالبك بغلطاتك • او يحاسبك
على ما اثبته من الاقوال • او يعاقبك على ما اجترمته من الاعمال • حتى شاهدت من رفقا

عليك والاحسان اليك وتقريب مكانك وتجشم شأنك ما قوّى جاشك
وازال استيحاشك وسكّن قلبك وآمن سربك واصفح عن ذنبك وانساك
ذنبك قد عمّك وكنت عما اسلفته غافلا وخرجت في خلع الرضى رافلا وزرت
من الملابس بالوشي بالزمان لعادت بانه كلها ربيعا وترقيت من المنازل
الى ما استصغرت دونك الناس جميعا ثم لم تلبث الا يسيرا حتى تسنى الاقطاع
وجديد الاصطناع ونزحت الى ديارك وقد ردت احوال العرب كلها اليك
واعدت الى بلد دولتك وقد قررت الانقطاعات مع عظم ارتفاعها واتساع
بقاعها في يديك رغبة في اصطناعك واستخلاصك وحرصا على تهذيبك
واختصاصك وثقة بانك اذا عدت الى مستقر عهدك اظهرت ندمك
واثبت على الطاعة قدمك وتصفح عن المواضع التي خربتها بسوء جوارك
واثرت الفتنة فيها بقبيح آثارك وهدمت مبانيها بايدي اصحابك وشنت
نواحيها على اتباعك واحزابك فتنظم امورها وتسد ثغورها وتصلح فاسدها
وتثقف مائلها ونادّها وترتبط النعم التي غمرتها حوالك وعرفت آمالك
بشكر تصفو مشاربه وحمد تضفو مطارفه وخدمة صادرة عن خلوص
الاعتقاد وطاعة جالبة للرضى والاحماد فاعدت اليها حتى عاد جدبها مرتعا
قارحا وسانح خطبك بارحا ووجه امرك كالحا وسعد نجمك ذابحا
واشتمل عليك كل من يسعى في الارض بفساد ويقدح في الفتنة زناد
ويخوض في غمرات الباطل طامع الكواجح ويعدل عن نهج الحق راجعا على
ادراجه تعضدونك وتتابعونك واغرونك وبايعونك وكبونك من سوء
الذكر ما لا تقطع الايام اصوله ولا تقطع ايام الزمان فصوله ونسيت ما
ازل اليك من النعم ونسيت مما كان وجب عليك من الذمم ونسيت ما كان في
رقبتك من العهود السالفة وجحدت مواقع العارفة التالدة والطارفة وعوضت
نعماك الى المخالفة على المخالفة حتى انتقلت الايام والغيبة وانت عن ديارك
غايب وفي بلد داخرى ضارب وبلغك ما نقله الله الى امير المؤمنين
من ارث الخلافة وازال بظهور دولته من الفزع والمخافة ومهده لمن كان فيه
البرع التقعا وامده به من النصرة في الاصباح والامسا وما عم الخلق من
اشراق مطالع العدل في اقطار مملكته واحدق في طالع الامن بكافة رعيته
وما سارع اليه الحاضر والبادي والموالي والمعادي من التشرف بتشريف دعوته

والتبرك

والتبرك بجليل حضرته فلا سابغ الا استمر ولا جانح الا استقر ولا خائف
الا أمن ولا جانف الا لطف ولا مظلوم الا انتصف ولا محتاج الا
أُسعف فكنت تذكر بايامك وتستدل على مجدك باصطناعك وتحمد
وتعتد بخدمك ووسائلك وتتقرب بذممك ووصائلك وتتبجح
بدخول الحضرة المجددة بالخدمة عهدك وتجرد فيها جدك وجهدك
وتذكر انك خائف من امتداد ايدي الانتقام والاصطلام اليك
فزع من ارتجاع النعم التي في يديك وتستشعر ان لا تقال عثرتك
ولو استغفرت واعتذرت ولا تقبل توبتك ولو حججت واعتمرت
وكانت كتب النفاق تتصل الى ذلك تموه بمعاذيرك وتشبه باساطيرك
وترد باخبار قبيحة لم يقرع لها سمع ولم يشتغل بها ذرع فامرت بورود
الباب كما سالت وبلغت ما املت فوصلت وقد اغضى عن معايبك
وغطى على مثالبك واعرض عما ساء ظنك كشفها وعوضت من
كبائر ذنوبك عفوا وصفحا واعفيت من مؤاخذتك باجرامك ونسي
ما تقدم من آثامك وازيل ما لم يجمل في ضميرك ولم يكن في تقديرك
واوليت من الجميل ما لم ترتق اليه مطامح همتك ولم يتسع له مجال فكرتك
وشرفت من الخلع بما ضاقت ارجاء رجائك عن نيل بعضها واعطيت
من نفحات الاكرام ما انقبضت يد الزمان عن قبضها ونقضها واهلت
لاعالي المراتب والرتب وانزلت منازل الاشراف والاقارب ورفعت
من حضرة الامامة الى الطف مكان واوضحت بعد انواع الكرامة
من اشرف لبان ورشفت من حلاوة الترغيب والترحيب ونفاسة التقريب
والتلقيب بما لم يكن لاقتراحه قرائحك ولم تنهض باثقاله جوارحك
وظفرت من تضعيف اقطاعك بما انقطع عنه توقك وتكاملت
سنيه منتك وخرجت باملٍ فسيح ومتجر ربيح وسعي نجيح وسند رحيب
وقدرٍ مهيب تخدمك القبائل والعشائر وتعظمك القبائل والعمائر
وتحمدك ملوك الارض قاطبة وتقصدك وفودهم راغبة
وراهبة فاقمت بارفه الشام حتى غدت على عادتك القديمة واستمررت
على مرتك الذميمة وارخيت لطول فاتك حبالك وانثنيت سبالك
اخافوا بها السبل واضرموا بها الشعل وحركوا من الفتنة مناكبها واثاروا

ما الجاني الى دخول الباب ۝ وتمنيت الموت فيما يعلمه الله ولكل اجل
كتاب ۝ ثم ابتليت بقوم كلما رأوا شخصا ظنوه ركبا ۝ وكلما هبت
ريح تفرقوا فرقا ورعبا ۝ وكلما رأوا شبحا همّوا بالهرب ۝ وكلما طار طائر
اخفتوا البصر المتقلب ۝ هذا ومعهم من الخفراء والادلاء بضعة عشر نفرا
كانوا يزعمون انهم وجوه القبائل وفرسان القنا والقنابل فهي البازي يخطفنا
وينقلهم وهي متنزههم وملعبهم كانهم الصقور فوق الاوكار ۝ والغربان
في حدة الابصار ۝ اشهر من الكواكب ۝ وامضى في مقاصدهم من السهام
الصوائب ۝ واصبر على الظما القانع من الضب في الفلا ۝ واهدى الى
مظان الماء من القطا ۝ لا يضلون عن صوبهم في فحم الظلام ۝ ولم يجوزوا اخطيهم
في معظم القتام ۝ فلم يتقدم منهم الى المناهل فارط الا تحقق انه يؤخذ و
يسلب ۝ ولم يبق منهم الى المراعي رائد الا اتقى ان ينكس ويحجب ۝ الى
ان سهل الله لنا اليوم على طال ما اشرفت منها الى ارض الغري ۝ وتشوفت
فيها الى زيارة قبر الوصي امير المؤمنين علي ۝ ووصلت في بقعة تغبط الملائكة
زوارها ومجاوريها ۝ ووصلت الى تربة طال ما تشوقت لاشتياق زيارتها
واسترحت من التعب ۝ وامنت شدة الرعب ۝ وعلمت ان الله تعالى ذكره
وتوالى شكره ۝ لم يختم ان يجيل صنعه ودفاعه ۝ الا لما زودنيه سيدي القاضي
من سعادة دعائه ۝ ولم يخصني بمجاز بهذه السعادة الجليلة ۝ الا لما صحبنيه
سلمه الله من دعواته الجميلة ۝ ولم يخفف عن قلبي شغل الرعب ۝ الا لما اعتقد بنيته
ايده الله من حسن النية ۝ لا عدمه في جميع احواله السعادة والاقبال ۝ ولا
سلبه العز والجلال بمنه وعونه ۝ وعلقت بهذه الاحرف من الكوفة والحجيج سالمهم بها
يوم عظيم واستمروا على ان اسبق خبري واعجل ازدي ۝ وادخل بغداد مستترا ۝
واقيم بها سد حصيد الحجاج ومنتظرا ثم انصرف ان خرجت منها قبل ان تنصب الحبائل
وتتم على بها من اعدائها الغوائل ۝ واقطع منها المسافة بعون الله الى الري متعسفا
وان استقريت بعد هذه الاحوال في الدار ۝ وساعدني بما اريده المقدار ۝ طالعت
حضرته بشرح الاحوال ومجاري الاعمال ۝ ليقف عليها ان شاء الله وبه الثقة
ابو الحسن محمد بن الحسين بن ابراهيم المتوفي ببلاد الديلم كتب بها الى الري اليه
كتابي اطال الله بقاء الشيخ من جبل شهريار وقد ظعنوا من سعفر وقد شدّت على ابا الصبر وطريقه
وشكاني الدهر على حالة الشيعة ۝ وغادرني غادرا فنا الشيبي ۝ ورماني بسهم

في

كابنها • وألنت لهم عريكتك حتى ركبوا مراكب البغي • وذهبوا مذاهب
البغي • ولو شئتهم كما ملكت من قيادهم • وزممتهم عما اصروا به من اضداد
لشددت سياستك • وقطعت ألسنة الشامتين بك منك • وكبت
جيل الذكر لك • وحافظت على موضع الثقة منك • وابديت للقادح
في جاهك انك لله ولرسوله غير قال • والى ارتياد مصالحها سابق
غير تال • لكنك رضيت باعمالهم فسكت • وشاركتهم في حبالهم
فامسكت • حتى جسروا بعد جبن • واقدرتهم بعد عجز ووهن • واقمتهم
وكانوا من القاعدين • ونبهتهم وكانوا من الراقدين • وجشمتهم الى
في سدة الملكة لم تحلم عبدة الصليب بالوصول اليها • ولم تهم ملوك
الأرض بالهجوم عليها • وما زالت من قبلها تظهر للواردة • وتقر الجارة • وتبدي
الوادعة • وتحمي القاعدة • وتبلي المصالحة • وتبز الخلافة • وتري المسالمة وترجي
المزاحمة • حتى خذلتها الحوادث • وتدركها تحقد في قلبك وفرح كاشحيها امتها
وعطلت بقاعها • وخربت مبانيها • واستبيحت كرائمها • ونهبت مغانمها • وقدمت
مساجدها • وعفت مشاهدها • وقتلت رجالها • واستحلت اموالها • واخليت
اسواقها ومنازلها • وجعلت اعاليها اسافلها • وسلطت على المستورين بها كل
كافر • ومارق فاسق • حتى سفكت الدماء • وهتكت النساء • ونقلت ثوابت
منبرها الى سبيلك • وانحت ثم دعاها الداعي لك • فبئس ما يامركم به ايمانكم
ان كنتم مؤمنين • فلا ربك خفت • ولا الدين اقمت • ولا من مقالك
استنكفت • ولا المروءة عرفت • ولا على مظلوم رأفت • ولا لفجيع الاحد ويتمه
عطفت • ولا من نفسك انصفت • ولا دون الغاية في الظلم وقفت • ولا في
غدك فكرت • ولا يوم وقوفك بين يدي الله تذكرت • ولا استحلالك
محارمه انكرت • ولا لنعمه عندك شكرت • ارأيت ان لو عبدة الاصنام
وجحدة الاسلام ملكوا تلك الديار • وجاسوا خلال الامصار • هل كانوا
يبلغون من هتك محارم الاسلام بعض ما بلغت • او يسوغون لاخوانهم
واصحابهم من الفواحش العظام جزء ما سوغت • او يأتون من الجرائم شطر
ما أتيت • او يسبون من الحرائر واحدة مما سبيت • او يجترحون من السيئات
شيئا مما اجترحت • او يجيئون من المنكرات مثل ما جئت • او هل نزل الزنج
باهل البصرة • ما نزلته باهل الرملة • او هل حل اعلاج الروم باهل البلد

الاصطناع جمع صنيع وهو الاحسان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما أحلته من النكال والمثلة • أيحل لمؤمن يسمع بهذه الخطة الشنعاء التي لا
يستحلها من يؤمن بالله ورسوله • ولا يستحلها من يخشى في المعاد جزاء عمله •
ولا يستحسنها من يتحقق أن يوما من أهواله مسئول • ولا يستصغرها من يتيقن أنه
غدا إلى أفعاله موكول • أن يقر في مكانه • ولا يتعرض الساعين من أخوانه • أو يتهنا بطعام
وشراب • ولا يجمح في طلب الثواب من إهابه • أو يتخلف عن مطالبة أوليا الأوصال
بدما الأطفال • واستنقاذ بنات الأشراف من أيدي الأجلاف • أم هل يسوغ
لمسلم بلغه هذا الخبر الشنيع • والنبأ الفظيع • أن لا يجفو من مضجعه جنبه
ولا يرق لمحتوم قلبه • كلا بل دون هذه المعصية الفادحة في الإسلام
الفاضحة للحكام • الطارفة للأحلام • الجالبة للآثام • المزلة للأقدام • الباقية
على الأيام • ما يذهل الألباب • ويقطع الأسباب • ويشيب رؤس الولدان •
ويميت نفوس ذوي الإيمان • لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع
قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد • فقد غرك طول الإملاء والإمهال • ودوام
الإبقاء والإغفال • وقد غالك البطر • إلى مغالبة القدر • وحداك الأمل
على مناصبة الأجل • أحسبت أنك أخذت البلاد بيدك • أم فتحتها بأيدك
أظننت أنك لما غنمت سلمت • وبعد ما نجيت أمنت • وأن الزمان أعطاك
كتاب أمان • والدهر خولك بعد شماس وحران • والأيام ساعدتك • و[illegible]
أسعدتك • أم قدرت أنك غير مأخوذ بمظالم العباد التي سود الله بها
صحائفك • أو غير مسؤول عن المحارم التي أنكر الله فيها مواقفك • وأن عواقب
البغي لا تصرعك شرقت أم غربت • ومخالب الظلم لا تتعلقك طلعت أم أفلت
وأن عين المظلوم لا تلحقك صعدت أم صوبت • وسيوف الخليفة لا تدركك
قربت أم بعدت • لقد كذبتك نفسك • والله ما بينك وبين الخذلان
إلا بمقدار ما يغفل أمير المؤمنين من أناتك • وييأس من إجابتك • ويعرض
عن إقالتك • ويتبرم بفرط تلكؤك واستغفالك • ويسمك بميسم الفضائح
ويشيع شنيع أخبارك في البلدان • وينزع عنك ما ألبسك من ملابس
الافتخار • ويرتجع عنك ما أعارك بيد الانتقام والانتصار • ويخفق
من أعويته بخطام • وأذهبته من أموال الناس بحرام • إنك مغضوب عليك •
ومسلوب ما في يديك • وإن كان أقرب الناس إليك نسبا • وأوكدهم
لديك سببا • ويرى أنك مقصود كيف سريت وسرت • مطلوب

[illegible]

حيث صرت وطرت • وانزلك عبث بك ايدي الصغار • ودارت عليك
دوائر الاغترار • وامتدت اليك اعناق الادبار • وطلبتك خيل
المهاجرين والانصار • وان العزائم الصادقة مصروفة الى اقتناص
والاستداد عليك مصروفة دون خلاصك • حتى يضم عنك طارفه •
ويضرب فيك اطرافه • ويظهر فيك خلافه • ويصير لك حربا • وعليك البا
فيه وسنان بقدميه • ويتبرا منك خوفا على دمه • فاين المفر اذا من الله
جلت قدرته وقد سخطته برضاك كل خارب داعر • وعصيته في طاعة
كل ناعق في الفتنة ناعر • واي حجة لك عند ربك وقد هتكت الحرم واخفرت
الذمم • وكفرت النعم • واهلكت الامم • وما تقول لمولاك الذي آواك وكنت
شريدا • وادناك وكنت بعيدا • واغناك وكنت فقيرا • وانماك وكنت صغيرا •
وقواك برجال حتى لانت اخادع الايام لك • واعطاك من اموال ما جاوزك
فيه املك • واوطا عقبك • وقدمك على من تقدمك في الحسب والنسب •
واين المهرب من الليل الذي هو مدركك • والسيل الذي هو مهلكك • ان رحلت
جعلتك تبعات السلاطين فقصرت خطاك • وان نزلت زلت بك قدماك
بما قدمت يداك • وان غربت فمغرور مغلوب • وان انجدت فمجهود مكروب
وان غربت غربت شمس اختيارك • وان شرقت شرقت بنفسك اوزارك • وان
نمت طرقتك طوارق السيوف • وان انتبهت ارهقتك صواعق الحتوف • وان
شربت تصورت لك في مشربك آثامك • وان اكلت اخذ بمخنقك طعامك
فلا ملجا • ولا وزر • ولا منجا • ولا معتصم • وكيف وقد خطات مقاصدك •
وتخطيت مراشدك • واسرفت في ظلمك • واجنفت في حكمك • فلا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار • الم تر الى الذين
بدلوا نعمت الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار • لقد من
عليك امير المؤمنين مرة اخرى • وذكرك بهذا الكتاب ان نفعت الذكرى • وبلغ
في الابقاء عليك الغاية القصوى • وحذرك نكال الآخرة والاولى • ودعاه ربط
شفقته على خدمه وعبيده • وحسن ثقته بربه في تمهيد ملكه وتشييده •
الى الانذار قبل الانتصار • والاعذار قبل الانتقام • وقد لك البقيا بينا انتم
نسبك اخذا بالادب الموروث من آبائه • ومستعينا بالله على اضداده واعدائه
فان وفقت للتوبة والانابة فلا مقنط من اصلاحك • وان عدت بها رايت

سوء صباحك والسلام على من اتبع الهدى

الفصل الرابع في كفران النعم وذكر شيء مما ورد فيه من الوعد والوعيد وهو يشتمل على ثلاثة من جماع

عقال النعم من أراد أن يرتبطها بفنائه مقيمة ويضبطها
عن التحول والتنقل سليمة ويحبس لديه جمالها فلا ينقص ويحرس
عليه ظلالها فلا يتقلص إطلاق عنان الشكر لوليها حتى يجري رهانا في
مضماره وانطلاق لسان التحدث بها ليتصرف على حكم اختياره
ونشر محاسنها ليتضوع نشرها ويفوح وإظهار ما بها ليلمع
نورها ويلوح واستدامتها بالذكر الجميل لتصفو خالصة من الشوائب
والنوائب واستتمامها بالحمد الجزيل لتضفو عليه عارية من المعاير
والمعايب واستشعار طاعة المنعم بها حيث سار مصعدا ومصوبا
واستمساك بحبالها كيف دار مبعدا ومقربا واعتقاد وجوبها
مسرا ومعلنا واعتقد فروضها انقيادا لها ومذعنا واتقاء
الشكر أدب من الله أمر به وندب إليه وأمر عظم قدره وحث عليه و
سبب للزيادة وطريق إلى السعادة ومفتاح يفتح أبواب النجاح ومصباح
يستصبح في المساء والصباح وجنة من سهام الأيام واقية وغنية على اختلاف
الأحوال والأعوام باقية وفضيلة تشار بأصابع الهيبة والإجلال
إليها ومكرمة تناخ بركائب الثناء والإطراء عليها فأما من قابل نعم ولي
نعمته بكفر وجحود وعارضها بغموط وكنود وستر وجوهها بسدا إغفال
وإهمال ونظر إليها بعين استحقار واستقلال وغطى عليها أنفة منها
واستنكافا وسترها عنها ازدراء بها واستخفافا وطواها فلا ينشر
صحائفها وألقاها إنكارا لمعارفها وتناساها وهي في العالم مذكورة
وأخفاها وهي فوق الأعلام منشورة وتلقاها بيمنى يده ظلم
الخدع والريب وغدر بعقده في الطمع والكذب وتبرم بها تبرم من
جهل قدر نفسه وأعرض عنها إعراض من استشعر بحظها حدسه وفساد
حسه وسئم سآمة من تبطر ناعية صباح وراغية رواح وعزف عن
رباح ثروة لا تؤذن بصلاح فقد صد عن سبيل الباري وقصد
لمقت البرية وأعرض عن رضى الراعي وتعرض لسخط الرعية وامتنع من طاعة
الله وتوحيده وخلع ربقة الإيمان عن جيده واتبع الشيطان برفل

معرفي ملابس خلافك • ويدلس في صاد من الغواية بجوائز واطلاق •
وضل عن المنهج الارشد • والمسالك الاقصد • مجاهرا برأيه الذي يقوده الى
شقائه • ومعترا بطاعته التي تؤذن بانقلاد عنه • وبانقبار زمانه الذي
يزمنه بانتحازه وامتهانه • ومائلا مع آماله التي تسوقه الى اوحاله ولو كان
منقلبا من سنن الحق على عقبيه • لينشب في حبائل عقابه وعطبه •
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين •
وقد جهلك ولا يقال علمك ما كان من جميل صنع الله جل ذكره لك وجزيل
عنايته بك • حين اخرجك من ذل الاسار • الى عز الابصار • وخلصك
من ايدي الاعداء • الى ايدي الاولياء • وعوضك عن ضنك محبسك
رحب مجلسك • ونقلك من ضيق كبولك وقيودك • الى محل اقبالك
وسعودك • واسلمك من الوحشة في مكامنك • الى الانس باخوانك •
وازالك عن شرف اشرفت فيه على حمامك • وتمثل الموت فيه عند عيون
رقبائك • الى اخبيتك وخيامك • وما بينك الذي لم تحتمل به في نيل
وشاهدت كيف كان دفاع الله عنك حتى نفث وثاقك • وتنفس خناقك
وتحلل انطلاقك • واتسع عليك نطاقك • ورايت كيف نصرت على الباغي
عليك • وظفرت بالساعي ليك • وكيف ايدت حتى انتقمت ممن نكث بيعته
وعهده • وكيف استعذت ممن جاوزت ممن تجاوز في الغدر حده • فلو
انتفعت بها وعظتك بالايام في تقلبها • واعتبرت بما دلتك عليه
الاحكام في تنقلها وتصعبها • وتادبت بما ارتك الملوان من عجائب
تذهل منها العقول • ولقد بت بما يتهذب به الفاضل لا المفضول • ووعيت
قول الله سبحانه حيث يقول • واذا مس الانسان ضر دعوا ربهم منيبين اليه
ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون • لجعلت الشكر لله تقدست
اسماؤه امام افعالك • والتوكل عليه زمام اعمالك • ولما بعت آخرتك
بدنياك • ولما زلت عن مقادم الطاعة قدماك • ولصفا عن سوء
الاعتقاد ضميرك • وتخلص من وبال الغدر والفساد جميرك • ولجلست
في الوفاء سريرتك • واستحصدت في الولاء مريرتك • ولحسنت في آثار
الخير آثارك • واشتهد في ابتناء المجد مرهبك وعقارك • لكنك نسيت
صنع الله الذي اولاك حتى توالت عليك من النعم رغائبه • وتولت عنك

من الردى كتايب . ودرت سحب اموالك . وكذبت شعب آمالك .
وهب عليك من الاقبال نسيم . وانصان لك بعد الابتذال حريم . و
تمهدت لك فرش السلامة فانت عليها تتقلب . واستملت قلوب العامة
حتى تهابك ولا تتهيب . ونبذت طاعة مولاك الذي اولاك ما تقصر
همتك عن بعضه ومناك . فاصبحت تسر نفاقك بوفاق تظهره .
وتستر باطلك بحق تجاهر به وتشهره . وتغطي على عصيانك بشعار الدولة
تقلبه وتعلنه . وتوري عن عداوتك بتقربك الى الدعوة لا تصدق
فيه ولا تحسنه . وتنبي عن اخلاصك برسايل تدل على تخرص وكذب
وتمنع من اقتناصك باحابيل لنت بتبع ولا غرب . كانك لم تدرك
امير المومنين علم اول امرك واخره . وعرف باطن مكرك وظاهره . وتحقق
ما كان منك حين دعوت غيرك الى العناد والنفاق . وما القنه على شق
العصا والشقاق . واستحثثته من استشعار الخلاف ما كان سببا في
استكنك الى تمادي بامالة لا تجلب الارتجاع . وخدعت مخالفيك بايمان حانثة
اظهرت لهم بانك تنصح نصحا . وانك كذبت لنفسك كذبا . واريتهم فيما انك
تزين لهم ما اخترت لهم ربحا . وانما سعيت في مصالح احوالك سعيا . وموهت
عليهم باباطيلك زعمت بها انك تريد بها عمارة احوالهم وانما اردت خرابها .
واوجبت اليهم باقاويلك ذكرت انك تحب غزارة اموالهم وانما احببت ذهابها
وانتهابها . غير عالم بان الله سبحانه مطلع على سوء خلتك وتعطيلك .
وفساد جملتك وتفصيلك . وانه قادر على ان يبعثك الى شر ما كنت عليه
من مقاسات خزي وذل . ومعاناة جامعة وقل . وتحمل هوان وحبس . وتجرع
خذلان ونحس . ثم انقرضت بنائل رايك . وتجردت لمعادات اولياء الدولة
بمظاهر تمعنديك واعتدايك . وطفقت تستبيح بلد امير المومنين
بكلاب جمعتهم الاهوا الفاسدة . والاراء الشاردة . ونفتهم الراصدة . والنيو
الفاسدة . وجلبتهم بالخدايع والمطامع . وتجيد لهم البيض القواطع والسمر
الشوارع . وتقتل رجال دولته صبرا غير مشفق على احد . ولا خائف نقمة
قصاص وقود . وتستولي على حصونه وقلاعه التالفة لاصلاحك وزعمت
الحوزة لحالك ورتبلك . المعززة لحسبك ووجهك . الاخذة ببصرك
وتمنيك . معززا انك اخذتها وملكتها بشدة قراعك . او بتطاول

باعك • وانارتها بحيلك وانواع خداعك • مطرحا الحشمة والمراقبة •
وغافلا عن عاقبة المعاقبة • وسائرا في رعاياه بسيرة الكفار ضاربا على
مثال الهوى • ناحيا على منوالهم • تهلك سليمهم وسقيمهم • وتستخرج مهجهم
وتحريمهم • وتستاصل طارفهم وتالدهم • وتستاكل قاصيهم ودانيهم • وتحكم
في اموالهم واولادهم • وتهجم على ذراريهم واحشائهم • وتاتي اتباعك اولياء
الشيطان • واشياعك ابناء الطغيان • بشن الغارات في السبل على السوابل
وقطع الطرق على الرسل والقوافل • واضرام نيران الفتن واشعالها •
وارسال طلوبها الاحن على ارسالها • وتطلق ايديهم في تخريب الممالك
وتغريبها • وتانيب الممالك بعيدها وقريبها • حتى جلوا الناس بتغاريجهم
عن مقارهم • وابعدوهم بعدوانهم وطغيانهم عن اوطانهم وبلدانهم وحصن
شتوتهم الشام • وحرموهم الاسلام • فما رموا سهما الا من كنانتك • وما حطوا
خطاما الا بخزانتك • ولا اثاروا كامن فساد الا وقد قدحوا فيه بزنادك •
ولا اثاروا باطل محال الا خرطوه من قتادك • وانت واقفيهم بنادك •
ولا سلوا صفيحا الا المصقول حزبه وغراره • ولا ركبوا صعيبا الا الزحوف
اثامه واوزاره • فقد تخلفت في اعتناق الغدر عددهم • وتوثبت في هدم قواعد
الدين سوا عدهم • وصمت في حماية حمى عقايدهم • وامنوا مكر الله ولا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون • وفي ذلك كانت مخالفتك بل مخالفتك
حثهم على المجاهدة بالفسوق • وحثهم على المظاهرة بالعصيان والمروق
وتزعم ان الايمان التي في اعناقهم متى ما حنثوا لا تنشد ايمانهم • وان البيعة
التي تقلدوها متى ما نكثوا لا تهدد اركانهم • مستخفا باليمين • مكذبا بيوم
الدين • مفتريا على الله ورسوله • متبريا من فروع الدين واصوله • مستحلا
الشريعة • منظرا للخديعة • فاتلا بضلالك وغلوائك • واصلا حبالك
غرورك بجولانك • الى ان تعلمت منهم دقائق سحرك • وبثت عليهم طرائق
ختلك وختلك • واصغوا الى لوازمك التي ما انا دنت بها اعراض الجهال و
طغوا بغرور محالك التي كثر ما دلسها والبسها على الاغمار الاغفال • فشت
اليهم بحزب الشيطان • واحزاب البلدان الذين استشرى عليهم الخوف واستولى
عليهم السفه والحمق • تريهم من نفسك انك سارعت الى مساندتهم ومساعدتهم
وانما رمت مكايدتهم ومطاردتهم • وتظهر انك بادرت لاعزازهم وانجادهم

التانيب التوبيخ والتعنيف

والى

وانما كلفت ذلك لاذلال اجدادهم • ولكن غرضك فيما فعلت • ومرادك ما عملت • في ان تجلس غدا في نوادي العرب بين زعماء عقيل ونمير • ورؤسا كلب وقشير • ثانيا بعطفك • متحاميا بانفك • مفتخرا انك جست خلال ديار طي فدوخت القبائل بخيلك ورجلك • وقسمت الغنايم دونهم على عشيرتك واهلك • ووطات باعقاب رجالك رقابهم • ودست بحوافر دوابك اصلادهم • وخربت ضياعهم بايد الكفرة الذين حشرتهم حواليك • واستفت كرامهم مع الاكرة الذين حشدتهم اليك • واستخففت عربا صرحا كانوا اقدم منك نسبا • واوثق عصبا • واصح ذمما • واكثر حولا وطولا واكرم اصولا • واوفر فضولا • واكبر نفوسا ونفاسة • واجل اقدارا ورياسة واوسع جفانا • وارفع نيرانا • واشد ضربا وطعانا • واسمح في الازل والمحل بنانا • واعز احلافا وجيرانا • واعظم مكانة وامكانا • ولو عرفوا مكنون اعتقادك فيما فعلته • ووقفوا على باطن مرادك فيما احتملت من نفسك وبذلته • لبعد عليك يومئذ ان تستاف ترابها • فضلا عن ان تذل اصحابها • وترى هشيمها فضلا عن ان تستبيح حريمها • وترد ماءها فضلا عن ان تسبي نساءها وتسوق نعمها وشاءها • ولكن نفقت عليهم زيوف كلامك • ودبت فيهم صنوف سمايك • ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم • عسى يا ابن مرداس حدثتك نفسك لما استدرها امالك وارهالك • وتشعبت احوالك واعمالك • وطال اغضاء امير المؤمنين عن معاجلتك بالعذاب الاليم • ومقابلتك بما استحققته من التعنيف والتقريع ومطالبته باجتنابك ما اخذت من العظايم التي لا يحل لمسلم ان يغضي عنها ويغض • ولا يسوغ لمؤمن ان يترك جهاده عليها ويرفض • ومحاسبتك بما جمعته من امواله • ومعاقبتك على ما سفكته من دماء رجاله • انك من المنظرين • او آمن سوء عاقبة صباح الغد ام حسبت ان كبائر ذنوبك التي اشتهرت برا وبحرا مقابحها ومخازيها • والتزمت سهلة ووغر افضائها وتساويها منسية • او فواقر عيوبك التي انكشفت للعرب والعجم مضارها ومعايرها • وعرفت في الجبل والحرم انباؤها واخبارها • مطوية او قاعدة عما انت من انتسافك واختلافك • ولو كان فوق السماكين مسكنها او البحار قاطعة عن اختراقك واحتلاقك • ولو كانت الافلاك فلكها • او الذين

دثرتهم من اوبار وجموع ● وكسوتهم من عري واطعمتهم من جوع ● افلا تحققوا
انك القيت ردآء الطاعة عن منكبك ● وركبت ركوب العصاة العتاة
اي
في موكبك ● وان امير المؤمنين صرف في طلبك همة لو امر بها الفرقدين لاخذ
وجدّ في بابك عزمة لو طلب بها الخافقين لحواها ● وان العساكر المنصورة قد
انفقت على استعدادها ● والبواتر المجردة قلقت في اغمادها ● وان الخيول اليك
نوازع ● والرماح نحوك شوارع ● وجنود الاسلام وسراياهم تحالفوا على ان لا
يقفوا دون لقائك ● وتبايعوا على ان لا ينصرفوا من ورائك ● ولو حللت
من الارض في اضيق وجار ● او رحلت في بلاد الله الى ابعد دار ● وهل تو ولا
يقتلونك وانت اليهم بسمة العصاة ماض ● ام هل لك ارض تقلك وولي
تعتاب عنك غير امن ● ام هل مسلم لا يؤثر ان يكشف الله على يده الظلم والغم
ويريح من اضرارك واوضارك الامم ● ام هل جميع من جمعتهم طايفة لا يتشوقون
الى استيطانك واستلابك ● ولا يثبتون دون من حطم آمالك واحلامك ● ولا يتبرعون
بتسليمك الى من رامهم من فقر ● واغناهم من فقر ● وكساهم عقيب تبذل ● واركبهم
بعد طول ترجل ● وجندهم وكانوا رعاة ● وكساهم وكانوا عراة ● وانّى عليهم ماشية
ثلم الخواطف ● وجاوز حدود امانيهم وآمالهم ● فانه والعياذ بالله اخلفوك
ظن امير المؤمنين فيهم ● وقابلوا النعمة مع جلالة اخطارها ● ونفاسة اقدارها
عندهم بما يفضحهم ويخزيهم فلا طمع لاحد في اصطناعهم ● ولا فائدة في تجربتهم
عند من كانوا اصطناعهم ● وكيف يهابونك ويحتشمونك ● ام يجلونك ويعظمونك
وهم يعلمون يقينا انه اذا ارتجعت عنك حواري الانعام ● ونزعت عنك ملابس
الاحسان والاكرام ● وهبت اعصار الاعتبار والادبار عليك ● ونظر بعين
الاستصغار والاستحقار اليك ● ومحا من جريدة الامارة والزعامة اسمك
ونحي من صحيفة الاولياء والاوصياء رسمك ● وانحطت من مراتب ذوي
الاختصاص رتبتك ● وسقطت بين العوام والخواص هيبتك ● كانت
كل واحد منهم ان فاضلتهم في طبقات اولي الغنائم لم تفضلهم ● وان ناضلتهم في مقام
الرماة لم تنضلهم ● فلا يسول لك شيطانك انهم يعادون الدولة المنصورة
في موالاتك ● ويحتملون اذا هويت عليهم والتجأت اليهم على علاتك ● او يؤثرونك
على مصالح احوالهم ونفوسهم ● او يختارونك على الجلاء عن اوطانهم ومساقط
رؤوسهم ● او يحامون عنك ليبيح المجاور بهم نساءهم واولادهم ● او يتبعونك

في مهربهم ليملكوا المرتكبين مقادهم • هذه ان غرتك نفسك فراسة ولكنها
فاسدة باطلة • ومخيلة ولكنها كاذبة زائلة • حينما ترى العصبة العادية
والكلاب العاوية • والفئة الباغية • والطائفة المنتدة في الضلالة
المتمادية • اولياء الدولة وعبيدها • وابناء الدعوة وجنودها •
منقضين عليك • وعلى من انضم اليك • وترى الرايات المنشورة خافقة
والالوية المنصورة بالظفر ناطقة • حتى يخفق قلبك • ويجب روعك •
ويشتد روعك • وتتبدد جموعك • وتنكوي نفسك • ويضيق
انسك • وتخذلك حفظتك وحرسك • ويأخذك اوهن الناس
منك تشاورا وتحنا • واوثقهم عندك ذماما ووفاقا • واشدهم تحننا
عليك • واكثرهم تحببا اليك • ثم تبصر كيف تداوى آخر دوائك بكي •
وتجازى على ما اسلفته من جهل وغي • وهل يجازى الا الكفور • فتنبه
من رقدتك قبل ان يزيد داؤك • وتريك سوء فعالك ما فيه
شقاؤك وتناؤك • واصح من سكرتك قبل ان تخبطك الايام بغيهم •
وتندم ولات حين مندم • وزح الغشاوة التي اظلم منها قلبك وبصرك •
والغباوة التي تولد منها ازلك وبطرك • واستقص النظر • واستبر
السير • لتعلم كيف كان عاقبة من كانوا قبلك ممن هدموا اركان
ايمانهم بحنث • وتلوا ايمانهم كذبا بنكث وخبث • وسعوا في الارض
فسادا • واعتقدوا في الدين الحادا • واستولوا على ولاية ولاة امورهم
واستهوتهم الشياطين بخدعهم وغرورهم • وملكوا الحصون والقلاع •
واخذوا الضياع والرباع • هل بنت الايام لهم مجدا ام قضت لهم
صيتا وعزا • ام هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا • هيهات •
وايم الله ان الباطل وان طال مدده لزائل زاهق • وان الحق وان قلت
عدده لثابت ماد شارق • وان ائمة المسلمين الذين استرعاهم الله امور
خليقته في ارضه • وائتمنهم على اسرار حقيقته وفرضه • وفوض اليهم تراث
الرسالة • واقام عليهم لباس العز والجلالة • وان عرض لهم في بعض
الاحايين ما يشغل قلوبهم • ويؤخر مطلوبهم • ويلجئهم الى ممارسة
الاوجال • او يحوجهم الى مداوسة صعاب الاحوال • او يحوجهم الى
مغامسة لخطوب الثقال • فخوذتهم ابدا الحية • وبيضتهم مرعية • ولقيتهم

والفضل والذكاء والغناء والاستقلال والاحتمال ما لو استعمل
بعضه لصار مبرزا ولو تظاهر بجزء منه لما وجد لحاسد فيه مغمزا
وفقه الله لطاعة وليه ورضاه ولا سلبه الفضل الذي كساه وحباه
بعينه واره وعونه ودع على مشانئ الايام محله وبلغه امله
بلطفه وعطفه وقد كان من ابين ما يلزمني واولى ما تقتضيه
الحال بيني وبينه في المجالسة والموانسة والمحبة التي استحكمت
بيننا فصارت قرابة والمعاشرة التي حسنت فلم نخلق بها معابة
ان ابادر الى الحضرة المقدسة واشاركهم في اقامة حقوق التعزية
بكرة وعشيا واساهمهم في احتمال الفجيعة وان كان لا يغني شيئا
ولكن العذر في هذا الباب لا يخفى عليه وتحقق باني ان تاخرت
عنه فقلبي لديه واتطلع لما يرد على من كتبه مشتملة على ذكر ما اتاه
الله من الصبر الذي لا يحبط اجره والجلد التي بني عليها امره لاسكن
اليها واعتمد بها ان شاء الله وبه الثقة

وله الى الشريف القاضي في حبيب ابي الحسن محمد بن الحسين كتب اليه من طبرستان

مضى لي زمان لو اخير بينه وبين حيوتي خالدا ابد الدهر
لقلت ذروني ساعة وحبيبنا على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري

كتابي اطال الله بقاء مولانا الشريف الجليل وادام دولته وسناه
وكبت اعداءه من بعده وقد طالت ايام بعدي عنه حتى حسبتها
دهرا وانطوت احشائي على شوق الى الحضرة الشريفة احسبه
جمرا وايام الفراق طويلة وان كانت قصيرة وامداد الشوق
كثيرة وان باتت يسيرة وقليل قذاة العين غير قليل والصبر
الجميل على بعاد الاخوان غير جميل والكريم يتلهف على مفارقة
صاحبه حسب اتحاده كان بقربه ويتشوق في حال بعده على
مقدار موقعه من قلبه وكيف يكون حال العبد اذا فارق مولاه
وبان من عنده كمال دينه ودنياه وفقد من هو مفقود النظير
ادبا وفضلا وعدم من هو معدوم المثيل فرعا واصلا واعرض
عمن اقبلت الدنيا عليه وهو معرض عنها ورغبت في التشرف بمكانه
وهو زاهد فيها وغاب عمن يتاسف انس عليها عدمه لما فاته

معمورة • والوجوه منصورة • واكنافهم مضبوطة • وساحة دولتهم محوطة • و
اسباب سلطنتهم موصولة • واطناب قدرهم مجدولة • والله جل اسمه يشفعهم
متكفل • وبتاييدهم متفضل • وليبسط ايديهم ضامن • ولاعدائهم ومعانديهم
لاعن • فيا من ازلت • ليتيقن ان امير المومنين ان بالغت نفحتها • واطيعك من
التذكير والتبصير فيها • واردت ان يغلق باب الصفح ان رزقت الاستصفاح دو
اوليت من فرجها اذا عرفت ركونك الى الطاعة وسكونك • وقد هديتك الى نهج
ان اعانك التوفيق • ودعاك الى التوبة من قبل ان ينسد عليك الطريق • فان
نزعت بعد الاعذار والانذار الى امتثال امره لم تعدم مشهور مكارمه • وان
استمددت بعد الابقاء والارعاء من نعمته • لم تحرم شامل رحمته • وان ضرب
الشيطان بينك وبين الانابة بالاسداد • وسد عليك بالخذلان ابواب الرشاد
والسداد • اوردك موردا ما عنه صدر • وتركك ولا يبقي ولا يذر • وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب الاية •

الى بعض اصدقائه من الاشراف في الدعوة

فارقني الشيخ الشريف الظريف ايده الله وان كانت وحشتي لفراقه غير بارحة
وما عندي فرح بسعادته كل جارحة • وتركني وانا اطول ليلي ارعى الكواكب • والوي الهما
واذكر من محاسنه جماله • واضرب بذكائه واستيفائه حقوق وفائه مثله • واصف
من اخلاقه الرضية ما يطرب كل سامع • ويعجب به كل بارع • ويحسده عليه اهل
يتنزل من الشرف على شرف • ويتعلق من البراعة والظرافة بطرف • واغلو في امتداح
اثره • واذكر ما سارت به الركبان من جميل سيره • حتى خشيت عاقبة الانقطاع • وامنت
مخالفة الاجتماع • وهل يخفى علي اني اقدم من صح في نسبه النسب والادب محلى
واعظم من يفتخر الى بيت كان للوحي مهبطا ومحلا • واجل من حوى الجلالة من جميع
اقطابه • وفاق الاقران بحميد مآثره وآثاره • لا زال من النعم في اخصب جنابه
وارحبه • ومن السعادة في اطيب عيش واعذبه • ومن العز في لباس لا يبلى
ولا ينتقص • ومن الاقبال في ظلال لا يزول ولا يتقلص • ولا سلبني الله الانس
بلقائه • والتبرك بطول بقائه • بمنه وعونه • الشريف الظريف ايده الله لا زال يذكر من
اوصاف الطعام ما يبعث كل شهوة خامدة • ويلهب بطيب نعته كل معدة باردة
جامدة • ويدعو الشبعان الى الطعام حتى يجعله نهما • ويتقدم من غرائب الالوان ما
يترك كل جائع تخما • وتجد لصوت الاضراس في اذنه من اللذة ما يجده شراب العقار
من نغم الاوتار • وترنم الهزار في الاوكار • والوتور من برد الفؤاد عند ذلك

63

والكرم من الذئب عن مجان • وازالة الاعسار عن الاحرار • والممدوح من
سماح خديجة يوم الفخار • حرصا على ان تستنفر الناس الى دعوته كما يستنفرون
الى الجهاد • وبحثهم على مائدته اجتماعهم في الاعراس والاعياد • ورغبة في بذل
الطيبات من الطعام • ونزوعا الى جده عمرو الندى هاشم • ومحبة لان
يرى بيت ضيافته بلا باب • ودارها بلا حجاب • وحرم خبزه مباحا
من شاء دخله • وجناب طعامه نهبا من اراد اكله او حمله • ولما ذكر الباجة
الحلبية تحلبت اشداقي • واستخفت ساقي • وبت ليلتي لا ادري في المنام
الا كاني بحلب • وانا في مرعى كلا الحلب • وبين يدي الطيب والحلب
ولما ذكر بعدها المضيرة تمضرت شوقا الى طلعتها البيضاء الغراء • ولم
اسمع بحديث الكنافة حتى اكتنفتني من السعادة بلادلها • وانصرفت عني
صروف الدهر اوجالها واهوالها • وعلمت اني لا ارى طوالع النوادر مقبلة
مقبلة بالنصر والجلالة • مصفوفة على مائدة قوراء كالهالة • حتى ترجع
حتى كتائب العسر فليلة • وتقصر ورني قواضب الدهر كليلة • واصبحت اليوم وقد
ارسلت الرسل واصدرت الكتب للاصدقاء • واوفدت الى [illegible] رسولا
قاصدا حتى يبادر كالحية الاصدقاء لحضور المائدة • وان اخر الله في
الاجل اربت النزهة ابده الله في داره زحمة ولا زحمة الحجيج يوم النفر •
وحشرا ولا حشر الناس في موقف الحشر • واكلا ولا اكل النار الحطب اليابس •
وتمزيقا ولا تمزيق الاسود الفرائس • ونسفا ولا نسف الرياح دقاق الذريرة •
ونهبا ولا نهب الاكراد مالي على باب الجزيرة • فليكن ادام الله سيادته
بنا وعده منجزا • ولا الامر مستبعدا • انما نعد له عدا • وليعتد الطباخ
على اصطلاح الالوان • وتهيئة الجفان • لئلا ينام الناس من الشكر
لنومه • ولباس تسويد مطبخه ليبيض وجوه عارفيه • ولا يواخذني باللغو
بلغوي في المجون فهذا الوقت طرفة محبوبة • ولا يستوحش من دعابتي
فالعادة مطلوبة • والسلام • في مفاداة الى بعض اصدقائه
وطلب منه [illegible] لاستخراج المهمات يا سيدي ادام الله بقاك
خواطر ذكية لا تخونها • وآراء نقية لا تكبو فرسانها • واذا صدئت
مرآة الافكار • وعميت عن الاهتداء لطرقها ابصار اولي الاستبصار •
وشاب الفهم الصافي ضعف المشيب • ونبته مصائب الدهر عن الراي المصيب

[illegible]

لم يكد يدرك الاغراض القريبة فضلا عن البعيدة • ولم يصب
المرامي السهلة فضلا عن الصعبة الشديدة • واشد ما تكون المعميات
ما تكون الالفاظ التي يتصرف فيها المعمي غير صادرة عن الذهن البليد •
ولا معقدة بالاغراب والتعقيد • بل تكون مقبولة لا تمجها الاسماع •
معسولة لا تنبو عنها الطباع • مستعملة غير مهملة • منقاة غير ملغاة •
مستقيمة غير سقيمة • مثقفة غير متكلفة • فاما اذا اعتلت الالفاظ
واختلت • ومالت عن منهج الصواب وعدلت • وقيدت المعاني اليها
بازمة الاستكراه • وبعدت اوضاع اصولها عن القرائن والاشباه •
فلا تثريب على صاحب الطبع الجلي اذا اراد ان يستخرج المعمى ان يتبلد طبعه
وينتقض عليه اصله وفرعه • ونحن نسال الله الهداية والكفاية لغز في عود
ابن لي اعزك الله ما مملوكة صورتها صورة المراة الحسناء والشوهاء •
وحليتها حلية الثيب والعذراء • تاوي الى سندس وحرير • وتبيت
بين استبرق وحبير • ومطلعها مع مطلع الشمس • ومغيبها في غير
الرمس • صماء واذنها مفتوحة • وكحلاء وعينها ممسوحة • ولغاء
وشفتها دقيقة • وبخرآء وطلعتها انيقة • امها ضعيفة • ومرضعها
لطيفة • وابوها قديم • ومدبرها حكيم • نشأها في السماء لولا انها
خالية من الكواكب • وتحاكي الماء لولا كدورة المشارب • مطروقة
المناكب • فلا اسنانها جديد • ولا لبانها حديد • ولا راسها طويل •
ولا باسها قليل • يدها يد البخيل • وجيدها جيد العليل • تسقى فلا
تروى • وتغيب فلا تنسى • ان قبلتها كرهت التقبيل • وان ضربتها
اكثرت العويل • تجمع الطبائع الاربعة وهي واحدة • وتبدع الصنائع
وهي فاردة • يظهر ظهرها الازهار والانوار • وتحمل الاثقال الكبار • بابها
مسدود • وعنقها ممدود • وطرفها مكدود • وظهرها محدود • وظلها
موجود • وثديها مفقود • وخيرها باطل • ونجمها آفل • وعهدها حائل •
وظلها زائل • وربعها آهل • وسمها قاتل • ويمينها شمال • وجبينها
قذال • ونعيمها زوال • ونوالها خيال • ونطاقها ذهب • و
رداؤها خشب • وطباقها عجب • فبعضها يمني • وبعضها عربي • وبعضها
هندي • وبعضها مغربي • تشتكي البعد بلا لسان • وتحوي البر والانسا

في

وهي الحجر في ظهوره وبيانه • والمقدر في بأسه وسلطانه • والملك في دسته ومكانه • والحاكم في حكمه ولسانه • والحبيب في استزارته • والعبد في حقارته • محبوسة في خزائن ملوك الآفاق • مبذولة في الشوارع والأسواق •

فإن كنت ذا قلب ذكي وفطنة • وعلم بما عنيته فاذكر الغرض •
وإلا فلا ترجف بأنك عالم • وكن مع قوم في قلوبهم مرض •

كتاب نخبة الآثار ونقل الخبر به مرويا عن عزيز المغرب فيه بهم وحكاياتهم تبرع الحال الى صديق أبي زيد مشق

الحمد لله المنعم على عباده مبديا ومعيدا • المبدع لهم في كل وقت منها جديدا • الذي لم تزل الألباب شاهدة بأنه القادر الذي لا يلحقه عجز فيما يقدره ويقضيه والقاهر الذي لا يرهقه ضعف فيما يدبره ويمضيه • والملك الذي لا يزول ملكه وسلطانه • والجواد الذي لا تحصى نعم إحسانه • والأحد الذي تقدس لاهوتها عن مقصور ذاته • والصمد الذي تعجز الأفهام دون تحديد صفاته • يحمده أمير المؤمنين حمد معترف بالعزة والعظمة • معتبر بالجود والرحمة • واثق بفضله وكرمه متقلب في بدائع نعمه • منتظر مزيد مواهبه وعوائده • مستمد التوفيق في مصادره وموارده • ويؤمن به إيمان مفوض إليه أمره باطنا وظاهرا مخلص لسره غائبا وحاضرا • ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله إلى خلقه حين أطبقت سحابة الكفر ساحبة أذيالها • وخفقت عصابة الشرك رانية بالها • وظهرت رايات الفساد برا وبحرا • ونشرت آيات الإلحاد سهلا ووعرا • وقويت أمداد الإحن يسطع قتامها • وورت زناد الفتن يستشيط ضرامها • والناس من الفترة في شبهة مظلمة تركت العقول حائرة • وطرق مبهمة غادرت النفوس حائرة فلم يزل يعذر وينذر • ويذكر ويحذر • إلى أن ابتسم الحق فأسفر صباحه وانحسم الباطل فخمد مصباحه • وأشرقت شمس الرسالة فبهر سناها وسناؤها • وأخلقت نفس الضلالة فسقطت أوزارها ولواؤها • وعلا الإيمان ظاهرا وطاهرا • وتولى الكفر دابرا دائرا • فصلى الله عليه صلاة دائمة قائمة • نامية سامية • لا انتهاء لمددها • ولا انقضاء لمددها وسلم عليه وعلى من هو من شيعته • والسابق إلى بيعته • والصريع في

نسيبه • والمجاهد في سبيل ربه • افصح العرب كلاما • واوضحهم سلوما •
واحلاهم لسانا واحكمهم • واعلاهم مكانا واعظمهم • واوفرهم فضلا واوفاهم •
واكرمهم في المآثر واكفاهم • واسعدهم في الدين واشعاهم • واذكرهم واتقاهم وازكاهم •
واشجعهم وابقاهم • واعدلهم واتقاهم • وافضلهم واسخاهم • علي بن ابي طالب •
وعلى سلالته العترة الطاهرة • وثمرة الشجرة الناضرة • ذرية الائمة الاخيار
الطاهرين الابرار • الذين اذهب الله عنهم الرجس اهل البيت وطهرهم تطهيرا •
اما بعد • فان نعم الله تعالى ذكره على عباده وان كانت متفاوتة الاقدار و
المراتب • متباينة الاخطار والمذاهب • متفاضلة المنافع والمواقع • متباعدة
المدارج والمطالع • فاعلاها قدرا • واغلاها مهرا • واوضحها فجرا • وانورها
فخرا • واعطرها نشرا • واحسنها بشرا • واسدها شواهد • واعمها مشاهد
وابقاها نوازع • واصفاها مشارع • واولاها بان تورخ بجلالها الايام
ويعتز بجمالها الاسلام • ويعجز عن فروض شكرها الانام • وتثني عليها الملائكة
الكرام • واجلها خطرا وقيمة • واحقها بان في قلادة الزمان يتيمة • نعمة
ايدت الدين بعد ما هم بنيانه بان يتزعزع • وعقدت بعد ما ارادت اركانه
ان تتضعضع • وشدت قوى الملك بحبل من عند الله وثيق • وشيدت
بناءه بعد ما كادت تزيغ قلوب فريق • وحسمت اطماع من دلاهم بغرور • وحكمت
لانصار الحق بعلو وظهور • وقذفت في قلوب المخالفين الرعب شرقا وغربا • وآمنت
سرب الموالين بعدا وقربا • كالنعمة التي توحد الله سبحانه لامير المؤمنين بمحاسنها
التي تقصر عنها نوازع الهمم والآمال • وخصه ببيانها التي تسير بها سوائر السير
والامثال • وحاز بها من اقسام السعادة ما رغمت له معاطس ذوي الشقاق والنفاق
وساق اليه من احكام الجلالة ما اشتهر ذكره في الآفاق • وانجد صوارم عبيده
واوليائه • في مفارق جبابرته واعدائه • الذين جحدوا الاحسان • وعبدوا الشيطان
واستوطوا مركب الغدر فاستطالوا • وتهووا بالاماني الطوال • واظهر من جميل صنيعه
فيه ما كان مطويا • وذلل من رقاب النصر المعتلين بشعاره ما كان ابيا •
وجعل ما يسره له من الفتح • وقدره من النجح • آية للناس ورحمة منه وكان امرا
مقضيا • فانها نعمة خرت لها جباه النعم ساجدة • وبنت الملك فوق سمك
السماء قاعدة • واطلقت اعنة المفاخر جنوبا وشمالا • وبشرت بان روادفها
من النعم المتظاهرة التي تكفل الله بادنائها وتقريبها • وتواليها من المنح التي وعد له

[illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

65

الايام بيافعها اليه على ترتيبها • لاعظم موضعا ما شوهد ورُئي • وارفع
موقعا ما سُمع ورُوي • وبهذا جرت عادته الكريمة في اوليائه • المعتزين الى
طاعته وولائه • المعتزين بظل رايته ولوائه • وسبقت عادته في الانتقام
من اعدائه • واصطلام اضداده الجاحدين لآلائه • والله لا يخلف الميعاد •
ولما اتصلت كتب مملوك امير المؤمنين المظفر باجماع كلمة الطغاة
المارقين • والبغاة الفاسقين • من قيسهم ويمانيهم على الخلاف • واغترارهم
بما حشدوه وحشروه من الالفاف والاجلاف • وتحالفهم على لقاء العساكر
المنصورة بنفوس قصرت الآجال مُدَدَها • وطبّقت الاوجال افئدتها •
وعقائد مدخولة • وعقود محلولة • وخُدود مفلولة • وجدود مخذولة
مغلولة • غافلين عن نقم الله مترصدة لجاحدي حقه تسفع بنواصيهم فتجرهم الى
سوء المصارع • وتولع باذانهم واقاصيهم فتقودهم الى اخشن المضاجع • وعَرَض
بالحضرة اتفاق آرائهم الفاسدة بالشام على اثارة الفتن • وتخريب البلاد
والمدن • واحتشادهم بها مترصفين في الفساد • مجتمعين على الكفر والالحاد
متضافرين بلؤم اقتدارهم • وقبح آثارهم • على محاصرة ثغورها وحصونها
وانتهاب سهولها وحزونها • واستباحة اموال مالكيها • واخافة السُبُل
على سالكيها • متحككين بالهلاك فعل الرعاع الاغمار • متهافتين في الباطل
تهافت الفراش في النار • مجدّين على اجتلاب العطب لنفوسهم بسوء تمييزهم
وتدبيرهم • مجتهدين في اجتذاب التلف لصغيرهم وكبيرهم • مطمعين
الغافلين في حبالهم • الضالين بضلالهم وخبالهم • في ضروب من المحال
تعلقهم مخاتلها • قبل ان تدنو مسافتها • ويوبقهم سماعها • دون ان
ينكشف قناعها • دافعين بابواعهم القصيرة في صدور ما اولوا من النعم
التي اربت ظنونهم • الى ما رأت منه عيونهم • وراقت آمالهم • الى ما انتهت
اليه احوالهم • مستعظمين العُدد التي التقطت من كل طريق • والعَدد التي
ارتبطت من كل فج عميق • جاهلين بانهم وان اهملوا الهرب من السياسة
متلكون بايدي الهيبة والانتقام من كثب • محتنكون بسيوف السطوة
والاصطلام باهون الطلب • فلما علم امير المؤمنين ان الاغضا لهم
زادهم عزا واجتراء • وان الانتظار لهم كسبهم اصرارا على العدوان واغراء • وان
الله سبحانه قطع منهم عصمة التوفيق بنكثهم ما ارتكبوه • والخذلان شملهم من

عن شمائلهم وأيمانهم • وان الدمار يرمقهم بطرف ساهر • والدبار يحكم بسيف
باتر • وان لا تردعهم من فظيع امنا لهم الكتب دون الكتائب • ولا تقد عنهم
شنيع ضلالهم الصحف دون الصفائح القواضب • صرف الى حسم دائهم
وقطع مواد جهلهم واستئصالهم بعزمة طالما صدقها الله جلت قدرته
في كل ما رامته وحاولته • وعزمة كثيرا ما وفقها لجميع ما اممته واملته • وامر الوزير
الاجل صفيه وخاصته وهو السديد في مصارفه المجدي في مواقفه
الذي يخدمه الاقبال مقترنا اليه • ويعطيه التوفيق واقفا بين يدي تدبيره •
لا يرد القدر صوائب سهامه اذا سددها ورماها • ولا يفل الزمان
سيوف اعتزامه اذا جردها وانتضاها • ولا تشوب مناجاته مداجاة
ولا تشين موالاته مراآة • ولا يعتاقه عن بعد مقام • ولا يعتاص عليه
مطلب ومرام • باستقرآ اخبارهم • وترتيبهم بانجادهم • والتجرد لطلبهم
من الارض حيث ما اناخت ركائبهم • والاخذ بمخانقهم حتى تضيق عليهم
ونهارهم • وانتدابا لا يعجز عن خطب نكولا • ولا يهم بصعب الارض
ذلولا • فلم يزل يمد العساكر المنصورة من معز الخلافة برجال تعودوا
من عند الله نصرا والطافا • ويؤيدهم من بيوت الاموال بما يزيد على
قدر الكفاية اضعافا • الى ان كوتب الامير المظفر في شانهم ودابهم • وحقر
اليه امور لعينهم واخزاهم • وارشد الى طريق الراي في استدراجهم واستيصالهم
وعرف الوجه الذي يوذن بقلع اصولهم وقطع اوصالهم • وامر بالتوفيق
في قراعهم وطرادهم • والتثبت في جلادهم وجهادهم • وترك معاجلتهم
بالقتال الا بعد الانذار تاكيدا للحجة واتباعا للسنة • وتكميلا للنعمة واتماما
للمنة • وتقليدهم البغي الذي يصرع راكبه وان امده اياما • وتوبل مواقعه
انعاسا لجده وارغاما • فامتثل المرسوم طايعا • وقبل الحدود سامعا •
وبلغه خبر انضمامهم بالاقحوانة القصوى من شرقي نهر الاردن مستمرين على
عادة طغيانهم المؤذنة الى خذلانهم • مجاهرين بكلمة عصيانهم المادة لادراكهم
آيسين من البقا • عند اللقا • محتمين قبل القتال بالشقا • ضالين عن
سوا السبيل • ملتحفين بالويل والعويل • واقعين في البلا الطويل • فنهض
نحوهم في عسكره بعد ما حقق التوكل على الله جنته الذي تجني عنه مكايد
الدهر ومكارهه • ودرعه التي بها يتقي كل من يبارزه من خطب ويواجهه •

[illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودعاوه الذي يكبت البوائق والبوارح • واعتقاده الذي به تشترك النتائج
والمناجح • وسار إليهم في جميع أولياء الدولة المنصورة بعقل ضابط • وجأش
رابط • وعزيمة صادقة • ونفس بجميل صنع الله واثقة • وصرامة تذل العقاب
إذا جمح قيادها • وشهامة تلين الصلاب إذا لج عنادها • قد صحبتهم السلامة
في مواقفهم ومقاومهم • واقترنت السعادة بصوادرهم ووكراتهم • منتظرين
عن الغلبة ونجح الطلبة • ومنتهزين الفرصة في مناجزتهم قبل أن تتفرق
جموعهم • ويتبدد تابعهم ومتبوعهم • ومستنجزين وعد الله سبحانه في
نصرهم حيث حلوا من أرض • وقراعهم أينما نزلوا من نشز وخفض •
فما كان إلا ريث ما وصلوا إلى جرفي شاطئ النهر • حتى أحس المخاذيل بالإدبار
والقهر • وحسبوا أن الأنهار تعوقهم عن العبور • وترد عنهم نوازل المقدور •
ولم يعلموا أن إقبال الدولة يجعل الغمار ثمادا • والأوهاد نجادا • ولجج البحار
مخاضا • وأعراض الأعداء لنبال الردى أعراضا • فما كان إلا دون لمحة باصر • ونفرة
طائر • حتى خاضوا مشرع الحسينية وقد أحسن الله فيه عواقبهم • وسهل عليهم
مطالبهم • فصيروا وأظهروا صدورهم جسورا • وعبروا عليها إليهم صبورا •
وملكوا عليهم حصونهم التي قدروا أن حصانتها تقيهم طوارق المخاوف والنوائب •
وترد دونهم طوارق المتالف والمصاعب • وتذهلهم صيحة الأبطال •
فتبهتهم عن سنة الإغفال • وتقدمت طلوعهم وطوالع النحس تسوقهم
إلى مصارع نفوسهم • وطائر الشؤم يحوم فوق رئيسهم ومرؤوسهم • فتبادر
جنود الله الغالبون إلى افتراسهم • ومن يرى الجبال إذا زعزعت رعانها
ومناكبها • ويحسب السماء إذا ناوشت نجومها وكواكبها • ويرد عواصف الزعازع
إذا استقر سلطانها • ويعرض صدور الرماح إذا استمر طعانها • فلما رأى المخذول
رجال الدولة مستظلين بظلال الألوية الخافقة بالنصر والإظهار • والرايات
الناطقة بالغلبة والاقتدار • والبنود الحاكمة باستئصال أولي الغدر والختر •
والجنود المالكة لرقاب أهل البدو والحضر • وشاهدوا فرسان العرب وشجعانها
الذين أعربوا عن صفاء عقائدهم في الولاء • بما صدقوا فيه من البلاء • وحازوا
محاسن الاختصاص والاصطفاء • بما أظهروه من الإخلاص والوفاء • وانتصروا
معهم في بقعة واحدة كل سام من بني حام حماة الدين والذابين عن حريمه • وأنصار
الحق المجدين لتشييده وتعظيمه • تحققوا أن الذين كانوا في عقدهم • و

المكثرين لقليل عددهم • حتى غرهم بالمحال والباطل • وغرهم بالراي الفائل •
وانهم شهدوا مشهد الثبات بغير غرر • ووردوا موردا ما عنه صدر • فاستقتلوا
وقد انقرضت اجال اولئك الاغفال • واستبسلوا وقد انقضت اعمار اولئك
الاغمار • فلم يكن الا بمقدار ما ازعجت اسنة الرماح من احشائهم • واختضبت ظبى
الصفاح بدمائهم • حتى تزلزلت اقدامهم • ونكست اعلامهم • وارتجت كماة الحرب في تخومهم
فاختلطت قنابلها وقبائلها • وتقصفت الرماح فتقصدت عواملها • وتقطعت السيوف
فتبددت حمائلها • واظلم النهار • وزاغت الابصار • وعز الثبات • وخشعت الاصوات
وطارت العقول • وحارت الخيول • وضاق الخناق • ومالت الاعناق • وسالت الاحد
وتقاطرت عليهم السهام رسل الحمام مقصدة وقاصدة • ونابت السيوف من نوب
الايام راصدة وحاصدة • وبقيت النفوس طائرة الاحلام قائمة قاعدة • وتدحرجت
الرؤوس تحت الاقدام هابطة وصاعدة • وكست الناس بعد لابس القتام ثياب الحداد •
وجدت انصار الدين واشياع الحق ثبات الطواد • وطفقت سوابق الخيل تمرح في مجالها
بين اولئك القتلى اعناق تأتيهم كالكواهل • وايد بائنة من الانامل • وصمت
الاسماع من صليل المناصل • وذبلت النفوس من السمر الذوابل • فما انقشعت
تلك الجموع • ولا انحرفت تلك الغبرة • حتى تحكمت البواتر في مفارقهم • وتحت القوائم
والله واثر على ثيابهم من الطاعة وشعارهم • وولى الارجاس الذين نشأوا مع النعم
بجحد واحقوق النعم • والانجاس الذين تخلقوا باخلاق البهائم • فحملوا طرف المكارم • على اذنا
اذنابهم لا يصحبهم سدد • ولا يعضدهم عضد • ولا يؤويهم بلد • ولا يجيرهم
من الله احد • وطعن الشقي ابن الدوقلية وقد اثبتوا بالحيف رجاله • ونسي ما قدمت
يداه • طعنة بحلقه اخرق منها بدمه • وخر صريعا لليدين والفم • وحز راسه من
ساعته فاصبح مقبورا بعد ما كان مذكورا • واضحى مشتما عقيب ما كان معظما •
واستعلى على عالية الرمح منادما ليعسوبه • ولازم سنانه مشرفا على كعوبه • قد
رمقته الابصار • وسفى عليه التراب والاعصار • وخذله الاعوان والانصار
وخلت منه البلدان والامصار • وجدل بشلوه ملقى بالقاع عبرة للامم •
وتخصر للضباء والرخم • وعظة للناظرين • وآية للعالمين • وعاد الغادر الخاسر جرح
على وجهه • حتى النجاة برأسه • وانى له النجاة وقلبه مرعوب منكوب • والشقاء عليه
مضروب • والغدر بجنبيه مغضوب • والفناء عليه مكتوب • فبصرف الهزيمة ذرايا
المعارك • وبقايا السيوف البواتك • القتل من اهله ورهط الذين زعام

قد

الله بغضبه وسخطه والمنايا تستلحق بطاياتهم فتلحقهم • والبلايا تستحدق
بنيرانهم فتدحتهم • وحين التاح سابقتهم الى مصارعهم • والقدر الجتاح
متكفل بحزان حامرهم ودا رعهم • واستغنى الذين جاهدوا في سبيل الله مما افاء
عليهم من اموال وكراع • واسلحة وشاع • وعدد وعتاد • ولا بدّ واولاد •
واقتسم الباقون من احزابهم • وطغامهم واصحابهم وحماتهم • اوليا الشيطان •
واغبيا الرهبان • العادلين عن الطاعة والناكبين • والناقضين للعهد
الناكثين • بين قتلى مطروحين في مهب الجنوب والشمال • واسرى مجموعين
في الجوامع والاغلال • واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من
وال • فالحمد لله معلي الحق ومذيله • ومبين الباطل ومزيله • الذي اطال الله
باعه • وعمر الايمان ورباعه • واحسن عن الملك دفاعه • وانتقم من عصاه
بمن اطاعه • وفتح لامير المؤمنين مشارق الارض ومغاربها • وجبّ بصائب
رايه ومعالي رايته سنام الضلالة وغاربها • وخص انصار الدولة وعبيدها
وعساكرها وجنودها • باحسانه العظيم • وصنعه الكريم • وعم بخذلانه
من تخطى الى الفعل الذميم • وعدل عن الصراط المستقيم • واروى حدود
المرهفات من دماء الفسقة الذين انحرفوا عن قبلته • وطهر الارض من ادناس
من كفر بنعمته ومال عن ملته • وصب على المردة المرقة سوط عذابه • وافا
على المؤمنين المجاهدين في سبيله ما اوجفوا عليه من خيل وركابه • وجعل
ملك امير المؤمنين معقودا بحبل لا تحل مغاره وحربه • محروسا بسيف لا
يفل غراره • وادام عزه مؤبدا • وجلاله مؤيدا • ونصره مجددا • وسلطانه
ممهدا • والبشارات بحضرته متناصرة • والمسرات في ايامه متواترة • ومد على
اكناف مملكته • واطراف حوزته • ظلال الامن • ورواق اليمن • واعاد عليها
مناظم العدل والاستقامة • والف على طاعته قلوب الخاصة والعامة •
واكسبه بمعالي الرغبة في توفيقه هبة تحمد عواقبه • وازاحه لما تستقدم به نعم عنده ودفوا
بجوده ومجده • ولطفه وعظمه • ما عتر بذكر ما جرى ليقف عليه • ويسكن اليه
ان شاء الله

في المداعبة يعزي بكلب كان للقاضي ابي علي الحسن بن ابي الذيب هلك بدمشق

كتابي اطال الله بقاء القاضي وادام سلامته
وكفايته وسعادته ووقايته • وانا عاري رباع الحزن لمصابه • قصير باع الانس لاكتئابه •
ضعيف قوى النفس لما به • ولله الحمد كما استحبه • والصلوة على محمد وآله ارباب الكرم

الجزع وراء ظهره، ويتمسك بعروة صبره، ويستسلم لمحتوم القضاء الالهي
وامره، ويطرد بحسن التسلي ما يختلج الهم في صدره، ويعتصم بعرى التصبر
والتجلد، ويجانب جانب التضجع والتلدد، ويسلك مسلك من له موقع من العلم
اليقيني، ونقل من الرأي المتين، ومعرفة مجاري الاقدار، واختلاف
احوال الليل والنهار، عالما بان الانسان وان تناهى في الاكتئاب على
المصايب فمرجعه الى الصبر والاستسلام، ومرجعه الى الانقياد لما تجري به
حوادث الايام، وان الجزع وان افرط لا يرد زندا، والبكاء وان استنفد
الدموع لا يعقب رشدا ولا يكسب اجرا ولا حمدا، ثم يتقدم امر نفسه
ويقيس بين يومه وامسه، ويعلم ان الشيخ الماضي رضي الله عنه لم يحظ
عند صاحب العصر والزمان الا بعلمه الكامل في الدين كالنص، وزهده
عن منازل ذوي النقايص، وستره وعفافه، واعراضه عن الدنس
والخرافة، واستغراقه طول عمره بدراسة العلوم الحقيقية ومجالسة
اهلها، والتحلي بجمالها والتعلق بحبلها، ومجانبة جميع ما يستقبح باطنه
وظاهره، ويتوخ موارده ومصادره، حتى صارت تعقد
على عقده الخناصر، وزينت مكانه المشاهد والمحاضر، وان الاحسن
به ان يجعل هذه الجملة اماما بين عينيه فيتبع اباه، ويشيد ما
بناه، وينشر ما طواه، ويجدد ما ابلاه، ويضرب في التواضع
والصيانة على قالبه، ويتخلق في الخشوع والديانة باخلاقه وضرايبه
ويسير على منهاجه وسيرته، ويتشبث بطريقته ووتيرته، لينال ايده
الله من العز عفوا ما لم ينله غيره بالجهد، ويحوز من الذكر الجميل قربا ما
لم يحز بعدا، ويحصل له من الجاه والقدر في ايام شبيبته ما لم يحصل
في اعوام كبره، ويجمع من الاحدوثة الحسنة في حضره ما لم يجمع في سفره
فان وراءه من الاعداء من تدب عقاربهم، وتهب جنايبهم، وتطير
جنادبهم، وتثير ركايبهم، ويعدون عليه انفاسه، ويدسون
الى مراعاة احواله اصحابه وجلاسه، ويرصدون افعاله فيغيرون
محاسنها قبايح، ويراقبون افعاله فيجعلونه صحايفه فضايح
ويتبادرون اسبابه فيصيبون من سوانحها بوارح، مع ما انه بحمد الله
وعونه من شجرة لا يختلف ثمره، ومن ماء لا يخشى كدره، ومن اصل لا يحيل
فرعه، ومن منبت لا يجوز نبعه، لا سيما وفيه من العلم والحلم والعقل

البلي

والفضل

والبابه • والمصايب لدام الله سلامة القاضي تتفاضل اقدارها • وتتفاوت اخطارها •
فمنها ما يزحم مناكب الحلم • ويهزم مواكب الصبر • ويثلم جوانب الصدر • ويهم
بقاصمة الظهر • ومنها ما يخف محمله فلا يزيل الاقدام عن مقارها وان اثقلتها •
ولا يحرق القلوب بنارها وان ارمضتها • وكلما كانت المصيبة فيه افظع كانت
لوازم الاصطبار اقطع • وكلما كانت الرزية فيه ايسر كان محل الفجيعة فيها اقصر •
وعلى قدر الفقد تتزايد الفجايع • وبحسب ما تجنه الاضالع • تفيض المدامع •
وعند انقضاء الاجل المضروب تسترد الودايع • وعلى جسر من السلو يلتقي
الصابر والجازع • والذي يستقبله العاقل • يستدبره الجاهل • والذي ينتهي
عنده الحازم • ينتهي اليه الغافل • فالاولى بمن يعرف احكام الزمان في اختلاف
احواله • وتناقض افعاله • ويرى الدهر كيف يهب • ثم ينهب • ويعز ثم يجذب
ويعطي ثم يحجب • ويكسو ثم يسلب • ويعرف انه لا يستطيع للقدر دفعا •
ولا يملك في حالة من الاحوال لنفسه ضرا ولا نفعا • ويدري ان قلة رضاه
باقدار خالقه • مستنزلة لسخطه وبوايقه • وكثرة جزعه في دهره • ماحية
عظيم اجره • وفرط تباكيه في مصابه • حابط لثوابه • ودوام شكايته بحدث
زمانه • داع الى دوام امتحانه • ويتيقن ان المصايب • اذا تخطت الاصول الى الفروع
مواهب • والرزايا • اذا تعدت الجملة الى البعض عطايا • والزمان اذا قنع من نياله
بالاطراف • فقد بالغ في الانصاف • والدهر اذا رضي من الكل بالجزء • فقد تناهى
في تخفيف الرزء • ان يقابل البلوى بالصبر • كما يلتقي النعما بالشكر • ويأخذ
بادب الاستسلام لئلا يضيع اجره في المعاد • ويصبر على فادح المصاب
راجيا عظيم الثواب في المآب • والله سبحانه يسهل الى المراد طريقه • ويحسن في
جميع احواله تدبيره وتوفيقه بجوده ومجده • ومنه وطوله • ولما انتهى الى خبر
انزعاج صدر القاضي شرحه الله بالمسار • ووقاه طوارق الليل والنهار • و
اشتغال قلبه • لمفقود القضاء المحتوم بكليته • وتقسم فكره من الوجد الذي وجد
لفقده • ومن استيلاء الوحشة عليه من بعده • علمت ان ارتقاب الكآبة
مقاده • وارتهنت الفجيعة فواده • لجلالة خطر المفقود وعظم مقداره •
ولا جهل له بانه لم يكن اول من فاجاه الموت فاصطلى بناره • لا سيما وكلما
يوجد عنه العوض • يخف عليه المضض • وكلما يتسهل منه الخلف • يقل
عليه الاسف • ولكنه من رقة طبعه • وحسن تهذيبه • ونفاسة نفسه •

لم

وجنة قلبه • وودماثة خلقه • وكرم عرقه • ولتربيته اياه من يوم فتائه •
الى حين فنائه • ومن وقت صغره الى وقت كبره وانقضاء عمره • ولتذكره
الايام التي كان يغدو وتحت ركابه • ويفرق بها فضلات صيده على اصحابه •
ثم عدم الانس به • وحرم الالفة بفقده • واختطف احرص ما كان على اثارة
الظباء من كنسها • واستخراج الضباع من وجرها • واراغة الارانب من مجاثمها •
واستنباط الوحوش من مواليجها • اصابه من التحسر ما اضعف قوى عزائمه •
وضاعف جوى برحائه • وآثار كامن حزنه • وبلد ثاقب ذهنه • فيا لهفي
عليه فلقد كان كلبا مهذبا • وفهدا مدربا • وصبورا مؤدبا • وحوولا
مجربا • وبرقا خاطفا • وريحا عاصفا • وشيحا آلفا • وللباس محن لابسا •
وللحريم حارسا • وللفرائس فارسا • وفي الخلوة موانسا • وعلى الاعداء عاديا •
وللمجاز عن قصده هاديا • وللذمار حاميا • وعن الزوار محاميا • وللعفر
معفرا • وبالخير مبشرا • وبادبه المعز تخصصا • وبذنبه لاجود مبصبصا •
وللطراق مستقبلا • وللعصم من معاقلها مستنزلا • وعن الرذايل جانبا •
وعن المعايب مجانبا • وبقليل المطاعم قانعا • وفي ارواح طرايده متحكما • ولانفها
متشما • وبوثون مكلبه كانلا • والمعول عليه حائلا • وبما اسفى عليه فلقد
شاهد تراخف امثاله موزونة • واجيبها لصاحبه معونة • واذكاها حسا • واجرا
نفسا • واسرعها ادراكا • واحذقها اشباكا • واشدها ضبطا • واقلها خبطا •
واشدها عدوا • وامدها خطوا • واسلها عذارا • واجلها آثارا • واعرفها
بدقايق المكيدة • وازهدها في اكل الطريدة • وارعاها لشروط الادب •
واكثرها ملازمة للباب • واخشرهاه على فراقه وبعاده • وعلى ما فات من بركات اقتناصه
واصطياده • وعلى الايام التي ما تركنا بعدها من الغزلان عددا الا اقتنصناها •
ولا بالقطيعة عكرشة الا خطفناها او اختطفناها • ولا بالقربة ريما الا كفوناه وفقنا
ولا بصعيد صيد الارنب ازوته • ولا بالمغرة وبخا الوحش نقرته • ثم ان الخز
الشيخ ابو النصر استمر بعد الرزية وكان منها في المصيبة دون غالم • وانا الى لا اعني
وعلى من روزيته دون الخز لام • ولكني اردت ان يتحقق اني محافظ على عهده كما افخله عليه
وان كنت متاخرا عنه العذر الواضح لديه • واسال الله ان لا يخلي مشاهد الفضل
عنه • ولا يوحش معاهد الانس منه • وان يمتع في مدته • ويحطر ما وقف اهل
مودته • وان يقرن المفقد المثل جنات النعيم • ويجمع فيما بينه وبين اصحاب الكهف

[illegible]

والرقيم • ومحرره يجزي المكلفين يوم الحساب • في جزيل الثواب • ويجعله شفيعا
لكلب وكليب وكلاب • فانه وان لم يشابههم في الانسانية • فلقد شابههم
في الحيوانية • وان لم يشاركهم في الجسم • فقد شاركهم في الاسم • وان لم يجانسهم
في الصورة • جانسهم في المحاسن المأثورة المشهورة • وانا انتظر جواب كتابي بما
الهمه الله من التصبر والتبصر على مصابه • لاقتدي به بادابه • ان شاء الله تعالى

ورقعة اعتذار الى الصديق لم يعده في الخمار

لا يحسن بالامير الموفق ادام الله توفيقه ان يقلاه • وقد اصبحت باقلاه • ولا يعذرني
ذكيا • وقد بلغت من الكبر عتيا • ووردت علي رقعته • ادام الله رفعته • يلتمس
فيها اصدار كتاب الى فلان • وكنت مشتغل القلب بشيء حضرته • منقسم القلب بخبر
بلغته • فعدلت في الجواب • عن الواجب في الخطاب • وحدت عن طريقة الصواب
في ترك الالقاب • وركبت من ساعتي علم التذكر ما نسيته واغفلته • واستدركت
ما اضعته واهملته • الا بعد ما سار التقدم بل طار • وهذه الرقعة براءة اعتذار
بل كتاب استغفار • والامير ادام الله علوه • وكبت عدوه • اولى من ان يوسعني
عفوا • ولا يؤاخذني بما نسيته سهوا • ولا يضربني بسيف عتاب • ولا يصب علي
سوط عذاب • ولا يتعقب ذنبي بعقاب • ويجريني على عادته في قبول العذر
وتحسين الاثر • اعانني الله على النهوض بمفترضاته • ووفقني لما الحوض عليه من توفي
مرضاته • بسعة جوده •

كتابي الى الشيخ ابي القاسم منصور بن محمد ومحمد بن زاذان

كتبت اليه كتابي اطال الله بقاء الشيخ العميد وادام علوه وسموه وانا
معتصم من كتاب الله بحبل متين لا انفصام لعروته • وملتجئ منه ووقايته الى حصن
حصين لا ترتقي همم الحوادث الى ذروته • والحمد لله كفاء نعمته • وصلواته على محمد
والطاهرين من عترته • الطيبين من ذريته • فاما حنيني الى طلعة الشيخ ادام الله ابدا

حنين ارض ظمآن شاهد مشرعا • من الماء لا يحنى الى الشرب

واما نزاعي الى محادثته ومفاوضته • ومجالسته • ومداعبته

نزاع فتى قد صد عنه حبيبه • فهام ولم يطلبه شيء سوى القرب

واما تأسفي على الايام التي كانت صفت لنا فيها موارد الانس • وانصرفت عنا في اثنائها
وانفس النحس • تأسف من قد نغص الشيب عيشه • وقد كان ايام الصبى فرح القلب

واما تحيري من بعده • ووحشتي لبعده

تحير ماش في مفازة قفرة • اقام بلا زاد وضل عن الركب

ولما

69

وأما تشوقي للتطول لقائه • وشوقي سيقضي الله بقضائه

فشوق ذي سقم يؤمل صحة • وذي كربة يرجو الخلاص من الكرب

وأما سروري بكاره إذا تذكرت غريب أوابده وفضائله • وتفكرت في محاسن خصائله وشمائله

فسرور غريب كان فارق أهله • فعاد إليهم مثريا آمن السرب

وأما سكوني إلى ما يلفقني من أخبار سلامته والبشرى من انتظام أمره واستقامته

فسكون خلي بالدهر غير خائف • صروف الردى يختال في العز والخصب

هذه جملة أحوالي وحقيقتها • وجلية أموري وطريقتها • وصفة أيامي التي تمضي وبيني وبينه بلاد • وصورة أوقاتي التي تنقضي وما اختراقي فيها انقضاء ونفاد •

فليت شعري كيف عهده بعدي •

أكعهد أخلائي الذين عهدتهم • يدلون على الإخلاص والقرب والبعد

أم تلون بتلون الزمان •

فصار كعهد الغانيات وهل ترى • لغانية يوما ثباتا على عهد

وكيف عقده لعلي ما عرفته •

وثيقا صحيحا ثابتا لا يشينه • فساد ولا عيب كواسطة العقد

أم كما يوجبه الوقت •

ضعيف القوى رث الملابس مقفر • اللقاء كريه المجتنى صلد الزند

وكيف وده كما شاهدته •

صريحا بلا مذق سليما من الأذى • وأعطر فوح على السامع والرند

أم كما تقتضيه الأيام •

تغيرت معانيه وأقوت ربوعه • وصحت كما صحت وشائع من برد

وكيف ورده كما كنت أورده •

زلالا بردا صافيا شاب طعمه • جنى الشهد بل أحلى مذاقا من الشهد

أم تكدر بعد انقطاعي عنه وبعدي عنه •

تراه أجاجا آسنا متغيرا • فأورده ملحا وآخره دردي

وعلى الأحوال كلها فتصويره بين عيني ممثل • ووده من قلبي متمثل • ولساني بذكره مشتاق • وجناني بشكره مطلق • وأياديه لدي غرر إن سترتها أقامت علي في المشاهد شهودا وشواهد • ولا أظنها صارت في عنقي قلائد وفرائد • وما هو على الله بعزيز أن يمد في ساعاته • ويجري علي جميل عاداته • ويمن علي برد ما

السرور واعادته لاستوفي الحظ من عيشنا هذه من تجدده ولذته. ثم بلغني ان
الشيخ ادام الله تمكينه بلغه خبر اشتغالي بعد مدة ذكرها. لم أوثر ان اتعلق باذيالها
واعرض ان لم تشتغلني باشغالها. ولا يبعد ان عذري قصرت حتى انقضت بعد
للمذهب السابغ على الرفق. وعنت النهج الصافي على الطرق. وقال ادام الله
ايامه رب خدمة يحسبها عزيزة. ويعرفها غيرك غيره. وتعدها جليلة عظيمة.
ويعدها سواك رذيلة ذميمة. ثم استعدى على من احتشم. وفي الشفقة
والثقة لا اتهم. وهذه جناية لو تصفح فيها عن وجه العذر لقبل الاعتذار. ولو
عرف صورة الحال لازال الانكار. وقبل وبعد فان الحر اذا قاده حران
الدهر الى بلد الغربة ركب الذلول والصعب. وشرب المر والعذب. واحتمل
الخصب والجدب. ولابس السلم والحرب. والغريب اذا الجاه ردي الاضطرار
الى تجشم الاسفار. واحاطته مجاري الاقدار. الى معانات الاقتار. جرى البر
والفاجر. وقصد المؤمن والكافر. وخالط البادي والحاضر. وانتجع الوالي والتاجر
ونزل العابر والغابر. وامل الوارد والصادر. وجلا عرائس ادابه على كل خاطب
واهدى نفائس علومه الى كل طالب. وعرض بضاعته على كل من يريد.
وباع سلعته فيمن يزيد. وهذه صورة حالي. ولعمري لقد استحدثت بعد
مفارقتي الشيخ ادام الله علوه اخوانا فاستخشنت قربهم. ومازجت اقواما فا
استخففت عشرتهم. واختبرت طوائف فاحمدت مذاهبهم وطرائقهم. وبلوت
منهم اصنافا فارتضيت ضرائبهم وخلائقهم. ونادمت جماعة فندمت على
منادمتهم. وواصلت منهم طائفة فرغبت في مصارمتهم. وجاورت الرؤساء
فابلت منهم باوفق ناصل. وقصدت الفضلاء فلم احظ من واحد منهم بطائل
وقلت سلاما لما خاطبوني. ولا شتمهم كلاما حين قاربوني. وفررت منهم
وطلقتهم ثلاثا باتات. وكبرت عليهم اربعا حين رايتهم امواتا. لاني مخضتهم
فلم ار الزبدة. فرفضتهم وآثرت الوحدة. وبقيت بها في الكآبة مفردا.
ولا انفراد من اللئام غنيمة. والانفراد مع السلامة طيب. وفي الاعتزال سكون قلب
واقر. ونفضت كمي في وجوه خيارهم. وجلست وحدي ليس عندي صاز.
وليس يزين البيت ساج ومرمر. ولكن يزين البيت من هو ساكنه. ثم
تذكرت ايامنا التي مضت فاستعبرت عيني حتى حسبتني ارمد. وبكيت على
محاسنها كما بكى لبيد على اربد. وصار اكثر انشادي قول ابي النجم.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سقى الله اياما لنا وليـاليا ۞ مضين فلا يرجى لهن رجوع ۞
اذ العيش صاف والاحبة جيرة ۞ جميعا واذ كل الزمان ربيع ۞
واذ انا اما للعواذل في الصبى ۞ فعاص واما للهوى فمطيع ۞

وقول القيرواني

مضى ما مضى من عيشنا غير عايد ۞ فلم يبق الا ما يمثله الذكر ۞

وقول حبيب

كم منزل في الارض يألفه الفتى ۞ وحنينه ابدا لاول منزل ۞

وقول ابي العالية الشامي

ولو انني أُعطيت من دهري المنى ۞ وما كل من يُعطى المنى بمسدد ۞
لقلت لايام مضين الا ارجعي ۞ وقلت لايام اتين الا ابعدي ۞

وقول ابن الرومي

بلد صحبت به الشبيبة والصبى ۞ ولبست ثوب العيش وهو جديد ۞
واذا تمثل في الضمير رأيته ۞ وعليه اغصان الشباب تميد ۞

وقول محمد بن الفضل

فان ترجع الايام بيني وبينهم ۞ بذي الاثل صيفا مثل صيفي ومربعي ۞
اشد باعناق الهوى بعد هذه ۞ مراير ان جاذبتها لم تقطع ۞

وقول يزيد بن الطثرية

سقى الله عيشنا قد مضى لنا حلوة ۞ لو انه التي يرجع لي بعد ۞
اذ الحول بعد الحول تمضي شهوره ۞ علينا ولم يعلم لهن عديد ۞

وانا اذا قست لاوقات سعادة الشيخ اليوم وما رزقه من النعم السابغة التي لا اقدر على وصفها جملة وتفصيلا ۞ وما خصصت به من بجاه الريض التي انا موقوف بركا ارتقى للجلاد في ليلة القطر ۞ والقدر الخطير الذي انا اعظم له كما تعظم ليلة ليلة القدر ۞ والمال الذي يأتيني عفوا وارى كد العفاة نهبا ۞ ويخرج نوى شتاقا ومبثا ۞ فاصبح الى الزوار مشتا ۞ والحال التي حلتها يد الاقبال باحسن حلي فلا مطمع للزمان في تعطيلها ۞ وجلتها السعادة في ابهى زي فلا مطمع للدهر في تحويلها ۞ والقول المسموع ۞ والاثر المتبوع ۞ والامر الذي هو انفذ من السهام الى الاغراض ۞ بل من سهام الجفون الى المراض ۞ بما فارقته عند بعدي منه ۞ وافتقدته بعد نايي عنه ۞ من العيش الذي لم يشبه الكدر ۞ ولم تشنه

انقلب بها بكرة واصيلا ۞ والمواهب السابغة التي هو

نسخة بنسخة

العبر • والجنات المترع الذي غفلت عنه صروف الدهر فلم تطرقه • ورقدت
عنه صروف النوائب فلم تزعجه • وزمان لذاذتنا وطيبتنا • واوقات
حداثتنا وشبيبتنا • وايام لهونا وريا قرا لانس خضرا نا ضرة • ووجوه
الدهر لنا بالاقبال ناظرة • ومسابقتنا الى مجالس الطرب ومحافله •
ومزاحمتنا على مشارع القصف ومناهله • وجدت جميع ما انا فيه من النعم
الوافية بالاضافة الى تلك الاحوال السالفة يسيرة محتقرة • وحقيرة مستصغرة
فيا لهفي على عهود الصبى • وان ادركت بعدها من الدنيا المنى • وما اسفي على ايام
الشباب • وان نلت من زماني بعدها جميع الطلبات • وواحسرتي على ما
فاتني من تلك نعمة ذلك الشيخ الجليل السيد رضي الله عنه وارضاه • وجعل
الجنة منقلبه وماواه • وخلد منه في جنبيه • كما كنت الازمه واحدمه ايام
انسه • وعلى غيبتي عنه ايام محنته واعتلاله • وكنت اوفر الناس نصيبا
من نعم ايام دولته واقباله • نسل الله ان يختم بالسعادة اعمالنا • فقد انقضت
في الخطايا اعمارنا • وان يحقق في كرمه امالنا • فقد عظمت اثامنا واوزارنا •
والا يبدل الحزازات الباقية في القلوب بغفرانه • والغصص الكامنة
في الصدور بالسرور يوم النشور • وان يعوضنا عن النعم الفانية في هذه
الدنيا نعيما في دار كرامته • سرمدا واحسانا في جوار رحمته مخلدا • انه ولي الاجابة
بفضله وطوله • **الى بعض اصدقائه من الاشراف وهو من لي شيوخ
ابن الرومي** كنت متشوقا الى هذا على ان الشيخ سيدي الشريف ادام الله سعادته
قد تبرك بلقائه وازوره في داره التي عمرها الله بطول بقائه • ثم نسير معا على
الموافقة التي استغرقت بنا الى القرافة • وهو يعلم ان القرافة محل الامن والحرم من
من الآفة والمخافة • تنفسح فيها القلوب • وتنشرح الصدور • وترى العين في
صحرائها مسارح • وتجد النفس بين هوائها مراوح • اطيب المواضع بقعة •
وافسح المواقع رقعة • واعذب من عين صداء ماء • وادق من ارض الرتبة
هواء • تتنزه الابصار • وترتاح النفوس لتوجههما • فكان ساكنها مضارب
صبا • وكان ساكنها نال فيها المنى • وكان جامعها عروس تفتر عن طيب
مبسمها • وكان شارعها شارع مكة ايام موسمها • وكان تربتها بها كانت
مجموعة • وكان ارضها بالزمرد مرصوعة • وكان في اطرافها فرشت مطارف
من طرايف الوشي والحلل • وكان اشجارها وصانعها حليت في غرايب

[illegible]

الاطايب

الاكاليل والكلل وكانما سطوح منازلها افلاك منها تنقدح زهر النجوم
وكان سككها وازقتها بروج تنشرح فيها شهب الرجوم وكان مساجدها
مشاهد الائمة من كثرة الوفود والزحمة وكان المصلين فيها ملائكة
ينتظرون من عند الله سبحانه خواتيم الرحمة وكان اوقات المشاعل
من ضوء المشاعل والقناديل ضحوة نهار وكان اصوات القراء بالليل
فيها حنين اوتار او نغم المبار وكان هضابها المطلة عليها هضاب
قدس مطلة على قبة الصخرة او جبل ابي قبيس مشرفا على فناء
الكعبة فحيثما توجهت منها معرج ومعرس وكيفما جلت منها املكها وماثر
وانما زلت مشرب ومجلس الايام فيها قصار والليالي اسحار والزها
فيها الاف والماكل طراف والقراء يجاوبون الى الصباح بقلوب خاشعة
والمشايخ يتداعبون من الافراح بنفوس طايعة

هذه صورة القرافة فانظر … منزلا هل ترى عليه مزيدا
حرما آمنا وحصنا حصينا … وفناء رحبا وقصرا مشيدا

فليبادر الشريف ادام الله سلامته الى منزلي فان ايام اللذات ان
ادركتها ففرص وان فاتتك فغصص واوقات المسرات ان ملكتها
فخطرات وان ضيعتها فحسرات وزمان الطيبة ان اقام فقصير عمره
وان تولى فحثيث سيره وليغتنم ساعة الاجتماع فانها تجمع شمل العشرة
والمؤانسة وتحفظ نظام المذاكرة والمدارسة وليعلم ان في احياء هذه
الليالي الشريفة بتلاوة القران ومحادثة الاخوان استعمالا للزهادة
تخلص من الكد والكروب واستنزالا للرحمة من عند الله لتمحيص
الذنوب واستجلابا للسعادة تهزم جنود الشقاء واشتمالا على
عبادة تعلي الدرجات في دار البقاء ومن سعى للاخرة فقد ربح
وافلحت تجارته ومن تعلق بالدنيا فقد افتضح وافتضحت خسارته
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ولله عاقبة الامور

الى ابي الحسن عميد الدولة وقت الوزارة وهي اول رقعة كتبها اليه

انا اعلم اطال الله بقاء عميد الدولة ان كل سبب يسد على المرء طريق سعادة
ويحول بينها وبين ارادته فمعدود في الحجب وان كان خفيا عن الابصار
منسوب الى تقدير الرحمن وان كان فيه ضرب من الابتلاء والاختبار

وهذه جملة حالي وتفصيلها . اني ركبت من داري بكرة يوم الخميس الثاني
من يوم العيد وقد اسفر الصباح عن نقابه . وفرّ الليل وقطع اطنابه . ولا مقصد
لي الا جليل حضرته التي هي شريعة يردها وفود الفضل بآمال . ويصدر وراده
عنها باموال . وتغشاها جنود الاقبال . فتحظى منها بالجمال والجلالة
ولا غرض الا التبرك بمشاهدته . والتشرف بطلعته . ومعي كفيل الملك
ابو البركات . وكنا نقطع المسافة بمحاسن اوصافه . ونطوي الطريق
بنشر مناقب اسلافه . ونتفاوض في ذكر رياسته الاصيلة القديمة
واخلاقه الجميلة الكريمة . فلما بلغنا سويقة الوزير اعترضنا في مضيقها
فرس عابر عاير ليمين الدولة شعاذة كفاه الله شره تعتريه على رغم
الراكبين . في اوقات صبوة عارية . او مخافة السائرين . فصدم البغلة
التي كانت تحتي صدمة الزمت ظهرها بطن الارض . وبانت فوق بالطول
والعرض . حتى خرجت من تحتها اجرا . واقمت اقامة من لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا . فلولا ان تداركني نعمة من الله سبحانه الذي لا احصي نعمه . ولا آمن نقمه
لما رفعت يدي قلما . ولا نقلت رجلي قدما . ولا نفثت نفسي نسما
وكلما . ولكني تحققت ان سعادة حضرته التي كنت متوجها اليها بعد صنع
الله الجميل . وفضله الجزيل . استقبلتني فاقلتني . وتوقتني فوقتني
ووافتني فاكتنفتني . واقبالها قابلني فصرف عني صروف النوائب
وبركاتها احاطت بي فحاطتني من جميع المصائب والمصاعب . نعم ولولا ما
ابتليت به في هذه الحضرة سالفا وانفا من حسد الاعداء . ورميت به
قديما وحديثا من سهام اولاد الزناء . وفرقي من ان يعرض لي حاسد
في مجلسه فيقول ان العميدي لم يكن في نهضته بالوزارة من السابقين
ولم يخف في حضرته حضور المخلصين المحققين . ولم يكن باذيال الرسن
المتعلقين . لصنت مجلسه عن الاضجار . وما اثرت بساط الاعتذار
ولا جالسته بين الابرام والاملال . ولما انهيت اليه صورة الحال
ووقع هذه الحادثة التي تعوقت خطاي من السعي لحضرته . ولم تساعد
لو في نهضته . بلسان يجري دائما طلق الجموح في مدحه وحمده . ولا يني
عنانه في الثناء عليه في قربه وبعده . رايت الاخلال بالمفترض له
على الحاد في دين الطاعة والولاء . فقدمت هذه الرقعة نائبة عني في

[illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التزوير ورذيلة سمة التأخير والتقصير وانا اسأل الله ان يسعده بهذا العيد ويبارك ايامه ويضاعف لديه سوابغ اكرامه وانعامه ويبلغه نهاية مراده ومرامه وان لا يخليه في جميع احواله من عز دائم وسعد لازم وعرض سالم ووفر سالم بمنه وجوده

في ذم الحسد يعرض بها بعض الرؤساء الاشراف

الحسد مذهب لا يعتقده الا من ضعف دينه ومركب لا يعتمده الا من سخف يقينه وطريقة لا يركبها الا من قلت ثقته بربه وخليفة لا يقربها الا من استولى الرين على قلبه وشريعة لا يردها الا من يعارض الله في قضائه وقدرته وطبيعة لا يريدها الا من طبع الله على سمعه وبصره ولباس لا يرضى بلبسه الا من يعرف نقص نفسه وفضل ابناء جنسه وكفى بالحاسد حزنا انه لا يقدر ان يبوح بسره فيشرق بغصص صدره ولا يستطيع الابانة عما في قلبه فيموت بحرقته وكربه ولا يمكنه اظهار حسده فيختنق من غيظه وكمده وان تنقطع كبده اذا راى من اغناه الله من فضله ويتوزع لبه اذا شاهد من يصنع المعروف الى اهله وحسبه حزنا ان يسهر ليله غما والمحسود هاجع ويضجر نهاره همّا والمحسود وادع ويتسلف عاجل الاضرار والمحسود غافل ويصلى دار البوار والمحسود عنها ذاهل ويرى في مساءة غيره مسرته وفي مضرة من سواه منفعته وما ظنك بمن لا تقنعه من الانسان زوال نعمته حتى يرى سفك دمه ولا يرضيه عنه ذهاب ماله الا مع هلاكه واستئصاله ويتشفى في حسده حتى لو قدر ويفتات بجهله حتى من اهله ويبارز بلسانه وقلبه محاربه ويكاذب في اعدائه وضميره مصاحبه ونسال الله ان يطهر قلوبنا من درن الحسد ويغفر ذنوبنا الخافية عن اعين الرصد ويزيننا في الدنيا بالزهادة التي هي سبب السعادة وفي الآخرة بالغفران الذي هو تمام الاحسان بكرمه ومجده انا يا سيدي ادام الله بقاءك وكفاك شر من احسنت اليه ووقاك اتعجب من جريك في مضمار الحرص الى اقصى غاياتك وتلقيك اعاديك بصفحة المهانة مع فضلك وكفايتك وارى انك ما وجهك عند من يفتي بنزيته ما عليك

فلم يخط مني المقاتل • واسمعني من صوت المفاجئ ما اورثني صمما • واراني من
الخطب الفضيع ما ابكاني دما • وادمى بوفاة الشيخ تجاوز الله عنه جروحا
لا تلتئم فطوره • واماتت بموته قلبا لا يرجى نشوره • فيا لها من مصيبة
عمّت وخصّت • وكدرت على الحيرة واغصّت • وفتحت للاحزان
بابا • وصارت بيني وبين السلوان حجابا • وغيبت من كان للمتقي عضدا
ومعتمدا • ونكأت كلوما لا تأسوها يد الزمان ابدا • واوجبت على كل من
يعرف قدر الدين ان تبكيه بدموع ساجمة • ويرثيه بنفس واجمة • ويتجرع
لفقده كاس الحزن صرفا • ونعتب على الدهر فلا نقبل منه عدلا ولا صرفا
فلقد اثكل من كان محتشما في المجالس فلم يوقف منه على زلل • ومحتلا الفضائل
فلم يبق منها على وجل • فيا لهفاه على بعده • ووا اسفاه على فقده
وما اعظم المصيبة فيمن كان سيفا لناصح الدعوة فانثلم • وركنا
من اركان الدولة فانهدم • وبدرا استضاء الموصول بنور هدايته
فقدح خسوفا • وشهابا قرع الخلق العقول من عاديته فتجرع صنوفا
وغرسا في ارض الوفاة غريبا • ومستقصيا في ولايته فلاقى يوما عصيبا
فقد نقله الله الى جواره • واختار له الاخرة ليطهره من اوزاره
فمضى وطعم الموت في فيه احلى من الشهد مذاقا • ورأى انفاق عمره
في طاعة مولاه نفاقا • واعتقد ورود المنية في ابتغاء رضاته
غنما • وبلوغ الامنية في مخالفة امره عجزا • فلقي حمامه بعزم غير
منتشر • وجأش غير منكسر • وعقيدة بحسن الموالاة معقودة
ذكرته في ذات الله محمودة • ففارق دنياه اشتياقا للشهادة
ليلحق في عقباه من السعادة • وبذل روحه في خدمته ليؤدي
بها حقوق النعمة • وساعيا في مصالح الدين سعي الناصح الامين
فرضي الله عنه رضى يعلي به درجته • ويتقبل منه مهجته • وعفوا [illegible]
بها جنانه • ويرفع فيها مكانه • ورحمة يقدس بها روحه • ويسبغ
عليه صفحه • والهم الشيخ العزاء وان عزّ في هذا المصاب مطلبه
ورزقه الصبر وان انقطع في هذا الرزء سببه • وجعل هذه المصيبة
اخر مصائبه • وخاتمة رزاياه ونوائبه • واجزل له الاجر والثواب بما يبذله
من التسليم والاحتساب بمنه وجوده • والشيخ ادام الله سلامته اولى من يتقيد

وتبذل مصون جاهك لمن لا يصلح ان يقف بين يديك • وترددك
الى من لا يرى قضاء حاجتك • ولا يستطيع ان يزيد في رزقك •
وانقطاع املك عمن عمت الخلق نعمته • ووسعت كل شي رحمته • وتنافسك
على حرام تدخره • معتقدا املك ان لا يفنى آخره • وتفاخرك بحطام تلفقه
ولعل عدوك ينفقه ويفرقه • اما تعلم ان مجموع الدنيا متاع الغرور •
وانك لا تنتفع بمال تخلفه لغيرك يوم النشور • وانك اسلم ما تكون
غدا اذا خف ظهرك • وقل وزرك • وصفا ايمانك • واستوى في الخير
سرك واعلانك • وان تلقى ربك غير مسرف ولا مقترف • ولا مجحف
ولا ملحف • وكفى بك وقد بلغت الى هذا الفصل فتتلو من القران العظيم •
قول الله الرحمن الرحيم • أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون • وتقول متعرضا بي يا واعظ عظ نفسك • فانك
تامر بخلاف ما تفعل • وتنهى بضد ما تفعل • وتخبط كالعشواء • وتحطب
في الظلماء • وترقم على الماء • وتذهب فيما تقول مذهب الشعراء • وطالما
رأيناك وانت متعلق بحبال الغرور • وبكلتا يديك • تعشق من حبال الزور •
ما نقلت وطائر عليك • مستدرج في حولك • متبع منالك • مؤتلف في
الخطايا خطالك • بائع آخرتك بدنياك • واصل ليلك بنهارك فيما
يثلم دينك • ويسم بالحرمان جبينك • آمن من سهام دهرك • طالب
نظام امرك • مصادق من نافقك في اخائه • وادٍّ لمن اسر حسده في
ارتغائه • ساكن الى من سعى في فسادك • نائم عمن تنبه لعنادك •
متقرب الى من جد في ابعادك • محتجب الى من اجتهد في جهادك •
غافل عمن دبت اليك عقارب مكره • ذاهل عمن انصبت عليك
سحائب شره • معول على من زاحمتك مناكب غدره • متكل على من
هزمتك كتائب مكره وختره • مصاحب من مشى بك باب الهجر •
معاشر من لبس لك جلد النمر • مغتر بمن اوردك موارد الغرر • معتقد
بمن تربص بك اوابد الغدر • معتمد على من قصدك وافسدك • وتمدلك
فابعدك • ونكبك فخربك • وبغضك فتفضل • وهلم جرا الى اليوم
وانت بعد راكب راسك فيما يكسبك الاثم والاثام • وبعينك الظلم
والظلام • جار في ميدان الهوى طلق الجموح • لا يؤثر النصح ساه عن التوبة

النصوح

شبكة الألوكة www.alukah.net

النصوح ۰ ساعٍ فيما يلقيك بعد الكد في الاكدا ۰ ويبقيك عقب الكدي
بالداء ۰ تاسٍ تطول الامل ۰ قصير الاجل ۰ ولتراخي الامل ۰ مستقبل الوجل ۰
تشفق غيرك على ما تقرع عليه سن نادم ۰ وتمرغ لانف راغم ۰ متذلل
لمن يعرف بقدارك ۰ ولا تتقي في الفضل غبارك ۰ فكيف تنهى
عن خلق وتاتي مثله ۰ وتحمل غيرك ما لا تطيق حمله ۰ وترشده الى طريق
تعجز عن ان تسلكه ۰ وتمنيه بما ليس في قدرتك ان تملكه ۰ وكان من
قضية العقل ان ترتدع عن كل رذيلة ثم تردع اخاك ۰ وتمتنع من كل
نقيصة ثم تمنع سواك ۰ وتطهر عرضك عن المعايب ثم تعيب اخوانك ۰
وتثني عنانك عن الباطل ثم تطلق بالحق لسانك ۰ لقد انصفت والله
فيما قلت ۰ ونصحت وصدقت فيما ذكرت وشرحت ۰ فما اعذب لفظك ۰
وانفع وعظك ۰ وما ادفع ملامتك ۰ واشبع كلامك ۰ وما اضلني عن
منهج الحق ورايته ۰ وما احيدني في ورطة الباطل ومضيقه ۰ وما اخجلني فيما
ياخذ بكظمي ۰ ويقيمني هذا على قدمي ۰ وما اشد اخلادي على من غرتني صحبته
وغرتني شيبته ۰ وتنفق علي نفاقه ۰ وتخدعني سكونه واطراقه ۰ وما
اكثر اغتراري باليوم الحاضر ۰ واقل اعتباري بامس الدابر ۰ وما اقوى ايماني
بمن كذب في عهده ويمينه ۰ وما اصدق حاجتي الى الصنع من عند الله
يقيني مكايد الحساد ۰ ورعاية من لدنه تعينني على اعداد الزاد ليوم المعاد ۰
وما ذلك على الله بعزيز ان يصونني ويحجبني بالقناعة عن التبذل للتسغل ۰
ويوفقني لما يرضاه في القول والعمل ۰ بطوله وحوله ۰ وجوده ومجده ۰

وتذلل رايته الفقد والتزيينه

رقعة في الترغيب بصون تعنيف الرقيع استخفافا به وعرابي الفقيه الهروي

لعلك يا فلان ارشدك الله الى الخير تحققت ان في هذه
للاخوة سوقا تروج بضاعتك فيها وتنفق ۰ وتبتاع سلعتك التي تتاجر
بها وتنفق ۰ فاستربت من الوقاحة درر اخلافها ۰ وجمعتها على صنوف
اختلافها ۰ وملكتها باجناسها واوصافها ۰ واحتويت عليها من جميع اطرافها ۰
وانفت من كتابتك وان كنت قليل المعرفة بها فنحوت لحظ منها ۰
والقيت ثقلها من منكبك ۰ والغيت ذكرها من قلبك ۰ ونفضت
من وساوسها كنانتك ۰ وقضيت من اياسها الباسك ۰ فبئس الاله
الذي يليت ۰ وبابليس في هذا الباب اقتديت ۰ وان كنت اعلم علما يقينا

[illegible]

ان الكتابة حرفة لا يتحلى بها الا المحارف • ولا يتجرى منها الا عالم باهل
الزمان عارف • فياليت شعري ما الذي يعارضك فيما اخترته لنفسك •
او يفاوضك فيما فعلته في يومك وامسك • وانت ما كنت تكسب
بكتابتك الخسيسة ابدا درهما واحدا • وبلغت بطبخاتك ومشقتك
عنان السماء فصاعدا • يا انسان • واستغفر الله من قولي هذا قد شفوت
بصورة على ما بلغني من الثقات سطرا وضحكة • وما بقيت من العقل
الذي يتزخرف بالناس لك بلغة ومسكة • تركت طول نهارك في الاسواق
مارا وجائيا وامامك تقاد مراكب • وقدامك تجنب جنائب • وقد
وسعت جيب سراويلك • وارخيت طرف منديلك • واسبلت
شاربك • وسبلتك هندية • ولبست زنارك • وجاجلتك
عضدية • وسخرت قوما صفاعنة سميتهم حاشيتك يمشون
بين يديك بالترسة والرماح • ويتناولون بالتطريق والصياح •
اشغلك بعقلك المروس • وروجهك المقشر وقدرك الحقير • وشومك
المكور • تعلم الخبز • وتلبس الخز • وتحفش بالتقرب والترحيب •
وتقلد خدمة البريد والترتيب • ولا يغرب كالطبل • ولا يربط
في الاصطبل • ولا يغرش من تحته السماد • ولا ينقل على ظهره الرماد •
ما اسرع ما طلت بالرقعة • وما اوشك ما تفرزنت يا بيدق • وما اكثر
مغالطتك لنفسك • واشد تورطك في تحسك • ان البغاث بارضنا
تستنسر استنت الفصال حتى القرعا • لئن كنت من الناس فما فوق
الثرى كلب • ومن اعجب الاشياء تيس مطرق • انسيت يا هذا ايام
جوعك • ولحافك في سلة الناس وقنوعك • والتحافك بحصر المساجد •
وقصدك ابواب السوقة بالقصائد • وزمانا اشتهيت فيه ان تشبع جوفك
وتامن خوفك • وتستر بعد العري جسمك • وتظهر بعد الخمول اسمك •
اترى ان استخدمتك في الترتيب الا استنكافا من سوء حالك • ورحمة
لك ولامثالك • فباي وجه استحق منك تنسب ما تدنس به عرضك
الي • وتصانع الناس عليه من حطام الحيا • وتخيل ما هتك الله به سترك
ووضع فيه قدرك • علي • اجهلك ابقائي عليك في ابقائك على
خدمتك وتركك • ام حسبت ان يدي تقصر عن تاديبك وعزلك

أو للذي يعرف بهذا برام القاضي حتى مسحت منه مضاضة مجدوح • و
سعيت معه في علالة ريح إلى نوح • وكفيت في كل ما كنت • وجلبت
لك ولغيرك من سوء الثمالة ما جلبت • حتى على سمع وضوحه • ولا حط علا
بمشى وجهه • ليت خدمتك التي تنتظر فيها خدمة الترتيب • ولا ادركتك
التي اسمع بذكرها ركبة الحازم اللبيب • عسى أنك بالذات لتنفسك رتبة
طفيفة • وجلبت لا أبدتك كل يوم وظيفة • تمنيت أن تكون خليفة
هذه مقدمة الجنون والوسواس • ونتيجة دماغك اليابس • مع ما إني يعلم الله
إني لأعجب من غلطة الدهر وسرقه أن يبلغك هواك • ويملكك مناك •
ولا أستبعد من شوم الزمان وحرمان ينقلك من حفرة القذارة والسخافة
إلى درجة الإمارة والخلافة • فينبك بحمد الله لكل حالة آلة • ولكل صدرٍ
جلالة • ولست تقدم من أبرار الخلفاء • غير بلد تتراشيا • الدعوة • ودار
الضرب • والمظلة • أما الدعوة فإنها أستأطرة من الضعفاء عليك
متصلة من كل جهة إليك • لازمة لك حتى تقطع وصلك • وتقطع
أصلك • وتبدد شملك • وتريك نعلك • وأما دار الضرب فترى
لنفسك محادة فيها من قريب بعد قيد ثقيل • وحبس طويل • وخسر
وهوان • وخذلان وامتحان • فيضرب فيها كعبك • ويخلع قلبك • و
توافق على جيوبك • وتعاقب بذنوبك • وأما المظلة فربما تبا طومك
وجود ما • وينصب في خلفك عوجها وعودها • ولكن ترى بدل المظلة
مذلة تظل عليك حتى تركب ومركوبك الأدهم • وتشرب ومشروبك
العلقم • وقد جرى في الموقف الأشرف زاده الله في جلالته من ذكر إهانتك بحالته
لك التي وما يصم أذنيك • ويسخن عينيك • وإليك يساق الحديث
وإن غدا للناظر بن قريب افتتاح منزل إلى سعد بن مقبل فأسوع
مطلعها ابن بدرون بخير لا يأتي على عجل • والتراب بيسيله مستراه •
استلبنا منك الله واستمتع بك في أيامنا هذه بعصابة من الأنذال
عقب الله رؤوسهم بالخذلان • وامتحنا بطائفة من السفل طافت عليهم
دائرة الحرمان • قد اشتهر والله نفاقهم • وطال في سوق الباطل نفاقهم •
وتدنست أخلاقهم • وظهر في المصادقة إخلافهم • فجزاهم الله عنا بتخفيف
الجزاء • وعجزهم مطلوب الرخاء • وعوضنا منهم إخوان الصفاء المتكثر

بذوي الوفاء بفضله • فقد كنت حفظك الله شاهد ما جرى بيني وبين ابن
نذ دوس شهور عند اجتماع • وما كان يتكلفه من التملق الذي هو عادة
الرعاع الاتباع • ويتعاطاه من مخادعة اياي بمنطق خلب • وبرق
خلب • وقول كذب • وجد في صورة لعب • ويعلق رجاي ايا ما
بباطل وعده • وعاطل عهده • وواهي عقده • وواهن وده •
وكنت اراه بعين الاستزراء وانظر اليه نظر من يعلم انه كسدت بضايعه
وفسدت قواعده • واخلقت نواميسه • وركدت طواويسه • واتحقق
ان مودته تكدي ولا تجدي • وانه يخفي خلاف ما يبدي • وان مواعيده
كلها اضغاث احلام • وفوحش اوهام • فهو لا يتقرب الى سلطانه الا
بشر غالب • او وعد كاذب • لا يعتمد عليه لانه كالثوب الخلق ان رقع
من جانب • تخرق من جانب • رداه الله بردا اعماله • وقصر باعه
دون بلوغ امله • والله لا يصلح عمل المفسدين • ثم كنت ارسلت
الى صديقنا فلان رقعة في معنى اخراج الحال بسبب الكسوة التي في الخزانة
الخاصة مقرونة برقعة لطيفة الى الاستاد الفاضل ابي البيان ايده الله
واعتمدت على من هو معتمد كل قاصد • ومعقل كل عاقل • وتطفلت على من لم
يزل متطفلا على المكارم • متهالكا على المغارم • نازلا من المجد طودا لا تدرك العيون
هضابه • مخيما من الفضل بحيث لا تقطع الايام اطنابه • حالا من الجلالة محلا
لا يستبيح الدهر جنابه • متمسكا من المروة بما لا تقطع الحوادث اسبابه • وارجو
ان يوفقنا بالاخلاق • ويحمي جواب امالي من الاكداء والاخفاق • فاشد ما تكون
الحاجة اليها في العيد وقد قربت ايامه • ودنا المامه • واحب اعزك الله ان
تجتمع بصديقنا فلان • فان قضيت الحاجة فانت تقبضها من الخازن
مطلوب • ولا تعرضها على الاستاد ايده الله ليهتم باتمامها فانا اليه مشوق
وعليه محسوب • والسلام • **رقعة الى صديق له في الاذكار**
وهو وهب انا اذ اضفت الى الشيخ ادام الله عزه بعد الحبس والغربة علمت
نفسي باقتراب الفرج فانقع بها غليلي • وتشتهي ورود منهله العذب
لتسكن غليله • ولو وجدت سبيلا الى الاستكثار منه • واقتباس غرائب
الاداب عنه • لرايت فيه الغنيمة الكبرى • والفائدة العظمى • بل لو تمكنت
من ملازمة تلك الحضرة الجليلة التي هي ملتقى الركاب • وموسم الشعراء

ووفود

وقرارة الفضل ومجمع الفضائل ومشرع الرياسة والنباهة ومنبع الاقبال
والسعادة فلو زنتها ملازمة الظل والازمت من قلبي بمشاهدتها
جنود الشغل ولكن عكوفي على الخدمة السعيدة التي بها اعتز واليها
اعتزي وفي كنفها انمي والى شرفها انتمي قصر شأن تصرفي على حكم الاختيار
وتعذر الطريق الى الاخلال بها اوضح طرق الاعتذار والله يبقي الشيخ
وبقيه ويمتعني بروحيه انقبضت عنه او انبسطت وفرطت في قضاء
حقه او افرطت وغبت عنه او شهدت وقربت منه او بعدت
فلا يخليني من المرغوب فيه من مودته والمظنون به من مخالصته
ومشاركته بمنه وقدرته كان الشيخ ادام الله عزه يوم الاجتماع في
موضع كذا ابتدأ مستقصيا للتجارب فاتم المجاري بانكار ما يتم على
دائما من جفاء الديوان وسوء عشرته وضمن عن الشيخ تولي ديوان الامام
تولاه الله بحفظه السعي في تحصيله والاهتمام بجملته وتفصيله فلقد
ابتليت يعلم الله في امر هذه الصدقة بمن لا يصدق في وعده ولا يستحيي
ان يأكل الا وحده وانا شديد الثقة بما بذله من جميل ضمانه عارف
بمكانه ذلك المخبر وامكانه معول على المشهور من مروته وفتوته ولولا
الحشم تقطعني عن مخاطبته وتمنعني عن مكاتبته لذكرت لبعض ما
يتم علي كل سنة منه علما بانه يتجرد لمصالحي تجرد من يعرف اقدار الرجال
ويصون مصونات جاههم عن الابتذال والشيخ ادام الله عزه اولى من
يتطول بتعريفه ذلك ليحرم ما ضمنه لي منه ووعدني به منه ويشيد
بناء ما لنا في المودة لا تتضعضع مبانيها ولا تتقضى معانيها ويتلطف
في السعي بين الاثنين لئلا يضيع علي ان اطري كل وقت بريع ملديه
واهدي ما يكسد من بضاعتي اليه وبحثه على اعتناق هذا الامر
واطفاء ما احترق من هذا الحجر فلقد رضيت بالمنع العام منه وان كنت
فيه مظلوما وارضى بان يأكل مالي مثله وابقى محروما ويتكفل بجده
الحاجة تكفل من يحرص على ارتباط بوادر الشكر ولا يأمن في تصرفات
بوادر الدهر ويعرفني من اخبار سلامته وانتظام امره واتساق امره واستقا
ما اسكن اليه واعتده وشكر الله كثيرا عليه ان شاء الله **وله رقعة في**
الشيخ ابي العلاء بعد عوده أحق جسم ان يكون بعون الله ملحوظا وعن

نوائب الزمان ونوازله محفوظا • وبالاقبال مقرونا • وعن صنوف
الاغاليل مصونا • بجسم الشيخ نجيب الدولة احسن الله ولايته • وادام
كفايته ووقايته • فان جسمه عجن الله من الكرم • ووفر من المجد تمكينه
ووسم بالفضل جبينه • لازالت خدود الاعداء لضارعة • والسنة
المودة لمسامعه طائعة • نعم • انكفيت اول امس من منزلي
بالقاهرة مبادرا الى النزول اليه لعيادته • واستيفا الحظ من
سعادته • فصدمتني في الطريق بغلة رتيبا • وهشمت بدني
رهشا ووهيا • حتى ايقنت من تلك السقطة اوا صعبا • وجذبت
من تحتها بعد الياس جذبا • وبقيت الى يومي هذا كالمنكوب المكروب •
ولا اطمع في تحريك ركبتي فضلا عن الركوب • ولما بلغني اشتداد
الوجع به • توجعت لوجع من ينا ذكرنا نابه • وساقه فينا اصابه •
وقدمت رقعتي هذه نائبة في الاعتذار • ومقررة الضرورة التي
حالت بيني وبين الاختيار • وانا ابتهل الى الله في ان يجعل مقامه
مديدا • ويعقبه عاجلا ركوبا حميدا • ولا يفجع اهل الفضل بعدمه •
ولا يخلي الكافة من تنسم روايح فضل كرمه بلطفه وعطفه •

رقعته الى عميد الدولة ابي الحسن بن صالح في اقتضا [illegible]

قد تفضل الشيخ عميد الدولة ادام الله فضله • ولا زال عنا طلله فيما تجشم
وتلطف فيه من الاذكار بحديث الجاري وجرى على كرم عادته في اعادته
بعد انقطاع مادته • وسعيه في تمهيد الامر بالحضرة الطاهرة زادها الله في
جلالتها وتقريره • وتسهيله على الحالة التي ذكرها بعد تعذيره حتى استقامت
الحال بعد ان كانت مائلة • وحليت بعد ان صارت عاطلة • والقت
عصاها بعد ان كانت راحلة • وطاب جناها عقيب ما كانت ذاوية
قاحلة • وزال ضناها بعد ان كانت ضاوية ناحلة • تفضلا منه
اطلق لساني بشكره حيث ما سار فيه برا وبحرا • وتطولا بسط بناني في
بنشره كيفما تصرفت نظما ونثرا • وبحق فما تقدمه في باب مكرمة ادتني طريق
مكافاة عليها الا لانيه منها معتذرا • ومسالك مجازاته على ما خصني بجمالها
متوعرا • حتى الجاتني الضرورة الى ركوب مركب الثنا الذي هو اطوع مقادا •
والميل الى جانب الدعا الذي هو اخصب مرادا • واخلصت رغبتي الى الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن يمده بالمعونة على ما يتولاه • ويعضده بالكفاية فيما يتجراه • ويبلغه
الإرادة فيما يتمناه • ويؤيده بالسعادة في أولاه وأخراه بلطفه وكرمه •
وللشيخ عميد الدولة أدام الله نعمه عندي مِنَنٌ أثقلها أوزنها وأسناها
أدناها • فقد أضعفت كاهلي عن أن ينهض بحملها • وأهبطت كاهلي
عن أن ينوء بثقلها • وبقيت مكرمة واحدة إذا أتمها وأحكمها صار
في وجهي ما سلف عندي من منته غرة • وقلادة يدا ما نظم لي من
أياديه درة • وهي أن يتلطف في فصل أمري بالحضرة المقدسة
زاد الله في عزها على إحدى الحسنيين • إما إمساك بمعروف • أو
تسريح بإحسان • ويعلم أن لي نفساً عزوفاً مستصغرة قيمة الدنيا بالديها •
وهي كما قيل تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها • ويقبح بي وقد أبليت بهذه
الحضرة ملابس العمر • وعرفت بموالاتها جوانب القدر • وامتريت
فيها أخلاف النفع والضر • ووفيت بها شروط الشكر والصبر • أأصبر
على خطتي خسف وهوان • وأتذلل لفلان وعلان • ويُشار إليّ
بعين ابتذال وهوان • وينقص رزقي من رزق مدبر الدولة •
هذه والله الخطة الشنعاء • والداهية الصلعاء • والطامة
الكبرى • والمصيبة العظمى • والفضيحة التي لا يلتئم جرحها •
والمحنة التي لا يزول على الأيام قبحها • وإذا ما جفيت كنت جديراً
أن أرى غير مصبح حيث أمسى • الله يعلم أني ما حللت بأرض إلا
كنت عند صاحبها معتداً مقدماً • ولا حللت ببلدة إلا
كنت صاحبها موقراً معظماً • ولم أرَ نفسي إلى هذه الغاية حيثما
ألقيت رحلي إلا مميزاً بالاصطفاء والاقتفاء بين الأكفاء •
ومخصوصة بالإعظام والإجلال • من بين الأمثال والأشكال
وعزيز علي أن أحط بعد الحذاق إلى تعلم حطي وهوز • وأن أضع
قرني في يدي بزاز • فليت شعري بأي جرم يسقط رزقي الراتب •
وبأي ذنب يشمت بي الحاسد الكاذب • ولم ألام وأنا نقي الجيب
من كل عيب • ولم أضام وأنا من صنائعي في حمى كليب • وما حاجتي
إذا أجرد وأجرب في الضرائب • ولم لا أعد الجحاجح دون الذنائب •
ولم أجرح بكل سهم عابر عائر • وأدمى بكل ظفر وحافر • أو عاجز

فالاعتبار ينسبني الى العجز في الخدم • او ناقص فالاختبار
يفضلني على افاضل الخدم ومانع فضله عن الخدم •

جنايتي ان حسادي قرابته • عمي عن الفضل رواغ عن الكرم
لا يعرفون مقادير الرجال ولا • يدرون بالفرق بين الكلم والكلم
قوم لئام اذا ابصرت نعمتهم • دعوت ربك يستعفي عن النعم

والشيخ عميد الدولة ادام الله دولته اولى من تحرز لتخليصي من
هذه الورطة بجميل عنايته • ويخرجني من هذه الظلمات بنور
هدايته • وينقذني من حلاوة منته ما لا ينغص بعده عيش
علي • ولا تهتدي الايام بعده الى الاساءة الي • ان شاء الله تعالى

رقعة في المعاتبة والاقتضاء والشكوى تعريضا وتصريحا

لو كان العتب ادام الله عز الشيخ عميد الدولة في دوام مطلي
وعزلتي • وامتداد ايام بطالتي • واتلاف حالتي لاداعما غير
مستعد وعارضا وقعا على غير متخط مقدارها • لاحتملت ملاوم
العاتب • ولقبلت كلام العايب • ولكنني اتحقق انه ما يسال عن
حالي سائل • ولا يسمع بخبري مقيم ولا راحل • وهو يعلم ان
صناعتي غير ضعيفة • وبضاعتي غير طفيفة • ويدي غير
كسيرة • وعبارتي غير قصيرة • ومعرفتي بما اتولاه غير قليلة •
وبصيرتي بما اتولاه غير كليلة ولا فليلة • ثم يلقيه الي بهذه الحضرة
الجليلة في صورة المطرود المجني عليه • والمقصود المسا اليه • والمطروح
الذي لا رغبة لاحد في استخدامه • ولا قدرة لفاضل على اعادة امره الى
نظامه • والمبعد الذي ضاقت هذه الحضرة مع انفساحها واتساعها
وكثرة دخلها وارتفاعها • وعظم خطرها ومكانها • وجلالة مالكها وسلطانها
على الاشتمال عليه • وعجزت عن الاحسان اليه • واجانبها يجري قبطي
يتقلب في النعيم يمينا ويسارا • او عطي يقارن قارون ثروة ويسارا •
او دخيل في نسبه يخون السلطان اعلانا واسرارا • او عليل في ادبه
ياكل الدنيا اسرافا وبدارا • الا ان تنسب حاجتي الى ضعف الانتقاد • وسوء
الاعتقاد • او كثرة العجز والنقص • وقلة التمييز والفحص • او الحسد الذي
اكثر ما يبتلى به الفضلاء • والاذى الذي لا يخلو من مثله الاغنياء • وانا

اعني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أحاشي حضرته أن تروى يوماً من الفضائل • أو تخلو عن المحامد والعقايل • أو تجنب الى إضاعة حقوق الأفاضل • أو تعجز عن محاسن آبايه الأوائل • لا سيما وبيده عنان الملك يصرفه كما يريده • وديوانه الذي هو اليوم عماده وعميده • وأحوال جليلة تنبي عن أصالة عقله • وجلالة أصله • ووفور إنصافه وعدله • وظهور أدبه وفضله • وتعصبه لمن يجيل في الأدب قدحاً • أو يبذل في مودته نصحاً • وقد شرحت صورة حالي له في رقاع عدة سبقت اليه • وذكرت له ما تحققته أن لا يتعذر عليه • من ذكر حالي بالحضرة المقدسة وإصلاحها • انقفرت معاهدها • أو تكدرت مواردها • على أنني زاهد في هذه الأيام في الأعمال وإن كانت جليلة • وقانع بتلك الصدقة التي كانت علي برسم الجاري وإن كانت قليلة • وواثقاً بأن هذه المدة إذ انها كانت واسطة في قلادة منته الغر • وصنيعة أحدث بها الى آخر العمر إن شاء الله

الى بعض أصدقائه في المعاتبة وهو أبو البيان

يا سيدي أحسن الله معونتك • وأدام الامتاع بك والدفاع عنك • كتب النعاتي انه الجيد لا يتغير بتغير الأجياد • وضعف الأجواد • وقل الأمجاد • وكثر الحساد • وظهر في الناس الفساد • وطاب البعاد عنهم والانفراد • وصارت المروءة قد عز مطلبها • والفتوة صعب مركبها • والمكارم أنكر مذهبها • والفضائل أسود مذهبها • والآداب محصاة في النوادر والمضاحك • والمحامد ملقاة بحرفي الغارب • والصدق قليل ما يستعمل الا في المطل • والرزق قليل يستنزل بالسخف والهزل • وبقيت من ربوع الانسانية أطلال لا أنيس بها ولا منار • وابتلينا بأقوام يعدون مفاخرنا كبائر • كأنهم لم ينشدوا قول بشر بن كدام الهلالي حيث يقول

العرف من يأته يحمد مغبته • ما ضاع عرف وإن أوليته حجرا •

وقول ابن مناذر التميمي حيث يقول

مادام جاهك معمور جوانبه • فابذل للناس حتى تبلغ البيدا •

وكأنهم لم يسمعوا قول صديقنا ابن بنانة رحمه الله وهو يقول

يعطون ما يعطونه نفوسهم • فيه فلا يزكو ولا ينمي •
فإذا أتى معروفهم لم يأت في • وقت يفرج عن أخي الهم •

من محاسن اثاره واحواله . واشتاق لمن تشتاق غدا الى مشاهدته
لما يغتنم من روايح شمائله وخصاله . وباعد من تتنزه في رياض خلقه
واداب الاسماع والابصار . وتحاسد على جلالة محله سكان البلاد
والامصار . وهذه حالي مع من فارقته . وصورتي مع من باينته .
واعجب ما جرى في هذه الشقة . مجادلة قلبي ورجلي . وغرايبه
مغالبتهما من اجلي . فقلبي يقول للرجل لولا مسيرك عن مستقر
الفضل الاصيل . واشتياقك من ظله الظليل . لما تقلب على لهب
من الشوق لا يخبو ضرامه . ولما اصبح غرضا للنزاع لا تشوى سهامه .
ولما انطوى على اسف يؤثر بعضه في الحجر الصلد . ولما انزوى عن جناب
دونه جنة الخلد . والرجل تقول لولا كثرة ملالك وضجرك . لما غلب
على سفرك . وفرط قلقك اذا كنت بارض ثاويا . وسعيك
فيما لا يخليك من الشغل خاليا . لما وطأت الاوساط لجلالة ليلا
ونهارا . ولما نقلت خطاي منه رواحا وابتكارا . ولكفيت بقعودي
مؤونة الطلب . ولما ساقني ادماني السير الى التعب . وانا ساعي
بينهما بالمسالمة . ومانع لهما من المخاصمة . وقائل لهما ما لكما ذنب
ولا عليكما عتب . ولا انتما ظالمان . ولا ملومان . فاول ما يلام على
ابعادي . عن مرادي القدر المولع بتنغيص الحبور . واحرى ما يذم
ويذام عن اقتضابي عن مباني الدهر المؤذن بالشتات . وهل صفا
عيش لكريم فيكون لي صافيا . او ساعد الزمان حرا فيصبح لي مساعدا
والدنيا اكثرها الهم . والحريص فيها مهموم محروم . والتارك في جل دقا
يحوز عاجلها المعتبر . والانسان في اكثر تاراته يدرك ما لا يدركه
العاقل المتبصر . وما ذلك على الله بعزيز ان يسعدني عاجلا بلقاء
مولاي الزينة بجليل . ويعيدني من حضرته الى حال كنت بها مسعودا
محسودا . ويذيقني من حلاوة النافلة الاولا بروها بمنه وعونه . فاما
حديث المسافة التي سلكتها بعد مفارقتي حضرته آنسها الله الى هذه
الناحية . فلقد كانت يعلم الله شاقة وعرة . وخشنة صعبة . لم اركب
كل يوم الا بعد توبة واستغفار . ولم امر طول طريقي الا على شفير
هار . ولم اصحب الا شياطين الانس . ولم احط رحلي كل ليلة الا

بلغ
العرض

في

فنضيع مالهم واجرهم • هذا ولا يخلون من ذم •

اللهم انك تعلم ان الضرورة تدفعني الى ان اجري بما لا اوثره قلبي • وانتقل الى من لا احب قدمي • واطرح بزي عند كل من لا يشتري بضاعتي • واكره نفسي عند من يعرف كسرني وصدق قناعتي • فاغنني بجودك عن مخاطبة من لا يخاطبني الا من السما • ومن لا يسقيني على ظمائي غير لعوق الما • انك سميع الدعا • قد برد يا سيدي ادام الله عزك الخطاب • في حديث الشباب • ولو صرف الاستاذ ادام الله حراسته عزمة من عزماته الثاقبة الى عرض الرقعة • وتلطف في تحصيلها عنده بالسرعة • لعددتها من عنده خلعة ضافية للقلوب لحساده • قاطعة لآجال الاضداد • لوجدني جاريا من شكره في بيداء لو جارتني الريح فيها لتركتها مقيدة • ولو سابقتني الاقدار لها لغادرتها حائرة متبلدة • والذي اوثر ان تلقنيه في خلوة وتنشده على طريق الاذكار • بيتي الزبير بن بكار • في الفتح ابن خاقان •

ما انت بالسبب الضعيف وانما • نجح الامور بقوة الاسباب •
واليوم حاجتنا اليك وانما • يدعى الطبيب لساعة الاوصاب •

وانا اتحقق ان سيدنا بحمية تبرزه على اكتساب المكارم وابتنائها • واجتلاب المحامد واقتنائها • ويطالعني فيما يتجدد في اعيانه ان شاء الله تعالى

الى الشريف القاضي ابي الحسن بن ابي طالب الزيدي يشكره ويعاتبه

سيدي الشريف القاضي ادام الله نعمته وسعادته نازل من الشرف على شرف لا ينال مكانه • ويقيم من المجد على طود لا تتزعزع اركانه • ويحل من طهارة النسب بمحل لا يرفل في حلله وظلاله • وحال يعيى غيره عن تفصيله وجمله • فاذا عسى ان اقول في شرف اذا بالغت في اطرائه لم ابلغ ما يستحقه الا يسيرا • واذا تناهيت في مدح آبائه رجعت على ادراجي حسيرا • واذا لم يغن الاكثار فالاختصار اجمل • واذا لم يجد الابلاغ فالاقتصار اشكل • ابقاه الله كيف يشاء وكما يختار ليبقى الدين ببقائه محروس الجوانب • واحياه ليحيي الفضل بحياته منصور المواكب • فانه حجة على النواصب • وجمال لآل بني طالب • ثم انا اتحقق ان سيدي الشريف القاضي ادام الله نعمته اذا اعتقد عقدا وفى ضمانه بالكرم • واذا اقتصد لم اوضع

الثنا

الينا موضع النقب • واذا وعد وعدا اسلف انجازه قبل وقته • واذا غرس
غرسنا سقاه قبل تصوح نبته • وقد علم الله ما يبدل به لسانه • واكد فيه
ضمانه • من ابناء الكافة بحفظ نظام الالفة في بلدي المجد والبث
بالقرافة • وليس الغرض يعلم الله في تجشيمه المشقة الا للتشرف
بطلعته • والاستشفاء بغرته • والتبرك بمجالسته ومحادثته •
والتيمن بمصافحته ومطايبته • وقطع الوقت بما يصل انسا
ويسر نفسا • وقد جرى ما جرى • وسومح بما مضى • وطويت
والله صحائف فلا تقبل منه بعد اليوم معذرة • واغضيت
على الذنوب السالفة مما بعد هذا الانفة مغتفرة • وانا راغب الى
تفضله • ومعول على ما اعهده من جميل تطوله • وملتمس اجرائي
على جميل عادته في تشريف الجماعة وعمارة سبيل المودة بقربه • وترك
قرائن الاعتذار • بالابتدار الى الدار • ان شاء الله تعالى

الى بعض الرؤسا من يخدمه يعاتبه ويعرض بانسان

مستقبل بالذي اكره وان كثرت منه الاساة معذور بما صنعها
في خلقه شانئ بمجوات آمنه • من القلوب تمكين حبنا شفعا
انا مع الاستاذ ادام الله تمكينه بين حالتي تعجب واعجاب • وعتاب
واستعتاب • فاذا رايت اعراضه عني تعجبت • واذا سمعت بما
يعتقده في فرحت واعجبت • واذا تخلى حظي من رعايته ادللت
وعاتبته • واذا نقص حظي من عنايته استرضيت واستعتبت •
فلا عدمت من لا يزول عن ضميري وده • ولا يستحيل عن مناهج
الصدق عهده • ولا يخل عن القرب والبعد عقده • ولا يثقل
على اللسان شكره وحمده • ولا خلوت من ان اخطره بخاطري انشرح
له صدري • واذا مثلته لناظري استقام امري • واذا احللت
بعقوته علا قدري • واذا استمسكت بعروته اعتنى دهري • واذا
ذكرته بلساني ارتفع ذكري • واذا استظهرت بفضله اشتد ظهري •
ولا زالت الدولة خادمة بحضرته • والايام جارية على حكم ارادته • و
الاقبال مقتبلا لبنيه • والسعد مقرونا بساعده • ثم كنت ادام الله
عز الاستاذ من اول شوال والى هذه المدة اقاسي من العلل الصعبة

ماهدّم جسمي وهدّه • واضعف بدني واجهده • حتى انزويت على
يحيى نحولًا وانتكاثًا • ولم اركب فيه غير مركب مضطرًا لا مختارًا •
وكان الامر العالي زاده الله نفاذًا واخرج فيه بالانعام من غير اعتماد على
احدٍ واتكال • او الجاءٍ في سؤال • باطلاق كسوتي في المحرم كما كان
الرسم جرى به • وكان التوقيع نفذه فيه الى ابن بدرس • ولم يزل يسوف
ويماطل • ويزخرف ويطاول • ويخنقني بالزبد • ويخلفني في الوعد •
ويسقيني السم ويمنيني بالشهد • ويقرا علي عند اجتماعنا في السقا
بالمقصر المعمور صحايف كذب ما يد ورتبتها اللسان • وينشر لي
مصاحف ما يهتدي الى جزء منها انسان • الى ان مللت خطابه •
وتركت عتابه • وانفت لنفسي من الاقتضاء ترفعًا عن مكاشفته
وجرى هو على عادته المشهورة في مجازفته ومجارفته • واوضع في
السقوط ولم يترك للمجاملة موضعًا • وقد حملت صاحبي اليه رسالة
يؤديها • ويقتضي حكم الامانة فيها • وهو ادام الله عزه ولي الفضل باجرائي
على كرم عادته • في التوقيع باطلاق الكسوة على المبلغ يذوقني من حلاوة
احسانه ما يزيل به عني مرارة العسر • ويطوقني من منته ما لا ينزعه
عني مدى الدهر • ان شاء الله

الى الحسين بن بشر في شفاعة والتعريض بانسان ذي رقاعة

كنت كاتبت سيدي ادام الله عزه
مرات • وارسلت اليه تارات • في معنى الربع المنسوب الى جماعة من وراء
حجاب • تقتضي المروة ان ادبر شؤونها • واحامي دونها • وتوجب الفتوة
ان لا اخلي اديمها اجتياح • وحريمها استباح • وابن وهب اليهودي لا اوهب
الله لا جرح من العافية قليل البركة • سيئ الملكة • لئيم العهد • ضعيف
اساس الود • لا يخاف ويفري • ويخبط ولا يدري • وقد احلي منه بابدانه •
وفحم اشتنانه • وفرط ترسيمه وتغريمه • ارادة منه ان يظهر الكافة جلالة
مكانه وامكانه • وسطوة قدرته وسلطانه • وقد منعه سيدي ادام الله عزه
مرة بعد اخرى • وثانية عقيب اولى • من التعرض الى الضامن البايس فما
امتنع • ولا ردع عن سوء الصنيع فارتدع • ويبهته وهو راقد • ويقصد
وهو لا يحس ماله فايد • وعرفه صورة الحال وهو في العمى زايد • و والله لولا
تصوّني وترفعي عن مقابلة ذا الكلب بما يستحقه لجرعته من الموت كاسًا لم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يزج بعدها ثبورا . ولصعقة صفعة يهوي بها في نار جهنم يصلاها
مذموما مدحورا . ولبث لحضرة بالشام التي اخربها بشومه . ولتسأل
اهلها بلومه وبحومه . وهذه جملة تفصيلها اشكاية الى مولاي الوزير
الاجل ادام الله قدرته تصليه جحيما . وتترك عظامه رميما .
واجب ان يتفضل سيدي ادام الله فضله بقبض يده عن التعرض
لهذا الربع . وتعريفه بما اذخر له من الصفع . الى ان يسهل الله بيعه
فحينئذ هو بري من التوراة ان لم يتبع في خرابه . ولم يبالغ في هدمه
وانتهابه . ويأتي في هذا الباب بما يؤذن بحسم المادة ويمنعه من الاعادة
وقبح العادة . ان شاء الله نسخة الى اهل دمشق لما صبروا
وجدوا في قتال الاعدا وجاهدوا يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله
بما تعملون بصيرا . اذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك
ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا . اما بعد . فان احق الرعايا
بان تفاض عليهم ملابس الانعام . وتضاف اليهم نفائس الاحسان
والاكرام . ويميزوا من بين امثالهم بالادناء والازلاف . ويخصوا
من بين اشكالهم بالادعاء والاكناف . ويؤثروا بجليل الاثرة والاقتفاء
ويبهروا بجليل الحظوة والاصطفاء . وتقبض عنهم ايدي النوائب و
النوازل . ويرتقوا الى اجل المراتب والمنازل . رعية حسنت في
الاخلاص اسرارهم وسرائرهم . وسلمت من الانتقاض ابصارهم وبصائرهم
واتحدت في المتابعة والولاء عقودهم وعقائدهم . وشهدت بالثقة
والوفاء عهودهم ومعاهدهم . وثبتت على مواقف الحق اقدامهم . وانبأ
عن صحائف الصدق اقدامهم . منكم يا اهل بلد كذا اسلمكم الله فانكم
صفوتم حين الموارد تكدرت . واشتددتم حين المعاقد تفرقت . وخلصتم
في اعتقادكم حين القلوب تغيرت . وحرصتم على جهادكم اذا الخطوب
عزت وتوعرت . واستمسكتم فيها ما امكنكم بعرى الاصطبار . وسلكتم
فيها بانكم مسالك المهاجرين والانصار . وصنتم حوزتكم بايدي متناصرة
وارتبطتم نفعكم بقلوب متظافرة . وعرفتم ما في التخاذل من العار

فعدلتم عن طرقه • وتحققتم ما في التواصل من الفخار فسعيتم في طلبه •
وتناصرتم على الحمايات من زيادكم مرة بعد مرة • وتوازرتم على
المناضلة عن ذواديكم بنفوس عزيزة • وعلمتم ان الباغي حينا فقصد
وجهد مخذول وان انفقت لجولة • وان المبغي عليه اينما امّ والمّ
منصور وان لم تنتظم منه صولة • وانفتم لانفسكم في القتال من
قلق المستغيث الصارخ • ووقفتم عند النزال كالجبال الرواسخ •
وكسبتم بما ابديتموه من الشجاعة ثواب اهل الطاعة • وكسبتم من
الصرامة ملابس السلامة • ونشرتم من حميد اخباركم ما تخلد
جماله في الاعقاب • وشهرتم من شديد اثاركم ما يرد قول الحساد على
الاعقاب • حتى اصبحتم بنعمة الله اخوانا • ولاولياء الدولة المنصورة
انصارا واعوانا • ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى
الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا • فجزاكم الله عن رضي اعمالكم
جزاء المحسنين • واتاكم عن جميل افعالكم ثواب الصابرين • ورضي
عن مساعيكم الحميدة في الطاعة • ومناحيكم الرشيدة من بين
الجماعة • ووفقكم لشكر ما انعم به عليكم من امدادكم بعد الياس بالنصر •
وانجادكم بعد الياس من النصر • وارهاف عزائمكم • وتحديد صوارمكم • حتى كسبتم
من احماد امير المومنين ما استقللتم معه كل كثير • وجليتم من رضاه ما
استصغرتم كل كبير • من اعتداده بكم واعداده لكم ما يحلو جناه في
افواهكم ثمره • ويلوح على صفحات احوالكم فرط يمنه وبركته • ويجبر ما
كسرته اشياع الباطل من احوالكم • ويبلغكم نهاية ما تسمو اليه نواصي امالكم •
ولقد تصور بحضرة ما دهمكم من المحنة التي هدمت بناكم • وقصمت
عراكم • واضعفت قواكم • وقطعت بلوكم • ونحلت جاهكم • وعلم علما
يقينا لا يتعرض الريب ليقينه • ولا يعترض النقص على راهينه • ما
جرى عليكم من منازعي الحق واعداء الدولة • ومنابذي الصدق ومحادي
الملة • حين تخالفوا على منازلكم • وتوافقوا على مقاتلكم • وما استحلوه
من تخريب الضياع والعقار • وقطع الاشجار • وقلع الثمار • وهتك
الاستار • واجلاء الضعفاء من مساكنهم • واخلاء منازلهم واماكنهم •
وهدم الباقي الذي هد نوابه قواعد ادبانهم • ونظموا منه شوارد دخلهم

لهم

ولددهم في القتال الى ان تكدرت حواشيهم، وضاقت عليهم نفوسهم
وانفاسهم، ودعمكم في نحورهم حتى انقلبوا صاغرين، وهربوا حايرين،
وطاروا اشتاتا حصائد السيوف، وجادوا الوزر طرايد الحتوف،
وولوا مولين على الادناب، ورضوا من الغنيمة بالاياب، فاذاقهم الله
الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون، فيجب ان تعظموا
قدر النعمة فيما كشف الله عنكم من سحايب الظلم والظلمة، واراح قلوبكم
من نوايب الغم والغمة، وتدارك جماعتكم من الرافة والرحمة، وتثقوا
بصنع الله الجميل وفضله الجزيل، وتحققوا ما يعتقده امير المومنين
فيكم من ارتضائه لمذاهبكم ورضائه بكم، وثقته بشاهدكم وغائبكم،
واعتماده على خلوص ضمايركم، واعتداده بباطنكم وظاهركم، وتعلموا
انه في تطلع من نظراته ما ياسو كلومكم، ويزيل همومكم، وتقر عيونكم
ويحقق ظنونكم، ويقرب نوازح امانيكم، ويرغم اناف اعاديكم، ويجني لكم
نتايج الامال، ويحط عنكم فوادح الاثقال، ويعيد بلدكم الى احسن ما
كان عليه عمارة وحسنا، ويبدلكم بتوفيق الله من بعد الخوف امنا،
وما توفيق امير المومنين الا بالله عليه توكلت واليه انيب، ورقعة
منه الى الحسن بن بدرويس وكان على بيت المال لما بلغه انه ذكره بحضرة
بالقبيح فانفذها الشيخ على يد الخازن ايها الشيخ اعانك الله على الطاعة والتقوى
وجزاك عن نعمائه الجزاء الاوفى، وهداك الى سبيل الخير والهدى،

مدبرين

وهذه حال لو سكت لقيتها، لاني سالت الله فيك وقد فعل،
قد تحققت يعلم الله في فرط دهائك، ونكرك واستهزائك، ومكرك اهتدائك
من التقرب الى ضروب لو عاش معوية بن حرب لما اهتدى الى بعضها، و
تسلقك على ابواب من الخبث لو نشر عمرو بن العاص لما قدر على نقضها، وتطرقك الى
دقايق من السحر لو رآك المغيرة لعبدك لها عبادة، وتعمقك في طرايق من الخبث
لو عرضت على عبيد الله بن زياد لما وجد عليها زيادة، واقتدارك على التمويه
على عقد لو اجتمع الشيوخ على حلها لاعيتهم الحيلة، ولو حشر المرقة على قلبها
لاعجزهم نكاياتك الوهيمة الطويلة، ثم مع هذه الخصال الغضة الجديدة
والفطنة الحاضرة العتيدة، تولى الذي لا يخلو مثله من الحياء في
وجهه نضارة، والنفاق الذي لا يرضى باستعماله من في خرده طهارة،

والتملق الذي يتعدى من حد التودد الى الطمع والسخرية . والتشوف
بالباطل الذي لا يعتقده غير الانفس الخسيسة الغبية . والطبع الردي
الذي يزداد على الايام ضعفا وكدورة . والخلق الدني الذي لو بث جزء
منه على الارض لانقلبت حزونة ووعورة . ووقيعة في الناس بظهر
الغيب . وطبيعة لا تستقر الا على النقص والعيب . وتمزيق لاعراض
الاحرار تضاهي صورتك الموحشة الكدرة . وتتبع لمحاسن الافعال
تحاكي شيبتك الخبيثة القذرة . فلو غاص الشرف في بطن السمك
لاستسهلت خلفه مغاصا . ولو ارتقى الى الفلك لما وجد منك
خلاصا . فسبحان من خذلك حتى عدمت التوفيق . واضلك حتى
ضللت الى الحق الطريق . واعمى بصرك وبصيرتك . وقوى في الفساد عزمك
وبغضك الى اهل الفضل . ورفضك في مهاوي الغباوة والجهل . احسبت
ان هذه الايام الناضرة الزاهرة مثل الايام التي كنت تدنس جماعة امنوا
بك وهم شر من الكفار . واغتروا باباطيلك اذ هم اصحاب النار . وتعلم
كيف تنصب الحبائل . وكيف تركب الكمائن والمخاتل . وتشق حلو
مكتسبك على اصحاب الاخبار . وتوافق تلامذتك استاذي الاشرار على
اراقة دماء الناس ظلمهم ودفعهم . ومحنهم ومنعهم حتى لم يسفك دم
الا وانت سافكه . ولم يظلم احد الا وانت مساهم في الظلم ومشاركه .
ولم يجرح حر الا وانت سبب اباحته . ولم يجر كريم الا وانت الطريق الى اجاحته
ولم ينصب كيد الا وكنت ناصبه . ولم يغر انسان الا وكنت صاحبه .
فليت شعري باي شيء تدل على الناس . ابالادب . والله ما تفرق بين
سليم وسقيم منه فرقا . ابالحسب . والله ما ضربت فيك كريم عرقا .
ابالصيانة . والله لو فتشت اربا اربا لما وجد في باطنك غير التحريف والتزوير
ابالديانة . والله لو نتفت سبالك طاقة طاقة لما شم منه غير الخنزير . ابالصورة
والله ان القرد ليانف ان يكون لك شبيها . ابالنفس المرة . والله لم تك
تعد الا سافلة سفيها . واذا كانت هذه محاسنك وصفتك . فما معنى تجعيد شعر
انفك . يا هذا . يبلغني عن من لا ارتاب بصدق مقاله . ولا احس النميمة
باشتماله . انك ذكرتني بالموقف الاشرف بالقبيح والشيوخ قعود . وهم على ما عرفت
ونقصت شهوده . حتى اطرق بجميع منكرين لخطابك . عارفين للؤم حشو ثيابك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وشاتتي لامير المؤمنين عرضك فيما عبتني وعرضك فيما اغتبتني فأتاك مغضبا محزنا وعلم ان اباك كان امرأ سوء وكانت امك بغيا ولو كنت حازما لكشفت للحاظرين غطاء امرك واوقفتهم على كيدك القديم وغدرك ولدللتهم على باطن شرك وكامن سرك ولدبغت جلدة قفائك بنعال البث ولخاطبتك بما اخاطب به اولي الطاغوت والجبت ولقصرت لسانك الذي لا يزال يذيره من خلقي ولكفيت المسلمين مؤونتك بكي دحقي وما دامت طريقتك الافترا على المفاسد والاقتدا بمذاهب السفها والتقرب الى الحضرة بالنواميس التي بحارها عندك واسعة ومضارها لديك شاسعة والتعقب على الدولة التي بها صرت متبوعا وكنت تابعا ونلت شبع جوفك وكنت جائعا فالقدر طالبك ومطالبك والسيف خاطبك ومخاطبك والدهر خصمك ومحاربك والله خاذلك وغالبك وارجو ان نلتقي معا في الحضرة الشريفة فترى كيف اخاطبك بحذا الخدم واجابتك بما تعرف عنها بالعي والفحم ان شا الله وبه الثقة

ورقعة منه ايضا في معماة الى الصديق له وهو ابو الحسن ابن المدبر

اراك يا سيدي ادام الله عزك مغرى باستخراج المعميات والالغاز مُدَّعيا في استنباط غوامضها ضروبا من الاعجاز والامر بخلاف ما يجول في ضميرك وبضد ما في تقديرك فان كان لك ذكا فنقل لي ما هيئة تشبه الدواح وتبارز الرياح اصغر من قيد شبر واقل من قدر فتر وجهها في قفاها وفي الشرفات سكناها انثى ولا تحتاج الى ذكر تحبل لا من بشر تطعن في غير قتال وتقطع بغير نكال وتضم من غير عناق وتوصل بعد اشتياق معدومة في اكثر بلاد السودان محجوبة الا على ملاوح للزمان بخيلة ولا تعذب بالهجران ضئيلة ولا تبلى بالاخوان هينة لينة ساكنة ظاعنة ضيقة واسعة قريبة من زوجها شاسعة لا من الحديد جوهرها ولا من النحاس عنصرها ولا من البحر نجارها ولا من الجو قرارها ولا في الهوى مطارها ولا من النار استعارها ولا من الفضة تركيبها ولا من الذهب ترتيبها ولا من الخشب منجورة ولا من الحجر منقورة فرجوا

كالارجوان ٭ وطوراً بيضاء كالاقحوان ٭ وتارة قاعدة بالديوان ٭ وكرة
منعطفة كالخيزران ٭ وحينا زاهرها صفراً تسر الناظرين ٭ ويوما
تبيض ها زرقاً تعجب الرائين ٭ نصفها بعيد من المتقشف ٭ ونصفها
قريب من المتاشف ٭ وان تحققتها فصفة لعاشق ٭ وان حققتها
فاتفال اولي الحقايق ٭ ففي القران ذكرها ٭ وفي الانسان برهانها ٭ وفي
الظروف امثالها واضدادها ٭ وفي الحروف ازواجها وافرادها ٭

٭ فهات وصفها لما سترت فانني ٭ عليم بان العلم منك بعيد ٭ لي

ذكر الجواب

ولجوابه رقعة وردت عليه من انسان يضرب بينه وبين صديق
وصلت رقعتك ايها الشيخ حرس الله مدتك ٭ وجعل الرشاد والسداد في كلها تاتيه
وتذره عدتك وعُدّتك ٭ وما دعوتك شيخا لكبر سنك ٭ ولا لاحتضار حينك
ولا لفرط مواد تجربتك ٭ ولا لقوة امداد حنكتك ودربتك ٭ ولا لرزانة عقلك
ورأيك ٭ او لكثرة تانيك وتهذيبك ٭ ولا لاعتدادك لحل الاسباب المشكلة
اذا التبست طرائقها ٭ او لمقدرتك على فتح الابواب المغلقة اذا انغلقت مغالقها ٭
ولا لتقويم الاسفار البعيدة نيلك واودك ٭ ولا لتثقيف الاوعار الشديدة
صعرك وصدك ٭ ولا لممارستك المصاعب في البلاد المتباينة الاقطار ٭
ولا لتذبذبك النوائب في الايام المختلفة الاحوال والاخطار ٭ ولا لان الشباب
قوّض عنك جلباب اللبس ٭ ولا لان الشيب غادر افنان راسك كالثغام الجلس ٭
ولا لان الغراب الاسحم طار من فوديك ٭ ولا لان الابقع زارك فاقام
لديك ٭ ولا للدلالة على توقيرك وتبجيلك ٭ او للاشارة الى اجلالك
وتعظيمك ٭ بل شيختك حفظا للنظام الخطاب ٭ واقتداء بمذاهب
الكتاب ٭ واتباعاً لسنتهم في المسامحة بالالقاب ٭ ولما نظرتها الاني وجدتها
مشتملة على فصول منتحلة ٭ واصول عن مواضع الصواب محرفة ٭ ونعات يابى
الطبع من تصورها لتعقيد الفاظها وتعورها ٭ والفاظ ينبو السمع عن
استماعها لضعفها ووضاعتها ٭ ورايتها تجمع جامع سفيان ٭ وتشبه مخلاة خراسانية
وتحكي مقطعات الصيارفة فيها من كل ضرب قطعة ٭ ومرقعات الصوفية
فيها من كل لون رقعة ٭ كانها اختصرت من كتاب خطب الدولة لولا خلوها
من مضحكات النوادر ٭ او نقلت من اشعار ابي الرقعمق لولا اشتمالها على حكايات
الغواني النوادر ٭ هذيان محموم وعقل مبرسم ٭ وكلام مكلوم وحكة حالم ٭

شعر

وخيم

• وخديعة ووقيعة ونميمة • ممزوجة بجنونك المتقادم •
فلم اتامل بحمد الله منها فصلا • الا عدمت فيها فضلا • ولا اقرا
منها سطرا • الا استقصيت من خزي شطرا • ولا انتقيت منها حرفا • الا قلت
سكت الفا وتكلم خلفا • ولم اتصفح منها بعضا • الا شاهدت فيه جنونا
محضا • ولم انشر منها ورقة • الا تحللت من عيني طبقة • ولا بينت منها
منزلة • الا وجدت فيها مزبلة • حتى ختمت قراتها وكانما ختم عمري
بالكبائر • وطويتها وقد طويت دوني ابواب الفوائد • ونبذتها وراء
ظهري • ولولا اشتغال غيظي لارتعدت فرائصي بردا • والقيتها من
يدي وما خلفت يوم قراتها جلدا • وعلمت ان تلك الالفاظ
المتكلفة ما صدرت عن مبتدئ لفراغ • وتلك الاخلاط المختلفة
ما خرجت من راس فيه دماغ • وذلك الخذلان البين ما يسعه خاطر رزين •
وذلك الهذيان المكرر ما يجري به لسان شوقي من الذم متحرز • وذلك
التضريب البارد ليس يخفى فيه اعراضه • وذلك التاليب الفاسد ليس
ليس يثنيه ايماؤه اليه وايماضه • هذا • ابعد المشيب • اخدع بالزبيب •
وبعدما شاب شواتي • تغر فتاتي • وبعدما تسع سنياتي • تقرع صفاتي •
وبعد طول التجارب • تفزعني بالعقارب • وبعد انسلاخ جنبي من
الحلب • تغرني بالكذب • وبعد تحمل مشاق الاسفار • تحدثني حديث
القطا والفار • وبعد معاشرة الملوك • تعدني في النوك • وبعد
التناهي في السن • تقعقع لي بالشن • وبعد مطالعتي كتاب القياس •
تعلمني اخلاق الناس • وبعد معرفتي اخبار عاد وشداد • تكتب لي
ابا جاد • الى متى تؤذيني باحاديث النساء • وتضرب لي الطبل
تحت الكسا • وكم تحفر الاسود الجحر • وتعلم الحوان الحرق • وحتى متى
تغصب الرجال الحمائل وانت فيها رتبك • وتثبت لك بطال
وسترك دونها بهتك • وتتبع عثرات الاخيار وجدك عاثر •
وتضحك على زلات الاحرار وفضلك دارس داثر • وتعرض بكلام مثل
عرضك مبتذل • وتتشوق بنظام مثل عقلك مختل • وتبذل
منك بنصيحة تكسبك فضيحة • وتورد عليك شبهة توكس لك قيمة •
وكم في معناك تتزيد • وفي سعاياتك تتردد • وفي حكاياتك تتردد •

في شل الحبس • حشتني في المنازل شوك القتاد • وذربني دقاق السهاد • وماني الطرق الكدر • وندماني البغال والبقر كأنا ارقى في السماء وانا مصعد • او نخسف في الارض وانا مصوب او يغرقني طوفان نوح واليوم ماطر • او تقصر عني ريح عاد والنقع ثائر • فمرة اركب وانا على خطر عظيم • وتارة ارتحل واخترق صراطا غير مستقيم • الى ان تفضل الله سبحانه على بكشف ما كنت ابتليت به ودفعه • واجراني على ما عودنيه سالفا وآنفا من جميل صنيعه • واوصلني الى هذه الديار بادي رمق • وانجاب عني ما تداخلني من فزع وفرق • وكتبت هذه الاحرف وانا على وفاز رحلة • واطالع حضرته من بعد بالاصال والبكر • اذا القيت عصا السفر • واتطلع لورود كتبه متضمنة ذكر اوامره ونواهيه ان شاء الله تعالى •

وله الى ابي الفرج احمد بن محمد القسوري من تدمر عند خروجه من دمشق كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ من تدمر ظهيرة يوم الاثنين ساعة وصولي اليها والصيف قد شب ضرامه • والحر قد نشر اعلامه • والسموم تركت النبات هشيما • والفلاة جحيما واورت الحر نارا • واقلقت الضب اوارا • وعطت جلد الحرباء • ونحرت عصا المزاء • واثارت النعام من ادحيها نافرة • واخرجت الظباء من كنسها حائرة • وقشعت الرقايع فلا يرى فيها اثر الماء • واكدت الجنادب فلا تنطق الا بالغناء • فالاصيل من احتدام الجو لهيب • والمقيل سعير • والسائر حرض برمقه • والمسافر تخم عن طريقه والارض من استعار الشمس تتوقد وهجا • والخدود تلفح الوجوه فتحيل الورود بخا • والنفوس تكاد تسيل من جسمها وقودها • والانفاس من وقد القيظ تحتبس في صدورها • واما في النهبا • وهي البادية البيداء • التي تضل فيها الرياح • وتذهب فيها الارواح • وتسقط للطير قبل احتراقها قوادمها وخوافيها • وتفزع قلوب السعالي من المقام فيها • ويرتد طرف الدليل عنها كليلا • ويكون اكثر حدائه فيها تسبيحا وتهليلا • وتنضي المطايا فلا تطيق ان تسير ذميلا ولا وجيفا وتوحش الركب فلا تسمع الا عزيفا • اعماقا قاتمة • وآفاقا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي كتابك تتعطر • ما زلت نطاق ذنب لا أفوه حتى أعييت فخذ لك
قد ملك • وتلاطم الاشفا حتى اشيبت على ان براق دمك • ونشوى في الحال
حتى صرعت • وترى في الفلا لحى صعفت • ونستعمل في خدمتك
زمانا كيكا • حتى ستربك بتبكا • لا أعضك انا مالك وشيكا • وتركت
لكسبي تربكا • فاثابك الله على قدر اعتقادك ولا اخيب وضعتم وكشفه
وجزاك عني لا عني وعجل لك نصفه • وسلط على الحرام الذي جمعته من
بقرته ودبرته • وعلى الحكام الذي ادخرته من يسرقه وينفقه • بطول ورحمة
وحول وقوة • ذكرت في رقعتك الدالة على رقاعتك • المنبية على حماقتك
وكتاعتك • انك فلان اذا سمع باسمي عابني • واذا غبت عنه اغتابني • واذا ذكر
في ناد ولع بذمي • وولغ بدمي • وبالغ في شتمي • ورتع في لحمي • وتناهى في
وصمي • واسرف في ثلبي وثلمي • وزعمت انه يقول اذا خلا باصحابه
المسلين الى محرابه • اني لاعجب من العبد كيف يدعي ما لا يقيم عليه
برهانا • وكيف يتصدى لما يكسبه الا امتحانا وامتهانا • وماله والتحلي
بالكتب السلطانية • والترقي الى الرسوم الديوانية • التي تقصر بنا بلادة فهمه
عن بلوغ ثغرها • ويجوز كما شله عن توغل سهلها ووعرها • وغاية
ما انتهى اليه فوق عليه ان يكون سعالا للقبيان • او نساخا في الديوان • وما
اخشن خطه حتى يكون كاتبا • وما علا قدره حتى يجاب من السلطان راتبا
لهذه الصناعة الجليلة • ابا زيد قد علا منها قدره • وهذه الخدمة من الشرف بعزاد شأنا
انحط دون ادراكها قدره • ومن اين له طبع صقيل يزيد من الطبع صفاره
وعقل اصيل يزيد في الظلم ضياءه • ومع هذا فليس كل من تعلم مسئلة في
الكلام امكنه اثبات التوحيد • ولا كل من يقرأ كتابا في اللغة يكتب مع عبد
الحميد • ولا بالنحو يهتدي الانسان لانشاء الرسل • ولا القطع في الكتابة
كالتكلف والتعمل • فلا تحسبوا ان هذه الصناعة تدرك بقراءة الاخبار
ولا تملك بركوب الاسفار • او تنال بجمع الاثار • او تعلم بالاستكثار من النوادر
والله لو ابتلي غيري بما ابتليت به من انشاء سجلات غريبة • في معان عجيبة
مع الاستعاد • وسوء اعتقاد الاضداد • لما بات منهم الا على وجل • ولقال
رب واني خجل • ولكني اعلم ان لله سرا في اظهار جلالتي • فاذ لك اكمل صورة
والحق • وابرأني علوي • فاذاك اكمد عدوي • ولكواكب السعد بشارة في عنايته

فلذلك

فلان لئن جعلتني في الكتاب آية • وانشد •

فخرا قدر الذي يقدر ان يحظ • بالحظ والعقل بالعلوم •
كأديب تحت الثرى اتضاعا • وضعيف في العلم فوق النجوم •

لقد صدق والله في اكثر ما قاله • ولم يجاوز الحق في جل ما افتخر به ولا اشتطا
من الذي يناقشني في الحساب • ويضاهيني في الخطاب • او يغالبني على علمه
او يحسده على نعمة حلاه • اما انا فاني اغضي على القذى • واحتمل على
الاذى • ولا اواخذه بذنب • ولا اعاقبه بعتب • بل اقول هنيئا له
من عرضي ما استحله • وما عقد الود بيني وبينه فاحله • ومن حماي ما
اباحه واطاحه • ومن قدري ما وضع منه وضيعه • ومن حبل الوفاء
ما صرمه وقطعه • ولا تثريب عليه وان انشمت بي جماعة الحساد • وباعني
في سوق الكساد • وليس يحل حُبى حلمي الثبات • ولا يُطفي عزمي
نقض بيت • ولا ينفر طبعي وان رماني بصواعق • ولا يشغل سمعي وان
اطرقه بطارق • ان جنى علي فذنبه مغفور • وان اساء الي فمعذور •
وان ذكرني بالقبيح فهو بالخير مذكور • وان اعتقد في جلاده فهو مشكور
لست حكاياتك تحزمني جلدا • ولا سعاياتك تستفز مني شجاعا
بطلا • ولو كانت ان تشب بيني وبينه نار حرب • ولا تحرشك يؤدي
الى طعن وضرب • ولا قولك يورثني الاحقاد والاحتقاد • ولا انساك
بحزم ابكي القتاد • وان كانت في قلبك منه حزيرة فالحق بينك وبينه
حرب كليب وجساس • وان كانت لك عنده ثرة فاضرب في طلبها اخماسا
لاسداس • وان اردت معاداته فاظهر سلطانك • وان نشطت
لمهاجاته فادرس من خلفه لسانك • وان عزمت على مقاتلته فاجلب عليه
بخيلك ورجلك • وان احببت ان تطاوله فطاوله فاني لا ماله ولا من
اجلك • هو تحقيق ان وقوعك فيه دال على قلة عقلك ومعرفتك • واستحقنا
به شهادة على طيشك وخفتك • ووضعك منه مبني على راي لك فائل
وقدر نازل • وجهد حائل • وود مائل • ومعاذ الله ان اخون صديقا
او اركب من الغدر طريقا • او ارفض من حقوق المروة مفروضا • او ارضى
من مذاهب النفاق مرفوضا • او اكشف معايب الاحرار وانا عيبة عيب •
او افعل فعل الاحداث وانا صريع صلع وشيب • او اوضع في خلاعة

ومجون • اذ أرتع في عرض مصون • او ابتل من العتاب بنبهة • او اهجن بالشباب نفسا كريمة • او ابدل وقاري بنزق • او انتقل من كرم طبع وخلق • او انثلم ديني بسخف وسفاهة • او اعدل عن طريق صيانة ونزاهة • اذ انا متزمل بغيابك • ومسوخ في اهابك • ومتخلق باخلاقك • ومنطلق بنطاقك • وراض بعقالك • ومنتسب الى اصالك •

فاذهب فانت طليق عرضك انه • عرض عززت به وانت ذليل •

فاما قولك انه هذه الفقرة حالك فانا احق صرفي عن الخدمة بجيلة • وان تلك الشبهات الصابيات كانت من قبله • ولم يجر من الذي اتهمته بصري في دخل ولا دخل • ولم يكن لي في افساد حالي نافذ ولا اجل • وما زعمت انه ما قصد في بالاذية • ولا حسدني على المنزلة السنية • وبرات ساحته وهو صاحب الجناية • وسترت قصته وهو حامل راية الغواية • وقلت انا اجل قدرا من ان يوذي حرا او يتابط شرا • وما نفثت من كلماتك التي هي للقلوب كوالم • ورقيته في ترهاتك التي هي في النفوس اراقم • فقد عرفته ومن جهل قدر نفسه كان بقدر غيره اجهل • ومن دخل في خاص امره كان في امر سواه ادخل • ومن رغب في اخفاء دائه فهو في اخفاء دواء غيره ارغب • ومن كذب على ابائه فهو على اصدقائه اكذب • فقل ما هذه المغالطة التي ان كشفت غطاءها فضحتك • وهذه المواربة التي ان برح خفاؤها جرحتك • وهذه الاباطيل التي تهتك العورة وتظهر العوار • وهذه الاقاويل التي تشبه المعذرة وتعدو الاعتذار • تحجبني والله منها ضلك عن غيك وانت عليل النجار • وتحاماك عن من سوالك وانت غير نجي الذمار • وتعصبك لمن يحشر لسانه لا وهو ذرف • واسرافك في مدح من لا يفارقه سرف ولا خرف • فليت شعري الم ترض بالاحاد في السماع • وتخالف طريق الاجماع • ومن جعل على حكمك ويبيع بتقيته برهانك • ومتى كنت قرارة الفضل • ومتى كان حكم الله في كرب النخل •

• جمعت امرين ضاع الحزم بينهما • شح اللئام واخلاق المجانين •

اليك عني فاني اعلم بالاحكام من ان تدلني على اقوالها • واعرف بالايام من ان تخبرني بادبارها واقبالها • وابصر بالناس من ان تنبهني على اخلاقهم • او تلبس علي فرط نفاقهم ودرفاقهم • وانما انا آخذ للاعادي

على ذي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حاذق في الوفاق • واذا دهم مداراتي السابح في الماء الجاري •
ولا انمي الشر والاشر تاركي • ولكن بني اجمل على التراكب •

ماامن سخيمتي اعاتب كريما • فكيف اواثب لئيما • ولا من عادتي ان اداعب ربيبا • فكيف الاعب غضيبا • ولولا الضرورة يشهد الله لما فارقت منزلي يوما • ولا غادرت مثلكم قوما • ولو وقفت على كرما انسيته من العلم والادب • ولا اجلت في وجوه الطلب • وانما بان الله سبحانه يجري على اجمل عادة • ويؤدي الى اكمل سعادة • ويحنو تعالى بما يحنو به على اوليائه الذين لا يخطرون سواه ببالهم • ولا يقصدون غيره حتى يغفر الله ذنوبهم • وشوكا اطلب وهو حسبي ونعم الوكيل

كتاب من الشيخ سعيد الله المستخدم بالرياسة

قد علم سيدي ما تكفل الله من نصرة الدولة واعلاء رايتها واسعاد المتخلقين بشعار دعوتها • وما اولى الاولياء من العز والاظفار • والغلبة والاظهار • حيثما ساروا في ارضه • وخصهم من التأييد الذي لا يتعدى الايام الى منقضى • ارادة منه تعالى ان تبقى كلمته العليا • وكلمة اعدائه السفلى • فليس ينفتح مع ثقته بالله واعتماده عليه • وتفويضه اموره كلها اليه • ومعرفته بان دولته على تصرف الاحوال • وتصرم الايام والليالي • في كنف من الله محروسة محوطة • وبعين كلاءته ورعايته منوطة • ولا استعان باحد فيما يرومه ويحاوله • ولا استظهر بظهير فيما يطلبه ويزاوله • غير انه لعلو همته • ورغبته في افاضة النعم على رعيته والمتمسكين بحبال طاعته وحرمته • على ان يعم اقطار الارض عدله • ويشمل اهلها على اختلاف طبقاتهم احسانه وفضله • يرى ان يجدد كل وقت عند عبيده صنائع • ويودعهم ما يحفظه منهم ودائع • ويخصهم بمراتب تبقى الاوهام عن نيل اشتمالها خاسئة حسيرة • ويرفعهم الى منازل تدع الهمم عن اقتراح امثالها قاصرة قصيرة • وينقلهم من ذل العدم الى عز الوجود • وينقلهم من وهدة الخمول والنحوس الى ذروة النباهة والسعود • حتى لا يبقى احد ممن يتعلق باسباب الطاعة والولاء • ويأوي الى ظل الدولة الغراء • الا وله حالة تفصح عما اناله من نواله • والظاهر من تجمله يشهد بما تظاهر عليه من تطوله • كما خصني به آنفا من النعمة التي يعجز الوصف عن ذكرها • ويقصر القدرة عن توفية كنه قدرها • وكتابته من ملابس لا تبليها صروف العقد • وولاني من منائح لا تنغصها شوائب الكدر • والقاه الي من مقاليد تنفتح بمد توفيق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله عز اسمه باصحاب المعالي • وطيب حسن ذكرها في المغارب والمشارق • واوجبت علي ان لا استنفد الوسع في مصالح خدمته • واستوعب الوكد فيما يقربني من مرضاته ومحبته • واهجر الراحة حتى اصل الى اغراضه • والزم من الامور ما آنس به على الايام ولميات انتفاضه • والله ولي المعونة على بلوغ ما في النية من التجرد في خدمته تشرق آثارها • ومناصحة يتساوى اعلانها واسرارها • واليه الرغبة في ان يوزعني شكر نعمته • ويزلفني بما انتهي فيه الى غاية رضاه ومسرته بمنه وقدرته • ولما سهل الله امر كذا وتنسمت من اخبار سيدي ايده الله واستقامة اموره ما تجلت به نشاطا • وتحلت بمكانه ابتهاجا واغتباطا • واقتضت احوال الخدمة وما اتولاه من الاسباب المهمة تقدم المراسلة والمكاتبة • بادرت بخبر ما شرفت به من النعم التي هي في ضمان الزيادة • وقران الاقبال والسعادة في بتعريفه ما يجب عليه من النيابة في الخدمة التي هي بكفايته منوطة • وبشهامته وصرامته مربوطة • ومن التناهي فيما يعد عندي حالا ومحلا • ويكسبه من الاحماد اعلاه واجله • ليطالعني بما اسكن اليه من احواله واخباره • و يستدعي ما اجيبه اليه الى ايثاره واختياره • ان شاء الله

وله فصل في الاذكار بحاجة الى الشريف ابي طالب صهر بنت الرئيس

سيدي الشريف اطال الله بقاءه لا يحتاج الى تنبيه فهو ابنه من النجم • ولا يفتقر الى تبصير فهو بحمد الله ذكي البصيرة والبصر • ولا احث على مكرمة اذ هو اسرع من الما الى حضيضه • ولا ابعثه على شفاعة فيما يكسبه شكرا فبعضه شفيع بعضه • فهو دائما يأتي من الجميل عفوا ما لا يأتيه سواه اذا اجال فكرة جلية • ويجيل بديهة من الخير ما لا يجيل غيره روية •

بديهته تعلو روية غيره • فتحسبه روّى اذا هو بدّها •

وقد تحققت ان بحضرة فلان حرسها الله من الاشغال المتراكمة • والاسباب المتزاحمة • ما ادهش ناظره • واشغل خاطره • واتعب باطنه وظاهره • والانسان لا يخلو في اكثر احواله من نسيان • والكريم ينتهز الفرصة اذا تعذر الاحسان • وللحوائج اوقات • ولكل من اربابها درجات • فمنهم من اذا علل بوعد صبر و امتثل • ومنهم من يرضى بالقول دون العمل • ويزجي اياما بالامنية والامل • ومنهم من لا يتصدى الى عمل وان جل لما كفاه الله هو مؤونة التصرف • ومنهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من لا ينجع وان كان مستظهر الادب التخبط في الجهالة والعسف. ومنهم
من عنف الزمان حجب صبره. وضيقت الاضاقة فسيح صدره. فاذا
تفطن باستتار المطل بدت عورته. واذا رضي بسراب الوعد استنفدت
حسرته. وان قلت حركته في طلب مصالحه كثرت ندامته. واذا قعد على
طريق الانتظار قامت عليه قيامته. وسيدي ادام الله عزه قد وقف
على حقيقة احوالي فلا يحتاج مع علمه بها الى شرح طويل. واستوعب مجملها
فهو مستغن عن تفسير وتفصيل. وصح عندي ان فلانا ان احضرني
يوما باجمعه. وذكرني ساعة في مجالسه. واوقف همته على اصلاح حالي
لحظة. واجرى في تمهيد امري لفظة. لازال ياسي. واحيى رسمي. واغناني
عن الوقوف على الاطلال. والركون الى الانذال. وعرف ان لي من فلان
شفيعا لا ترد شفاعته. وظهيرا لا تستقل بشاهد الفضل براعته
وبضاعته. وان كان هو ادام الله ايامه بمكارمه ومعاليه. والفضائل التي
اجتمعت فيه. لا يحتاج الى ثواب وشفائع. وحرمات وذرائع. وسيدي
ولي الفضل باذكاره كل وقت حديثي حتى لا تنسج عليه العناكب. وينبه
جاهي حتى لا تدب لافساده العقارب. وتقريضه ترتيبي كل مجلس بذكره.
ويجازي في كل مشهد بشكره. فعسى ان يتلافى بحركته ايام الدهر فقد طالت
عربدته. او ينتبه لي بخت فقد دامت رقدته. وتضعيف المنة في هذه
العارفة الى اخواتها من المنن السالفة. ان شاء الله تعالى. رسالته الى
بعض الاشراف يعاتبه فيها لانكار حقه بدمشق تاخرت عن زيارة
الشريف ادام الله عزه اياما فلم يعاتب بل عتب. ثم جئته مرات فاستتر
عني واحتجب. فان كان التاخر اساء ظنه فلم الزيارة ما احسنته وقويت
امله. وان كان التقصير افسد اعتقاده واحاله. فلم التوفير لم
يصلحه ويعدل ميله. وان انكر كثرة الاعتاب. فلم لم يسهل على الحجابة
ثم لما طلع بعد السرار. ورفع حجب الاستار. ودنت ساعة المزار.
وجئته تبرئا على قدم الاعتذار. لم يهتز لي اهتزاز المشتاق.
ولم يبد صفحة التعطف والاشفاق. ولم يزل اعرضه. ولم ينقض
الصديق فرضه. واظهر قدرة سلطانه. ولم يتزحزح عن مكانه.
واخجلته جلالة دسته. فلم ينل منه شيء استه. وسارقني في قيامه

[illegible]

مصارفة لخدامه ٭ ولم يشبعني من خطابه ٭ كأني سايس دوابه ٭ ولم يجل قدر العلم
والادب ٭ ولم يتوج جناح نسبه بالكرب ٭ ويستحقرني كأني عبده من سبايا الجلب
ويستقذرني كأن علي قميصا من الجرب ٭ وكتب على جبينه عبس وتولى ٭ وتلقاني
باولى لك فاولى ٭ وتعالى عن ان يصافحني وانا الوارد لصافحت الشمس قاعدا ٭
وتعالى عن ان يرفعني وانا الراجي لبلغت السما صاعدا ٭ فاقدني بان لي قد زللت
بدخولي اليه ٭ ولا تنسى باول نفس غلطت فتطفلت عليه ٭ والعالم ازلات وان كانت
تعد في النوادر ٭ والمحاذر خطيئات وان كانت خطاه يؤذن بالغوا ذو عجب من
الكبار ٭ دخلت اليه حفظه الله وانا العبدي ما ساغ لي انتب ٭ ولا انتضع لي نسب
وخرجت من عنده وانا العبيدي ما علت لي رتبه ٭ ولا رادني ٭ فان تصوحت
المرابع عنده فالارض مرابع مخصبة مرعة ٭ وان تكدرت المشارع لديه فون الدنيا
مشارع عذبة مترعة ٭ وان تقلصت ظلال وده ٭ فظلال غيره ممددة ٭ وان
اخلقت حبال تهديه فحبال سواه محصدة ٭ وان ضاقت اكنافه فوق اكناف غيره
للمتطفل اتساع ٭ وان جئت انظر في اخلاف الكرام ارضاع واشباع ٭

دعوني من الدنيا بكرام وسادة ٭ هم لذوي الآمال نعم مقاصد
سأطلب اسباب الغنى غير عاجز ٭ فلا الارض ضاقت بي ولا الناس واحد

انا والله لا ارغب في صداقة من لا ينظر في صداقتي هُدى ٭ ولا اعتمد على
من لا يحسن في اعتقاده يدا ٭ ولا امنح محبة من لا يكون بمحبته سمحا ٭ ولا اجيل
في مصافاة من لا يريد في ندحا ٭ ولا اشرع لحلمات من لا يجاريه ريق درها ٭
ولا ابذل مدح من لا يوليني كل يوم مدحا ٭ فان وجدت من يصطفيني بوداده
ويملكني بياده ٭ ويتلقاني بوجه كساه الاقبال طلاقة وبشاشة ٭ ويترضاني
باخلاق سمحة لم تشبها كثافة ولا وحاشة ٭ ويراني بتواضع لم تجسم الضعة غاربه
وتطول لم يثلم التطاول جانبه ٭ ودماثة لم يزل البته واديها ٭ وسجاحة لم يحل
الكبر ناديها ٭ اجريت لساني من ذكر فضائله في ميدان لا نشا بقدر بح في مضماره
واطلقت قلمي من وصف سنا فخره في بستان تتعجب الناس من انواره وازهاره ٭
ووقفت قلبي على محبته فلا يتقدم ولا يتأخر ٭ وفرقت من محاسنه بما اطاقت
عين الناظرين فاصبح توجي اليه وعيني تنظر ٭ وان اقعد التجني واعتقد التكبر
وذهب من البارد مذاهب لئام الانام ٭ واختبط في تعاظم الاكرام اختباط
الانعام في الظلام ٭ وقعد متربعا فلا يرفع لاحد طرفا ٭ وتلفع باللؤم فلا يعرف

[illegible]

ن

من كتاب المروة حرفا خليته في طرف الضاحك والقيته كحرق العارف وبعته
في سوق الكساد بقطعة وطلقته تلك تا بله رجعة وتزاودت عنه بحيث لا
اسمع الحنا وكتبت عليه تكبير الشيعة خمسا وانا امرؤ ما رأى قط مالك
الاكثر باعجابه وتبهل بي عجابه وسرح في اداني طرفه وقادني كل اديب
بعدي خلفه وربما نزني رئيس الا قبضني على جميع كفه ولا طاولني مطاول
الا طلته على رغم انفه ولا جالسني اديب الا استحلى كلامي واستعذب مرأي
واحمد مقامي وحمد مردودي واقلامي ولست احجب عن باب وعن ملك
ولا يقول لي الحجاب انت من فالشريف ادام الله سعادته اطرحني كل الاطراح
واستقصى بابي ولو مددته لدخت اليه بالراح وما بال استزرى بي وقدري
لا ينكره الا هوي ووضع مني وتحت اخمصي العيوق وصارفني في تيامه على
جلته بافعاله وعاملني بالوراء احد لا يستجهله ورفع على من لم يجلس في
منازل السوقة الا في صف النعال واستدفى من يحتاج ان يربط عنده
بالشكال اترى استقطني من عينه الادب الذي انا معلن بشعاره ام النسب
ام النسب الذي انا سابق في مضماره ام الفضل الذي طي تجري بتياره ام العلم
الذي انا نزيل داره اذا ابصرتني اعرضت عني كان الشمس من قبلي تكون
ومنت جالك من غير فضل فما ندري اغث ام سمين

ام حفرت في نفسه لحاجتي في ماله او الطمع في نواله او افتقاري الى جاهه او
لخدمتي له ولاشباهه كلا كاني بالشريف ادام الله عزه وقد اخذته عزة
النفس وعلته ابهة الشرف واقلقته خشونة الكلام واخرجته ضغطة
العتاب ونزفته غبرة الوجاب وحنته حمية الادب وهاجته سورة الغضب
وزعزعته عظمة النسب فهاج وثار واستشاط غيظا وفار وجرد واغتاظ
ونطق بما شاء من الفاظ واضطرب واغتاب وما خاف الجواب
وصال وحدد واستطال وقال فيما قال لا واخذه الله فيما استباحه
من عرضي واستحله ولا حاسبه على ما امتهنه من جاهي وابتذله ذنوبه
كرامة لاباته عليهم السلام مغفورة وعيوبه اجلالا لهم وتعظيما مستورة
واسباب المعاتبة وابوابها عنه منقطعة ولوامره فيما يفعله رتبة متبعة

وجلة امري لاخلاف لامره اقرب ام اقصى واسخط ام ارضى
جعلت له روحي فداء من الردى ونفسي مملوكا وخدي له ارضا

وله رسالة افتتح بها التهنئة لبعض الرؤساء وهو في مجلسه
حلها من قضية على ابن عامر ابن

يا من يواصل في سيره بين ايجاف واهراع ، ويتابع في طريقه بين ارقاع
وايضاع ، ويطوي الفلوات اذا نام عنها الدليل ، ويعالج السرى اذا التبس على
غيره السبيل ، فلو يجم مطاياه حتى يبلغ مناه ، ولا يريح مراكبه حتى يدرك
مطالبه ، اذا بلغت فلذ نا فاخذ من حضرته بسلام ، وحيها من تحية اجلال
واعظام ، ولا ارم خدمتها حسن التزام ، تشوف منها حظوظ الاعزاز والاكرام ،
ولا تصلح لخدمته الا لمثل ذلك السيد الذي طابت على المغيب والمشهد
اثاره ، والسيل الذي سالت بالمجتبى والمتنجد انهاره ، والبحر الذي زخر
وطمى تياره ، والبدر الذي ظهر فبهت انواره ، والربيع الذي فاحت
للمرتبع نشره وزباه ، وآذن للمتنجع بالانزواه ، فكم جود اذا المجد
الانواء يستقاه وريب اذا طال في عمارة البناء ، ورماح متنزعة ابكار العلياء
وصفاح منتقمة ثار الاضداد والحساد ، وعطاؤه ينال من السؤال
في كل طريق ، ودعاؤه يسمع صم الجبال في ذروة كل نيق ، وعسكر الجرايش
على اعدائه غارات ، ويدرك من مخالفيه ثارات ، ويكلم كلما لا يطلع الزمان
في برنه ، ويبيح لمرجيه الامن كنوزه ، لا زال الزمان طايعا لامره ونهيه
تابعا لتدبيره ورايه ، متنفذا رسمه جاريا على حكمه ، وقد بلغني انزعاج قلبي
لما دهمه من خطب عائر ، واهمه من جدال خصم غادر ، كاد الزمان ان يشمت
به حساده ، ويؤول بعد اصلاح الامر افساده ، تداركته رحمة ربه من عند
الله جل اسمه فنولت نصرته ، وراى جميل من فلذه فافاد عزته ، وخرج
من تلك الظلمة خروج البدر من سحابه ، وتجرد من تلك الفتنة تجرد السيف
من قرابه ، وخصم خصمه حتى رجع خايبا احرجا ، واقحمه حتى ترك جانب جناحه
ناقصا مخرجا ، ولو والعياذ بالله نفذت سهام حيلة ، وصدقت كواذب
امله ، حتى يخلو منه مغرسه وزخرفه ، ونام عين الدهر عن رعاية حماه
وكنفه ، لا تحت الاضالع على لوعة لا تبرد ابدا احشاؤها ، ولجرت المدامع
بدماء لا تجف الوانها ، ولذبلت اغراس البلاغة واشجارها ، ولذوت
انوار الرياسة وازهارها ، ولكن الله توحد بالكفاية والسعادة ، واجراه
من حفظه ورعايته على اجمل عادة ، ونصره عليه حتى استغرقت به الدار ، و سكنه

حتى

حتى جرى بحكمه اذ وافق ارادة المقدار • وانا اليوم حيثما اقام اقمتُ في
جنابه • واينما سافر سافرت تحت ركابه • وكيفما تصرف تصرفت على حكم
ايثاره • وكلما اوقد نارا عشوت الى ضوء ناره • واؤمّل ان الله تعالى
يمتعني بما جاد واجاد ببنانه • ويسعدني باجلاله وينيلني الحظ بالنظر
الى لقائه • بلطفه وعطفه **وطرف صالح نتعرض فيها بانّ الشريف**
احتجب عن قصده البواب • واذن لغيره من الكتّاب

تعرض بمن اذنه حجاب
واغلق دونه الباب

الوقوف بابواب الملوك فضلا عن الاجلاف • امرّ من تجرّع السم الذعاف
والصبر على حجاب الاتراك فضلا عن الاخلاف • اصعب من الموت بجزاف • ومن طر
بتلقيه مقاسات ذل وهوان • فما هو بانسان • ومن لم يزجّه معاناة حبس من
فما هو بحرّ • ومن لم يتب طبعه عن زيارة اللئام • فما هو من الكرام • ومن
لم يكن في مقام الذل صعب القيادة • فلا طمع له في السيادة • ومن لم يرّ في
زمانه صلب المعاجم • فهو من البهائم • ومن لم يانف لنفسه من امتهان
الرذائل • فغير معدود من الافاضل • ومن كان قصير باع الهمّة
كان مستحقرا عند الائمة • ومن كان ضعيف النفس قليل الاستنكاف
كان عرضا لسهام الاحتقار والاستخفاف • والرياسة ليست تنال بالتجمّل
والتبذّل • والجلالة لا تدرك بالتملّق والتذلّل • ومن عرف ان
الارزاق مقسومة لا متقدّم لها ولا متأخر عن مقدّرها فحرصه على
سؤال الانذال جهل وغرور • ومن ايقن ان ما ختم له واقع لا مهرب له
منه ولا مفرّ فحرصه هباء منثور • والحذر لا ينجي صاحبه من القدر
ولو استتر بالف جنّة • والقدر لا ينفع مع هجوم القضاء ولو عاش
المعنى الف سنة • فالاولى بمن تكون له حمية • ونفس ابيّة • ان لا
يصبر على الذل ولو مات جوعا • ولا ينبغي على الهوان ان يولع بجاهه
ولوعا • ويبذل روحه قبل ان يتبذّل ويُهان • ويصافح حدّ
السيف قبل ان يصافح الامتهان • ولا يتكلّم على لئيم وان كان لا شي
تحت قدميه • ولا يتذلل لزنيم ولو ملك الاقاليم كلها بقلمه • ولا
يذل لمن لا تكسبه الاداب عزّا • ولا يحل بخيله بالدنية كنزا •
والتناحر على خدمتهم لا لازم على النفس الخسيسة • واحتمال الذل
في طلب العز علامة الهمة القصيرة •

حاجة. ومسالكها بالية. ومناهلها مجاهل. وسبلها غُفْل. فلو
رآها امرؤ القيس لما استصعب عرعر. ولو سلكها ابن مقبل لما
استوعر دُخَيْر. ولو دخلها الاعراب لاستغربت وباد. ولو جاورها
لقالت جوف حمار. ووراني من اذا خطرت بخاطري ابكار مبرته.
وعقل الناظر بجمال غرته. وتذكرت محاسن ايامي في حضرته. استوقفت
الملح. ولم استطع المضي. وبقيت على هذا وقته متندما. ووقفني
الشوق فلم اجد متأخرا ولا متقدما. فها انا مقيم على جمر الحيرة فلا
ادري قدامي معبرا. ولا خلفي مصدرا. قد قيدتني ليالي احسانه
وكرمه. واثقلتني بره ونعمه. واغناني نواله عن تكلف الاسفار.
وتركني وانا في معرض من الاستظهار. فان القيت عني قناع الحياء
والتزمت محجة الاكتفاء. نسبت الى العجز والفزع. وقرفت بالحرص
والطمع. ورميت باني انذل الرجال. وترجف بجنبي ولست
كما يقال. وغدوت اعذل ولا اعذر. وحظيت بعار دون الموت
الاحمر. وعوتبت بلا ذنب. وغودرت اخجل من وهب. فان كلفت
نفسي وركبت راسي. وانحرفت عن طريق التجارب. واغضيت
عن النظر في العواقب. وافتقدت مطايا الخطر. واستهدفت
لسهام القدر. ووطنت نفسي على التلف العاجل. والعز برجائي
من الحاصل. وقلت بقول الوليد. اطلبا ثالثا سواي فاني
رابع العيس والدجى والبيد. بعدت عن من لم تبعد عني فواضله.
واخللت بحضرة من لم اخل بوفره ونائله. وفارقت من لم يزل قلبي
بين يديه. وباينت من لم تزل همتي مقصورة عليه. حتى بما يفضي
بي الى ركوب الردى. وادمان السير والسرى. الى وسط ذئاب عاوية.
وسباع ضارية. افزع ما اكون منهم اذا كنت مجاورا وعشيرا.
واخوف ما ابيت فيهم اذا اخذت منهم خفيرا. واشق ما يكون على
امري اذا شققت فيافيهم ميلا. واخص ما اسافر اذا استصحبت فيهم
دليلا. هذا ان ساعدني في طريقي الجد السعيد. ووافقني في
مسافتي التوفيق والتأييد. وسلمت من رجال بني سليم. وامنت
اغتيال بني عقيل. وتخلصت من تكالب بني كلاب وكلب.

بيت

ودني

ان كنت تزداد عزاً لا نفاد له • في الدهر فانعم بقوت واهجر الناسا
واجعل يداً فارك اللوى في نفس لها • صديقك الصدق فتصبح في العلا راسا

واعلم ان الملك المتنصر بسلطانه • والمستظهر بانصاره واعوانه • والمقتدر في زمانه • والاوحد في مكانه وامكانه • والغالب بسيفه وسنانه • والمهيب بحاجبه وغلمانه • اذا شئت لا يقدر ان يرد عليك بعض شبابك • واذا مرضت لا يستطيعون بسمع ما بك • واذا انقضى اجلك فلا يمكنه ان يزيد فيه ساعة فمن المحال تهالكك في عبادته وتحليك في قلائد نعمه • ومن الضلال تدينك بخدمته • وتعرضك للقمة فيها اختيارا • كيف يقدر على دفع السوء عنك من نصبه الله تعالى للآفات غرضا • وكيف يقيك الامراض من يشكو سقاما ومرضا • وكيف يزيد في اجلك من يعضه الموت بنابه وضرسه • ويقيد في حبسه • أفق من سكرة الحرص والشره • وتنبه بها من الغفا والعمه • واعرض عمن يتولى عن ذكرك • وابعد التقرب الى الجبابرة عن فكرك • فانك ان واصلت على معاشرتهم ملوك • وان اعتززت بايامهم ولتهم اذلوك • وان عثروا منك على ادنى زلة اشاطوا دمك • وان انكروا منك خلة واحدة نسوا ذممك • وان تقربت منهم احرقت بنارهم • وان اختلطت بهم شاركتهم في اوزارهم • وان توسلت اليهم بولاء أو محبة • لم تعد من سوء مغبة • وان راوا منك في مالهم يسير رغبة • حاسبوك على اقل من حبة •

شعر

لا تتملقن بلد الحساد واسع الى • عبادة الله واترك خدمة الناس
فاترك اليوم حراً تستغني به • على زمانك فالبس حلة الياس
ودع بهائم زانهن اجلتها • ركاب امثالها للكبس والكاس

اصبر يا هذا فكانك بعمائر القصب قد تشعثت • وبعانة الزرود وقد تقطعت • وبالاسباب المتآخية وقد انصرمت • وبالابواب الشاهقة العالية وقد انهدمت • وبالجهلة الذين نفخ الشيطان في اذنابهم وقد رموا سلاحهم • وبالاغنياء الذين نفس الزمان في خناقهم وقد ساء صباحهم • وبالاوغاد الذين كايد الدهر اولي الفضل بهم وقد مدوا ايديهم بالسؤال في الطرق • ودلوا مطرحين

في

في المزابل كالخرق • فحينئذ قدم بازمة الصغار الى سوء مقامهم • ودسّ في استاهم أسنة اقلامهم • وربطهم الغامن خلفهم وقدامهم • واوقفهم على ما ارتكبوه من الذنوب • واحتقبوه من العيوب • ووقف فضحهم من الغصص المقلوب • واذل منهم كل جبار عنيد • وما ذلك بمشيئة الله ببعيد •

رسالة الى صديق جوابا عن مسائل سأل عنها يعرض فيها بانشاد متكاتب

سألتني يا سيدي ادام الله عزك عن اللفظ والمعنى في الكتابة ايهما يحفظ الكاتب البليغ حده • ويصرف الى تهذيبه جدّه • وكيف صورة اللفظين اللذين يأتلفان ومعانيهما متباعدة • وهل من الالفاظ ما يستعمل ومعناه اذا تصفحت عنه مجهول • ويعبّر عنه وما الى معرفة حقائقه وصول • وما يصنع الكاتب اذا استحلى بيت شعر ويريد ان ينثر منظومه • ويخفي عن النقاد خصوصه وعمومه • وكيف الطريق الى حله • والى احالته الى جهة لا تعرف ونقله • واستقصيت في هذا الباب • وسألت هل تتعلم هذه الصناعة بسرعة او يحتاج في معرفتها الى احتمال تعب كثير • وفهمت جميع ما سألت عنه •

اما الالفاظ التي تختلف يا سيدي ادام الله لي بقاك ومعناها فكالسيف والاسد والبحر والخمر واسماء الدواهي • فان لكل واحد من هذه الاشياء اسماء الفاظها مختلفة والمعنى واحد • واما التي تتفق الفاظها ومعنى كل لفظة من اختها شارد • فكالعين والخال والطرف والغرب والحد واشباهها • واما الالفاظ التي هي سماة المجاز نادرا وحق فكالعنقاء المغرب • والكبريت الاحمر و احاديث العرب فيما روي من اخبار السعالي والغيلان واشعارهم التي انشدوها • وحكاياتهم التي اسندوها الى فصحائهم واعتمدوها • وحذاق الكتّاب يجتهدون في تحقيق المعاني • ويعتمدون على الفاظ تكون معلومة صحيحة المباني • وان هذبت الالفاظ بعدها وتسددت • وتعرت من الضعف والسخافة وتجردت • صار الكلام منقحا سليما من المعاب • وان تهلهل نسجه وتلبد فلا باس بعد ان تكون المعاني خالصة من التوليب • واما المتأخرون من المتكاتبين فغرضهم فيما يتنوقونه

من الكتّاب ان تكون الفاظهم هائلة . وان كانت معانيها فائلة مائلة .
ومقالها رائعة . وان صارت مراكبها ضالعة ظالعة . وفصولها
مصقولة مطراة . وان كانت اصولها معدولة عن الصواب
معراة . فاحذق من فيهم اذا اعجبه شعر بليغ واراد ان يحله
ليستعمله . وينثره ويتخيله . تحيّل في حل نظمه لفقد هدايته الى
الصناعة . وتبلّد في تغيير رسمه لخفة ما معه من البضاعة .
وان كان ارق الناس طبعا . واذكاهم بصرا وسمعا . فان اتعب
خاطره وفكره . وادق بحسب امكانه نظره . اتفق له ان يسلخه
سلخ سارق لم يميز مخرجه من مدخله . ولم يفرق من هذا
الباب بين مفتوحه ومقفله . حتى يبرزه من خدره ابراز
قرع جبان . ويعرضه على الناس وهو ينادي انا المدلون وفلان
وقبح محاسنه وغيّر حلاه . وفضح نفسه فيما انتحله وادعاه . والفاضل
في صناعة الكتابة اذا الم بالابداع افلق . واذا روى في حل منظوم
دقق . واذا صمم في تهذيبه حقق . واذا رام فصل شيء منه طبق .
حتى لو سمع صاحب النظم بالكلام المحلول من نظمه لما خطر ان خطر
قط بباله ولا بضميره . ولو تخلى لمعناه لتعجب من حسن تعبيره
ولا عجب بحلاوة منثوره . ولهذه الصناعة قوانين لا يكاد يعرفها
الا فحول الكتّاب . ولا يقف على اسرارها الا من اوتي فصل الخطاب .
فاما هذه الطائفة التي صحبناهم . وعاشرناهم وجربناهم . فوالله لو
سالتهم عن معنى بيت لابي الرقعمق لتبلدوا في تفسيره تبلد حمار . ولو
ارشدتهم الى طريق الكتابة لضلوا عنه بالنهار . ولو انتقدت جميع ما يكتبون
لم يحصل في يدك منهم غير الزغل المكشوف . ولو سبكت جميع ما عندهم من الذهب
لم يحصل منه غير البهارج والزيوف . نسأل الله ان يخرجنا من ظلمات الشك
الى نور اليقين . ومن الاشتغال بالدنيا الى الاشتغال بالدين . ولا
يجعلنا ممن لا يعرف قيمة نفسه . فيتخبط في جنسه . ولا يدري
مقدار علمه وادبه . فيتورط في غيه وعطبه . انه ولي ذلك والملي
به

وله رقعة الى ابي علي الحسن بن محمد

اما
ادام الله الشيخ اذا كتبت الى صديق رقعة صدرتها اولا بوصف محاسن

مولاي

مولاي الوزير الاجل ادام الله جلالته وحبرتها بشرح فضائله التي اتاني
انوارها للابصار . وسارت اخبارها في الامصار . واوفيها كل فاضل
وازهى لها كل حال وعاطل . علما مني بانها تضمنت جميل اوصافه
وانطوت على ذكر مناقبه ومناقب اسلافه . سلمت من الخلل
وامنت عليها عوارض الخطا والخطل . وتعطرت منها كف الناشر
وارج بها لسان القاري والذاكر . واعترف بفضلها كل جاحد . ورغب
في معرفتها كل زاهد . فادام الله ايامه . في عز يدوم بجماله . وجلال
يجدد اقباله . وسعادة يتزايد اشراقها . ودولة يدوم انتظامها
واتساقها بجوده ومجده . ولست اشك فيما عنده من حقيقة ما
اسديه الى اعتاب مولاي الوزير الاجل ادام الله تمكينه من الجميل الذي
اجرى اللسان بذكره ووصفه . وانشر نشره وعرفه . واستعطف به
قلوب الاحرار اليه بعد ما كانت جامحة . واستوقف به نفوس ذوي
الفضل عقب ما كانت سانحة طامحة . وهذه المكرمة وان كانت
جزءا من مكارمه التي لا تعد . وبعضا من مفاخره التي لا تحد . فانها
دلت على انه وضع بها موضع النقب هناه . واوقع بمواقع الداء دوا
واحسن الى من يتنبه لشكره والناس نيام . وليجعل على ما يورده ويصدره
قضاة وحكام . والذي اسأله ان يتفضل ادام الله عزه باطلاق
جاري شهر واحد بعد ما وقع باطلاقه لا تبرك بعوده بعد طول
غيبته . وتطيب النفس بالظفر بعد استحكام ياس وخيبة
وان احتاج الى مطالعة حضرة مولاي الوزير الاجل بما شاء الله قدم الارفع

رسالة [illegible] من الكتاب

دعائي يا سيدي اطال الله بقاءه
بلدي الى منزلة لو اخلى الله من الشناة فناءه . ولا حمى من الاسواء
فضاءه . ولا اراني الله ابدا لقاءه . ولا اماط غمته وشقاءه
وكانت دعوته دعوة على كل من حضرها وشهدها . وشقوة على
جميع من ابصرها وشاهدها . وحزنا على كل من دخل داره
وحزنا على من سكن جواره . فلم اقرب من باب داره الا وتلقاني
بوابه كانه مالك يبهج بامر عليه رماد وبداد . وصعد من حاشيته

زبانية غلاظ شداد قد دام قطوبهم فلا يعرفون الانس البتة
وجفوة وقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وبايديهم
عصي يخبطون بها اعناق البشر لا اوراق الشجر ويطردون بها
كرام الجالسين لاخساس الناس فكم من منكب قبل الدخول الى
دارهم نكب وكم من واغل امام الوصول اليها ضرب وسحب
ومن لباس مزق ومن ثوب لجميل خرق ومن منديل
نفض ومن دافع رض ومن جوار عض وامتعض وكم من كريم
هدف للمكروه وعرض وهم كالكفار الى جهنم يحشرون وكانهم
يساقون الى الموت وهم ينظرون وانا كاحد هؤلاء الضيوف لا
ازال اغالط شغلا ولا ابد انقلا واسلم على واحد واحد مبتذلا
وادفع بصدري خارجا مستقبلا الى ان وصلت الى داخلها
فوصلت كل مكروه وشر وحصلت في وسطها بعد مقاساة
جد وعسر واذا انا بقوبعة طولها اقل من شبر وعرضها
دون فتر اضيق من كل حبس واوحش من كل قبر فكان السماء
على واقعة وكان الجدران تذاني ساجدة وراكعة وبين السقف
والارض اصبع وراس صاحبها من الاحتكاك بها اصلع اقرع
فتصببت عرقا وتغذيت ضجرا وقلقا وتطلبت مخلصا واين المهرب
والمفر وتجنبت الناس والتجنب ادهى وامر واستندت بعد
احتمال المشاق الى حائط كانه عليل قد اخذته الحمى بنافض فهو
ينتفض او حامل ضربها الطلق فهي تتمخض او جبان فرائصه
ترتعد او غصن ضعيف يميد ويتخضد قد نقش بعد الرخام
بالسخام وازر بعد الساج بالنساج ودخان السراج اسبيداجه
رماد وجبسه سماد واساطينه اوتاد واعمدته اعواد ما عليها اعتماد
وعلى يمين الداخل صفة ككفة الحابل بل اضيق منها مجالا وككفة
الميزان بل احرج منها مجالا قد زينت بفرش ارفع منها الحصير
والبواري وزخرفت بستور انفس منها السحب الذواري والسفاح
يتراحمون فيها كالبهائم ويتضاغطون بعضهم الى بعض كالنساء في
المآتم ويتهممون ما اعد لهم من المطاعم كالشقي وافد البراجم

فلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تكاد الارواح تطير من اصواتهم المختلفة • والانفاس تضيق
من لغانغهم المنحرفة • والنفوس تذهل من شغبهم واصطخابهم
والعقول تبطل من لغطهم واضطرابهم • والادمغة تجف
من اختلاط بخرهم بصنانهم • والعيون تعمى من النظر الى صودهم
والوانهم • وقد فاض الحش • وامتلأ الجب • وعرقت الاباط
وعظم الخطب • الى ان صاح بهم صائح صاحت عليهم صائحة
بالزحف الى المائدة المنصوبة • والسعي الى الاطعمة المغصوبة عليها
المغصوبة • فكانما كشف الله عنهم اسباب المحنة • وبشرهم بعد
القنوط بدخول الجنة • فبادروا افواجا • وتتابعوا فرادا وازواجا
واحاطوا بها وهي كبطن المرآة استدارة وصفا • وكالهوى خفا وخلا
خالية عن كل حار وبارد • داهية على كل قائم وقاعد • كانما الرغفان عليها
لصغرها وخفتها عشور المصاحف • وكانما الجرادق حواليها لعزها
وغلوها برشاه الاساقف • فلو هبت الرياح عليها لطيرتها بمنزلة دبورة
ولو هبت الانفاس منها لكرتها كرة كرة • فقد فتش صاحبها من الدجاج
المسمنة على الضعفاء والخطاطيف • ومن الزيربات المغشية على الخرائف
والكرانيف • فكل طعام قدم كان انتن من لحم السنور • وكل شواء
كان اخس من الجلد المعطون • وكل لون جيء به كان اوحش من نزع البخيل الشقي
وكل حيوان اعد كان ادق من العليل النحيل • وكل طعام اكل بارد يعلوه
قتار • وكل شراب شرب فسخن حار كانه نار • سكباجه اسفيدباج
واسفيدباجه سكباج • وحول المائدة نعام طراد • وتحتها اتون وقاد
وقد صارت مناديل الجلوس مناديل الغز • ومواضع الفرش مرابط
الشاء والبقر من القذر • وانواع الحلاوى كلها معدومة كانها
العنقاء يسمع باسمه ولا يرى له اثر • او الكيميا يبالغ في وصفه ولا
يبلغ منه خبر • والله ما اكل احد من طعامه لقمة • الا حلت به
نقمة • ولا كسر من رغيفه حرفا • الا لقي الفنا • ولا رفع من بين يديه
بقلة • الا وجد في نفسه ذلة • ولا مس منهم لبارده • الا اكل
الزمان ابده • فمن كسر منهم خبزه كسر الخبز ضرسه • ومن ذاق طعامه
دق الطعام عظامه • ومن خان رفيقه • نتف الحمو عنفقته •

جرادق جمع جردقة بالفتح
الرغيف فارسي معرب

[illegible]

ومن شرب شرابه فليع الشراب نابه • وهم على هذه الصورة • وهذه
الكدورة المذكورة • فمن عابث بالبقول يزري امز آكل • ومن مازح
بالفضول يظهر انه فاضل • ومن صايم جوعا لا زهادة • ومن مسبح
تعجبا لا عبادة • الى ان قاموا وتبددوا فكانما بددهم الخذلان •
وتفرقوا كانما فرقهم الغربان • وانا وحدي مفرد ومعتزل منهم في
زاوية • والدار كلها زاوية خاوية • كاني من القلق على جمر جاح • وملا
ما القاه بحبل اقرعابر • واتلو من كتاب الله ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون • الى ان وقعت الاجابة • وارتفعت الكآبة • ومن الله
بعد الجزع بفرجة كحل العقال • وخلصني بحرمه من تلك الخطوب
الثقال • وافلت من حبس الضيافة بعد ما ايست كاني قد بعثت
من القبر • واخرجني ربي من الضيق والغم الى الراحة قد بدل العسر باليسر •
والحمد لله الذي جعل من بعد عسر يسرا • ولم يجعلها ابدا امري خسرا • ورزق
نعمة انصرف بها على حكم الاختيار • وانفقها بيد الاقتدار • لا ابددها
في غير طاعة اسرافا وبدارا • ولا اريد بها في الارض علوا واستكبارا •
ولا ادخرها مخافة النفاد • ولا ابخل بها من سوء الاعتقاد • واليه
الرغبة في امدادي بالتوفيق • وصيانة ما انعم به علي من التمزيق
والتزنيق بجوده ومجده • **وله تستر الى انسان بلغه انه هجاه
واغتابه وهو مخلد** حدثني من اثق به دينا يحدثنا ويحكيه • واصدقه
دينا يلفظه ويبديه • انك هجوتني بابيات رائية نوهتها بحمقك وعقلك
واخرجتها في معرض قبيح من لفظك • وانشدتها في السوق بين بعض
السقاط • دلالة على ما في راسك من الهوس والخباط • ثم استكتمته
السر والمقادرة متى تكتم سرا • واستخففته لحديث ولم لا يعدم منها
سكرا • فلذلك خفت ان يبلغني الحديث فاسل لسانك من قفاك
ولا هوانك لضعف ايمانك وخستك وهوانك ما فخت به فالك • ولا ادري
من اغرق منكما في السقوط المستبع او القائل بل كل منكما في النذالة رضيعا
دهان • وانتما كاني بجهالة رضيعا لبان • يا كلب • وقد رفعت قدرك
اذ دعوتك كلبا • ويا ولد الزنا اذ لم يعرف لك احد اما ولا ابا • ابجا
ان تسمع الناس ذمك لي وسبا • ويجري في بعد ذو قربا • والله لولا اني لا

اوثر

أفكر فيك هجوت أم مدحت ٭ ولا يبالي أنك سكت أم بحت ٭
ولا معاينة مثلك حسنت أم قبحت ٭ ولا اعتراض على عرضك
عرضت أم صرحت ٭ لقلعت نابك النقد ٭ ولسحقت وجهك
النكد ٭ ولحتوت شفتيك اللتين هما شفرتا حائض ٭ ولملأت
بالخرا منخريك اللذين كأنهما جوف مبطون حائض ٭ ولكن مثلك
لا يعاقب استحقار القدره ٭ واستصغار الذكره ٭ ولا يعاتب
على ما يقول استحنانا بالحية ٭ وترفعا عن شتمه وفريته ٭
وما أنا بأول من ذم وهجي ٭ وامتحن بساقط مثلك وابتلي ٭ المشركون
قد سبوا الله تعالى وتقدس فلم يؤثر ذلك السب في قدرته وجلاله
والمنافقون قد ثلبوا النبي صلى الله عليه وسلم فما ضر الثلب
بنبوته ولا رسالته ٭ والسفهاء قبلك هجوا الخلفاء ٭ وذموا الأمراء ٭
وشتموا الرؤساء ٭ وسبوا الأغنياء والفقراء ٭ إنما الهجاء للكرام
كأضغاث الأحلام ٭ والسب للأفاضل كالماء في المناخل ٭
وانتقاص الفضلاء ٭ كالهباء في الهواء ٭ أترى البحر يتنجس
إذا ولغه بلسانه ٭ أم ينقص الكلب إذا عض إنسانا بأسنانه ٭
أم يضر بالبدر إذا لم يبصر الأعمى أنواره ٭ أو يذم الربيع إذ لا يستحسن
الناظر أزهاره ٭ أم يحط قدر السيف إذا لم يعرف جوهره ومقداره ٭
أم ينقص فضل الفاضل إذا كان العائب لا يحسن إعرابه ولحنه ٭
يا وضيع الأصل والفصل ٭ ليس من يلبسه فقد دنس شاربه ٭
ويرتدي بفوطة ليخفي معايبه ٭ ويشكو المسكنة والقلة ٭ ويضرب
بجرانه القبلة ٭ ويظهر زهادة وهو أخطف من الحداة وأحد منها
أظفارا ٭ ويبدي نسكا وهو شر من إبليس ضرارا ٭ واخلع منه
في الفسوق عذارا ٭ ويمشي وهو كالقملة والنملة في الحقارة والنزارة
ويخفي شره وهو فيه كالعقرب بجراره ٭ ويغطي كثير نفاقه بقليل
خيره ٭ ويتشوف عند العوام بأدب غيره ٭ ويمزق أعراض الكرام
بشعر يشبه في القذارة شعره ٭ وكلام يحكي في الحقارة قدره ٭ يتقي
ما يقال ٭ ويحتمل على ما يفعل ٭ ويتلقى بالترحيب والتقريب ٭
ويبجل في المشهد والمغيب ٭ قد أخرجك من ظلمات الفقرات ٭

وانقذتك مما كنت فيه من الخصاصة تارات • واشبعتك بعد
طول سغبك • وابرأتك من عرك وكربك • وخلصتك من الكسر
التي تلتقطها وتخبأها في كيسك • وتجمع بينها وبين قراطيسك •
وتجعلها في الليل وسادتك • وبالنهار مزادتك • وفي الصيف
قلادتك • وفي الشتاء لبادتك • ولكن الاحسان اليك غرك •
والانعام عليك قادك الى سوء الادب وجرك • لانك زنيم
لئيم لا اصل لك فتعرف • وكالرة لا عقل لك فتوصف • ولا دين
لك فتوقر لديانتك • ولا فضل عندك فتحمل لروايتك • ولا
فكاهة فتخف على الظرفاء لخفة روحك ونجابتك • ولا خطر لك
فتستر به عيب مهابتك • فلاي سبب ترجو من الناس اعجابا
وعجبة • ولاي شئ تعطى ولو بحبة • انت اهون شيئا من ان
يتفكر احد في نطقك ونزقك • او يصغي الى ما تزخرفه من ركيك شرفت
لو اشتغلت بتزعيبك • ونفضت جيد القمل من جيابك • و
نضفت قميصك من الصئبان التي استطنت في دروزه • وحففت
حذاءك الذي راسك مشتاق الى مضفوره ومخروزه • وكفيت
من يجدك مؤونة بخرك الذي يصرع الطير من الجو • وصنانك الذي
يعمي البصر بعد الضوء • ومسحت مخاطك الذي تشطر به خبزك • ولعابك
الذي تقطر به بزك • لكان اعود عليك • واحب اليك • ولكنك
مثل الفار لا تظهر بالنهار خوفا من ان يعيبك الضو او يوبقك • و
تحسب ان التوليم اذا جاءك ياخذ عنك تتعرف عن صليبك • ولو صبغت
بالف تزييف • او تحرف عن كتبيك • ولو قرأت الف تصنيف • والذي
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى خلقه • واودعها اسرار حكمته • لولا انك
تصغر في عيني من ان اكافيك بخطاب • او الومك بعتاب • او انبهك
من سباتك • او اخرجك من ظلماتك • وانك غريب تنسب الى بلاد
مس جلدي ترابها • وما تحوي ظهارها ساداتها واصحابها • وجاهل
لا تعرف مقادير الرجال • وضعيف لا تقوى على مقابلة سيوف النضال
لنتفت كل نبات خديك بيد مصيبة غير خاطئة • ونتفت
كل شعرة على فوديك بنعال اليها خاطبة • ولكني اهملتك لقذرك

الدني

الذليل * وجعلت مرضك لقا في السبيل * وحسبنا الله ونعم الوكيل

الى انسان ساقط من المتلقب بالامارة يدعي علم النجوم وعلم الاوائل ويتبجح بالالهيات والرياضيات والطبيعيات وهو يجهل ما حوى

لي بالجن في العرف والعادة * لا من الرضاع ولا من الولادة * في علم النجوم
طالعها وساقطها * وصاعدها وهابطها * وتصور الاجرام العلوية المتحركة
بقواها وطبعها * وما يتولد في العالم السفلي من تاثيراتها الدالة على
ضرها ونفعها * والكواكب الثابتة على جميع حالاتها * والسائرة المعروفة
باسمائها ودلالاتها * وترتيبها في الافلاك * وهيئاتها في السكون والحركات
وافعالها في الانتقال والاعتدال * ومجاريها في الجنوب والشمال * واوقاتها
في اتصالها وانفصالها * واحوالها في صورها واشكالها * ومعرفة بروجها
الذكور النهارية * واليابسة النارية * واناثيها الارضية الباردة * والصالحة
منها والفاسدة * وسلطانها من الاسنان * وقسمتها من البلدان * واستوائها
وانقلابها * وتباعدها واقترابها * واختلاف حدودها * في نحوسها وسعودها
والطريق الى امتحانها * في زيادتها ونقصانها * واجتماعها وافتراقها *
وكسوفها ومحاقها * ورجوعها واحتراقها * وشرفها ووبالها * وتوغلها وزوالها
واحوال جميعها * في تسديسها وتربيعها * وتثليثها وبطيئها وسريعها * وارباع
مثلثاتها شرقيها وغربيها * وهوائيها وارضيها * وشركائها بالليل والنهار
وعلوماتها من الاقبال والادبار * وبروجها المستقيمة منها والمائلة * والمتضادة
والمتعادلة * والاوتاد التي يعطيها الاعتماد * والنور الذي منه الانتقاص
والازدياد * وحقيقة كل كوكب في ذاته اذا كان صاعدا في ذلك
الاوج او ناكصا * او مشتركا مع غيره او خالصا * ومقارنا كان او سعا
ومتيامنا كان او متياسرا * ومتقدما كان او متاخرا * ومتى تكون العلوية
من الكواكب صحيحة * ومتى تراها ضعيفة سقيمة * وما الفرق بين النقل
والجمع * ورد النور والمنع * وكيف نظر الرد * وكيف دفع التدبير والرد * و
باي شيء يستدل على عموم الاحداث * وما الفرق بين الاعتراض والانتكاث
وكيف يتخلص الكوكب من هبوطه * وما الذي يخرجه ويزيده بالنحس وسقوطه
ومن اين تصح المكافات والنهي * وكيف تكون المصادرة بين الكوكب والزائغة

وتنزيني نمير وكعب • وجاوزنا انشابة بني شيبان • ولم تنتبه
لي بنو نبهان • وادركني حسن الاتفاق • وحصلت بارض
العراق • ولقيت في مسافتي كلها سعدا • وفي مقصدي رشدا •
فان سلمت بعد هذه الاخطار • ووصلت الى تلك الديار •
وحصلت بين قوم شاهدتهم وايام الشبيبة مونقة • وافنان
الحداثة مورقة • وعاشرتهم زمانا سلبته سلبا • وودعتهم قطعته
وثبا • والفتهم وللنفس فيما بينهم مآرب • والعجب بهم تحدثت عنا
عجائب • وكنت حينئذ كمن باع العيان بالخبر • ورضي بالبدل الاوكس
واحتمل العقوق • وبدل النوق بالعنوق • وتحول من ظهر الجواد الى
الحمار • وهرب من الجنة الى النار • واضاع سيفا شهيرا كان يفري
بغراره • وافتقد بدرا منيرا بات يسري بانواره • وفارق حضرة طالما
كان يدرك مناه • ويبلغ غناه • وخلف من كان حجابا بينه وبين
الحرمان • وعدم من قلما يسمح وجوده في الزمان • ولو استقبلت
ادام الله بقاء مولاي من رأيي ما استدبرته • لما رحت بسلعتي نحونا
وما لقيت من المكاري والجمال هونا • ولما احتجت الى ما اقفني موقف
الاعتذار • ولما بعت النقد بالقمار • ولكن لله فيّ سر هو بالغه
وحكم هو فاصله • وما عليه تعالى بعزيز ان يردني عاجلا فتكتحل
العين التي قذيت بالبعد منها بالنظر اليها • وتانس بملازمتها
نفس استوحشت لمفارقتها • ويعينني حيث ما سبقت على نشر
مكارمه • والنهوض بلوازمه • بلطفه وكرمه • وانا منتظر من
مولاي الشيخ ادام الله ايامه تشريفي بكتبه كل وقت • منتظر
لاسكن اليها • وتعريفي اخبار سلامته التي اشكر الله عليها •
وتصريفي بين اوامره ونواهيه • منها ان شاء الله تعالى ولما لقي
بعض الاشراف وقد وعد بكتاب الفسر في معنى شعر المتنبي لطف
كتابي اطال الله بقاء الشريف وانا على جملة من السلامة تعجز عن تفصيلها
وفي ذروة من السعادة تقصر المنى عن ادراكها وتحصيلها • واحوالي
بعد الدولة القاهرة مستقرة على سنن انتظام واعتدال • وامور
مستمرة على احسن مأثورة من عز واقبال • ولله الحمد كما هو اهله

[illegible]

فاستغنى

وكيف وجه الاهتداء في المطالع في اختلاف مجاريها وطرائقها • وحقيقة
درجاتها ودقائقها • وقرداراتها التي هي اعداد معلومة للكواكب السيارة •
والجوزهر والذنب ولسنيها الكبرى والوسطى والصغرى وما لها من الآثار
وما لها من الطبيعة والمزاج • وحال الكدخذاه والهيلاج • ومنازل القمر
على تباين اشكالها الربيعية منها والصيفية • والخريفية والشتوية •
والامطار التي تنتهي اليها • والانواء التي تدل عليها • وصورة الهياكل العلة
الاولى والعقل والنفس والاقسام وكيفياتها في الاحكام والاجرام و
تحقيق نزول الشمس في اول نقطة من الحمل وعلة دورانها في سائر
ازمانها بدلائلها وبرهانها على مذاهب حكماء الاول • وحفظ قوانين
اقوالها في القرب والبعد على مذهب حكماء الهند • ما لو نشر بطليموس
لاقر بحذقي فيها وبراعتي • ولافتخر بتقدمي في صناعتي • ولو عاش ما
شاء الله لما ادعى عندي علم التنجيم • ولوقف بين يدي مواظبا على التعلم •
ولو رآني ابو معشر لعلم ان زيجه الذي الفه مصحف • وان كتاب مواليده
متكلف ومزخرف • ولو حضر عندي الحكماء الذين يحلوا بهذا العلم الجليل
وعولوا على الارصاد المعلومة كل التعويل • لقالوا انا الذي فتحت
السماء فشاهدت مواضعها • ونظرت في مراكز النجوم وعرفت مواقعها •
وتتبعت مجاريها ومطالعها • وتحققت جواهرها وطبائعها • ولو سمع
الفلاسفة كتابي في العلم لازروا باصحابه وحسابه • ولجعلوا تصنيفي
دستورا يقتدى به • فاسئل مجانستنا • ينكشف عن عينيك الغطاء •
ويبرح لك الخفاء • وتسهل عليك الاشياء • ولا تتطاول على ترصدك
الكواكب • وانفرادك بالنطق في المشارق والمغارب • ولا تهتد
بذكر الحوادث التي جربتها وتحققتها • وسهرت لها لياليّ وخدمتها • وطولت نظري
اليها شعرك ونحت ثيابك • ونحفت لها اضلاعك وترائبك • وان
شئت ان تحقق قدر معرفتي بهذا العلم وسبقي في ميدانه • وتناهي دقائقه
الى امد لا يحسن سواي في مكانه تجربتي • مع ما انت رايت لما اخذت
الاسطرلاب واثبت الارتفاع • ووجدت طالعك الثور • والثور
ناقص الخلق منقطع النسل • لئيم الفرع والاصل • ورايت الذنب على
التربيع في الاسد • علمت ان الراس في الدلو واستدللت مع هذا على

دلي

رأى بطلميوس ما شاهدت انسلاخ جيدك . وانتفاخ حبل
وريدك . وورم جبينك . وانكسار عرنينك . وانقشاط الجلد
من لثتك . وانشعاب الجرح في هامتك . وتوزّر اخدعيك .
وجحوظ عينيك . وانقطاع زبغك . وغصك بريقك . وتهيج
طرفك . وتعوّج كتفك . وتساقط الشعر المتلبد من نقرتك .
وتقاطر الدم من منخريك على نثرتك . وتنوس سنبالك . وتمايل
تليلك . على ان طليعة الصفع غزت راسك . فقطاعة لقفاك .
زاحمة لشوالك . وان الاكف الخشنة نزلت بساحتك حلاوية
لهامك . مبيحة لحماك . والتواسيم المطرقة المطبقة واكتافك
مضفورة فانذرت الابادة . والنعال المسمرة المشعرة التي
اعقابها منشورة مزورة بادرتك فاحسنت العيادة . هل رأيت
علما ابلغ من هذا العلم . او حكما اصح من هذا الحكم . فان سالتني عن
حد الحرف وعن اشتقاقه . وعن المقصور والممدود . وعن باب
الفاعل والمفعول به وغيرها . وعن العروض وبحورها والقابها .
واوتادها واسبابها . وفواصلها ودوائرها . وتنبيلها وعللها وتفصيلها
وجملها . فعلى الخبير سقطت . وبالبصير عثرت . اعلم ان الحرف في الكلام
حد الشيء وحده وطرفه وناحيته . والحرف يشبهك الا انه يقوم بذاته
وانت تقوم على اربع بذاتك . ويستدعي الغلمان الى قطائك . والحرف
يحتاج الى الغير . وانت تحتاج الى الاير . ويشتق من الحرف المحارف
وانت محارف مجازف . مخالف محالف . ويعبد الله على حرف . وتصبح
في دينك على ضعف . والحروف تجيء على اكثر الاحوال في اطراف الكلام قتلك
وانت اضعف عقلا من اطراف التمام . والحرفة مكسب الخل وحر
لحرفته والادبار . والحراف للنيل مشتق منه . ومحالك لا تخلو من
حراف . وانت عن القبلة ذو انحراف . تحرف الكلام عن مواضعه .
وتقف عند منهل الكذب ومشرعه . والحرف ايضا مسيل الماء .
واستك مسيل ما . غائلك وحاشيتك . وقصت نطف سوالك
وركابتك . فاحفظ حد الحرف واشتقاقه . وتأمل اجتماعه
في اوصافك واتفاقه . فاما الممدود والمقصور فقفاك اذا

مد نقص . واذا نقص بعد الدق قص . واذا قص نتف وعص .
واذا عصر جف مع احد عيك . وانزل المكآبي عبيلك . فان
اردت غير هذا المعنى فالمقصور عزلك . والممدود غزلك وعرك . وان
شئت سوى هذا فالمقصور في اللغة المحبوس . وانت اليوم مقصور في حبس
خذلانك وحرمانك . محبوس في نزلك واغلالك . والممدود عليك رواق
من الخزي لا تجد منه خلاصا . وطباق من الشوم لا تطيق منه مناصا .
فاما الفاعل والمفعول به فالفاعل بغير اختلاف لاحد من النحويين . فلك
الذي يشقى دونك بجوده . ويداوي عين صلبك ببروده . ويخفضك
وهو مرفوع . ويكرك وانت مصروع . ويحرك وانت مصفوع . ويعلوك
وانت موضوع . والمفعول به انت على اختلاف الاحوال والايام . اذ كنت
مذ عرفت دواة الاقلام . منصوبا لهدف السهام . ودريئة لرماح الخدام . فاما
العروض فانت اشد الناس بها اشتغالا . واكثرهم لها استعمالا . وعليها
اشتمالا . لا يفارق الطويل خلف ظهرك . ولا يباعد المديد فناء
حجرك . ولا يغيب الوافر عن باب حشك . ولا يبعد الكامل عن مدخل
عشك . عقلك خفيف . ووجهك بسيط . وغضبك سريع . واصلك
مجتث . ومخانيثك مضارعة متقاربة . ومساويك متداركة متناسبة .
فانت السائل عن العروض وانت عارف هزجها ورملها . عالم بمقتضبها ومستعملها
فانت العروض كلها ولكن لا تفرق بين شعر وشعير . والبعوض خساسة
همة وحقارة قدر . فمتى احتجت الى علوم اخر فلا تنقبض عن السوال .
لتظفر بالسحر الحلال . ولا تسخط علي بان ارضاني الدهر واسخطك . و
اعلاني واسقطك . وعافاني وابتلاك . وطرزني واخزاك . وعدل صورتي
وشوه شكلك . وانقطع غلتي واعطشك . وشوه وجهك بلحية لو جنت
على رجلي لغطيتها عن الورى . ولما وطئت بها غير الخرا

فصن لسانك لا تذكر به رجلا . يقضي ديون الاعادي بالتواسيم
فلست تسلم من سلطان سطوته . ولو تعوذت منه بالحواميم

[illegible]
[illegible]

عرتك باغز ورده وجنتك . وتطاول مدة مرضك . وافتتان النا

جدتك ، واعجابهم بالفتك ، وزاحمهم على عتبتك ، وهجرتهم من كل
فج عميق لحضرتك ، واصبرهم على انواع تناجيك ودلالك ، وافتخارهم
بمشاهدتك ووصالك ، وبذلهم الرغائب في طلب رضائك ، واحتمالهم
المصاعب تقربا الى هواك ، وتناحرهم على القلادة الى قبلتك ، وتباهيهم
بالقلادة لقبلتك ، وانفاقهم الاموال على دعوات لنجاح بحضورك
وتنور ابصارهم فيها بنورك ، واستشهادهم بحسنك اذ تنبت في
منبتك كالغصن المائد ، واستبشارهم باستمالتك اذ كنت تنفر
عنهم كالغزال الشارد ، واستظهارك بالملابس الفاخرة التي كنت
تغيرها كل ساعة ، وتتطاول بحسنها وجمالها على الجماعة ، وافترائك
على من تراه حاجا الى كعبتك ، نازلا برحبتك ، حريصا بصحبتك
متعلقا بشعبتك ، كما تمناه من نفائس مُغنية ، وطُرفه من غرائب
غير ممكنة ، مالمّا بان امرك امضى من امر السلطان ، وانقيادا بان
حكمك انفذ من حكم الشيطان ، وكلامك مسموع على كل حال
وقولك لا يُردّ ولو قلت الف محال ، وحسبت ان تلك النعمة تدوم
لك صافية لا يلحقها نكد ، وان تلك الدولة تقيم لديك زاهية
لا يزيلها احد ، وان تلك الولاية باقية لا ينغصها عزل ، وان تلك
السعادة دائمة لا ينقصها نقل ، وان البدر الذي كان العشاق
يستضيئون بنوره من طلعتك لا يلحقه كسوف ، وان الروض
الذي كانوا يتأرجون بنوره لا يلحقه جفوف ، وان الشوك لا
ينبت في خلال حدائقك ، والحسك لا يعم منابت شقائقك ،
وانك آمن من سهام دهرك فلا ترى بعد كورٍ حورًا ، وان النضارة التي
كانت تجول في عارضيك لا يصبح ماؤها غورا ، وان الحوادث لا
تخرج اليك من المكامن ، وان الايام لا تسترد عنك ما اعارتك
من المحاسن ، وان الزمان لا يمحو من خديك سطور الجمال ، ولا
يكتب عليها اساطير الوبال ، وان الشعر لا يتقلدك عذارا يمنعك
من الجماح ، وان الليل لا يكدر عليك باظلامه فلق الصباح
وان الدهر لا يسخر منك كما سخر من امثالك ، ولا يريك من
الهوان من اراه من كان في مثل حالك ، وانه لا يزول عنك ما

رزقته من جلالة المحل والموضع . وان تقدم ما كنت تكتسب من التصنع والتقنع . وان شرفك لا يكسد بعد نفاق . وان وجهك لا يفسد بعد اشراق . وان مرآتك الصقيلة لا يكدر الصدأ صفاءها . وطلعتك الجميلة لا يغير اللحية جمالها . وان رزقك لا يعقبه التلهف والتأسف . وان جنسك يشترى دايما لا يشترى البز المنصف . وانك بعد لبس العصوب والشروب لا تبتلي بغبار الرهبان . وبعد الحلل والخزوز لا تلبس ثياب الكردوان . وبعد المطاعم المختارة لا تاكل الطعام الجشب الردي . وبعد المشارب الصافية لا تشرب الرنق الدردي . وانك لا تحضر دعوة كنت فيها متصدرا . ولا تدخل مجلسا كنت تاتيه متبخترا مستعظما . ولا تصبح الا وما ثلا مخمورا . ولا تمشي في الارض الا مختالا فخورا . ولا ترجع الى بيتك الا وفي كمك صرر واكياس . ولا تخرج من دارك الا وعلى بابك بغال وافراس . فارقتك الا النعم التي فاضت عليك . فكذبت ظنك . وسخنت عينك . وخيبت امالك . وغيبت اقبالك وكالتك صاعا بصاع . ونقضت ما سخرت لك بانتزاع وارتجاع . وبدل سعدان مرعاك بمرار . وطالبك بعد امن بدخل وثار . وضرب في وجهك الف الف مسمار . ولطخ عارضيك بزفت وقار . والبس وجنتك ثياب حداد . وسخم سحنتك بنقس ومداد . وانقص جدك حتى طلعت نحوسه وغابت سعوده . ونادى بخذلانك من خلفك هذا جزاء من طال في غير طاعة الله سجوده . واثبت اسمك في جرائد الاعساء . وسود باب دارك وانت في الاحياء . وافردك من الناس بسقوط جاه وتهافت نفس . واقعدك في مأتم بعد عرس . وجعل فحمتك منضدة النار . وكتب على وجنتك فاعتبروا يا اولي الابصار . وصيرك تدعو فلا تجاب . وتعدو فلا تهاب . وتشكو فلا تنصف . وتسأل فلا تسعف . وتبسط الناس فلا يباسطونك . وتعرض الادلة فلا يستشرطونك . وتعرض سلعتك على من تريد فلا تجد لها مشتريا . وتبذل ظهرك للركوب فلا ترى له مكتريا . وختم الحرمان على سمتك

بعد

ونصرك . وصرت مطرقا بعد صيدك وصولك . وأمسيت هلال شهر رمضان وكنت لشوال هلالا . وأصبحت من عدد الثيران وكنت في الجنة غزالا . ورأيتك كالملك نظافة وظرافة فصرت غولا . وشاهدتك مصونة الحرم فصارت مبذولا . وطارت منك الملاحة فلا شمس ولا قمر . وذهبت منك الفصاحة فلا عين ولا أثر . فاقعد بأسكين في مجلس العز آن يعزلك الزمان . وتجرد لعمل الطين فقد ملك الجردان . واقنع بكسر فقد كثرت الأيام جرتك . واصبر على العيش الرنق فقد نقضت الأيام زينتك . واخدم في الدواب فطالما كنت مخدوما وامش في الكلاب فقد صارت أيامك حشوما . واعلم أن ما ابتلتك به من عادة الدهر فإنه يصعد جد الإنسان ثم يحطه . ويحث سعد المرء ثم يسقطه . ويرفع الوضيع حتى يحك بالسحاب . ويضع الرفيع حتى يلتصق بالتراب . ويعز القرد حتى تهابه الأغفار . ويذل الأسد حتى يقرض أذنه الفار . ويملك العبد حتى تسجد له الأحرار . ويهين الحر حتى يهلكه الافتقار . ويسلب الفاضل فضائله ويكسوها رذائل . ويحرم الأعالي منازلهم ويرزقها الأسافل .

فإياك أن تغتر بالدهر إنه . على حالة لا تستقر مكوب .
فلا تحتمل هما ولا تطل المنى . تقلب مع الدنيا كما تتقلب .

الى الوزير يعتذر من تأخره عن تقبيل حضرته من الكرب ويهنيه بالبرء من علته والركوب على عادته الى حضرته

تأخرت من حضرة مولاي الوزير الأجل أدام الله جلالتها بدوام بقائه . وصانها من عادية الزمان واعتدائه . لتطاول مدة علتي ومرض . وصبرت عن حضور حضرته الجليلة ولو حبوا ولكن صبرا على مضض . فلو أنصفني الدهر لما قصر خطاي من السعي الى بساطه . ولو ساعدني لوفاني أقسام السعادة من بشره وانبساطه . ولكن الزمان معي لكياد يمنعني من كل مشرب عذب . كأني معه في حرب . ويقطعني عن مقر كل جلال . كأني معه في قتال . وكلما رأى مني في خدمته جدا . جعل بيني وبينه سدا . وكلما شاهد مني على حضرته وفورا . صير بيني وبينها

سوءا • وكلما انقبض من جهته نفعا • دفع في نحره دفعا • فجنابي معمر ممرع •
كانه صرع • ولا مني نفار • ومالي عليه اقتدار • اجرى الله الامور على
مولاي الوزير وايثاره • وصرف الايام على حسب محبته واختياره •
وزاد في جلالة قدره واقتداره • وامده في كل وقت باظهاره
واظفاره • وادام في العالم محاسن آثاره • وصان ساحة عزه من
حزونة الغدر واوعاره • وهناه برؤه من العارض وابتاله وغوائله
وابلاله • وجعل ركوبه مقرونا بالطالع الاسعد • والطائر الاحمد •
والعيش الارغد • والطريق الارشد • والجلال والسؤدد • والاقبال
المخلد • هذا يوم لو استطاعت الجوزاء ان تخفض من فلكها لتحمل
منكبها موكبه لخففت اجلالا لقدره • ولو طاقت الكواكب ان ترتق
باجرامها موكبه لتناثرت اعظاما لذكره • وتمنيت ان اتحمل بعزة السيف
شفاء لا اعتل بعده ابدا • واكحل بغبار موكبه فلا اخاف معه رمدا •
واستسعد بما شاهدت من طلعته فلا اخشى بوسا ولا نكدا •
واستوفي حظي من ايجابه فاقتل اولاد الزنا حسدا •
ولكن ابى القعاد الا لجاجة • فمن لي عليه بمن عدا وتعدي
وانا ارغب الى الله تعالى في اطالة مدته محروس الغرض من عوارض
الزمان • مصون المهجة من طوارق الحدثان • واكنافه بالتمكين والتمهيد
والعز والتاييد • محوطا في عبيده واوليائه • لتسقط سهام النوائب عن ونائمه •
والله عز اسمه مجيب بحوله وطوله

جواب رقعة ابي اسحق الصابي وقد طلب منه رسائل الاسكافي

وصلت رقعة مولاي ورئيسي الاستاذ اطال الله بقاءه وادام علوه
مشتملة على حديث ابي القاسم الاسكافي النيسابوري • وما رسمه لي من
تعريفي اباه وبلاده ونسبه • واسم من استخدمه في ابتداء امره واستكتبه •
وحمل ما اجتمع عندي من جميع رسائله الى حضرته • ليتاملها في اوقات فراغه صح
وخلوته • ثم يعيدها بعد الفراغ منها • ويردها عند الغنى عنها • وفهمتها
وقابلت امره بالسمع والطاعة • فاما بلد علي بن احمد الاسكافي فجنابذ
وهي كورة من كور قهستان الى عام ساحل نيسابور • وواسطة بلاد خراسان
وسرتها ووجهها وغرتها • وكان ابوه اسكافا ضعيف الحال فقيرا •

فادرد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فادرك باول ما تعلم من الادب الا يسيرا. وليس بينه وبين الكفاة
العراق الذين هم من سكان جانبيه مقاربة ولا مناسبة. ثم انتقل بعد ذلك
الى نيسابور فاستخدمه ابو الحسن التوزي كاتب ابي علي الصغاني صاحب
جيش نوح بن نصر بن احمد بن اسماعيل الساماني ملك خراسان وهو
الذي خرج على صاحبه وجاء الى الري فغنم الري وطبرستان وانتزعها
من يدي من كان. ثم قصد بخارا لمنازعة صاحبه ومقارعته
كفرا للنعمة وخترا بالذمة. سحقه حتى رماه الله بسهام الانتقام. ولحقه بصرام
الاصطلام. وابتلاه بفضيحة الانهزام. ووليت آماله ناكصة على
اعقابها قاصية. واعماله خاسئة على ادبارها خازية. وكان الاسكافي
هذا المذكور يحمل دواة ابي الحسن سنين. وكان من الذكاء وحدة
الخاطر والفطنة الثاقبة والجواب الحاضر بحيث لم يطمع احد في مجاراته
في مضماره ومباراته عند حضاره. وحدثني والدي رحمه الله وانشأ
اجل مولاي ورئيسي الاستاذ انه شاهده قبل اتصاله لم يجد منه احد
يستند الى جوابات الجمال وبعال المجالس لا يستحضر ولا يتصدى
في ديوان الملك. وكان ضئيل الجسم نحيفه. صغير الجثة لطيفه.
ولم تمض الا ايام قلائل لم يعد ان توقيت استخدمه حتى تصدر وتسهل له
ما تصوره وتيسر. وتوفي بعد ما تقلد الانشاء لنوح بن نصر ولم
يتجاوز ثلاثين سنة. وترك الله كلاما يرفع قدرا ويفيح بالفصاحة
والبلاغة عرفا. وقد حملت الى خزانته كتب حوت من مختار كلامه فان
رأى ادام الله تمهيده ان يجري في قبولها الى عادة بره وانعامه
فعل ان شاء الله. وله بالوافد الى الشريف يعزيه عن اخيه الشريف
التاضي الرضي رحمه من سلالتهم

كتبت اطال الله بقاء مولاي
الشريف السيد وبناني لا يجري. ولساني لا يملي. وخاطري متبلد
مرتبك. وقلبي على جمر الغضا متقلب. اكبارا للناعي الي من توفي
الشريف السيد الاوحد تغمده الله بغفرانه. وتعهده برضوانه. واحله اعلى
المنازل من جنانه. واعظاما لهذه الفجيعة الفضيعة التي هدت لها
قواعد الدين بان تهد وتهدم. ومواد الاسلام بان تحط وتحطم
ومحافل المجد بان تتفرق وتتضعضع. ومعاقل العز بان تتضعضع وتتقلقل

ومشاهد الجدال بأن تخسف فلا تطلع عليها شمس ولا قمر • ومعاهد الجلال
بأن تختلف فلا يبقى بعدها عين ولا أثر • فلم يبق والله العظيم نفس إلا
هلكت • ولا أذن إلا استكت • ولا قلب إلا التهب واشتعل • ولا دمع إلا انسكب
وانهمل • ولا زنداً إلا وقد دقت في عضده • وتسلطت الأحزان على
خلده • ونقضت الهموم مرائر جلده • وبلغ في التوجع الزائد إلى أقصى
أمده • فليت المصيبة إذ التي جاءت بفجائع تستطيع النفوس أن تحمل
أثقالها • وحيث أقدمت بهجمات بفوادح تطيق القلوب أن تلقى
أهوالها • لكنها جرت من المجاز بمثل ما تجري به الأقدار • وأتت من القواطع
بأصعب ما يستفز العزاء والاصطبار • فأشد ضررها من بين المصائب
وما أعظم خبرها في المشارق والمغارب • وما أقصمها للظهور الكرام • وما
أنكاها في صدور الأنام • وما أزلها للأقدام • وما أبقاها على الأيام
وما رأيت أشأم من صباح أصم فيه الناعي بما أسمع • وجذ واتى الفؤاد
وقطع • وغادر لساني عن شرح الحال ملجماً • وعاد ليلي نهاري مظلماً •
وجعل طعم حياتي علقماً • وتركني من التجلد والتصبر بعده معدماً •
فأنا لله راضٍ بما نفذ فيه حكمه • ومتلقياً لما سبق به علمه • وآخذاً بآدابه
التي دعى إليها • ووعد الصابرين بالثواب عليها • ومنه أسأل أن يصلي
على روحه • ويخصه ببرد ضريحه • ويتجاوز عما سلف له من الأوزار • و
يجمع في جنات المأوى بينه وبين آبائه السادة الأطهار • وإليه أرغب
وابتهل • في إطالة بقاء الشريف السيد وحفظ مكانه • وصيانة ساحة عزه
من نوائب الدهر وحدثانه • وتثبيت وطأته • وإدامة مدته • والزيادة
في تمهيده وعلوه • وإبادة حاسده وعدوه • فإن بقاءه بقاء الكرام
واستدرار النعم • وانكشاف الغم • وسعادة الأمم • ودوام النعم • وزوال الظلم
والمظالم • ودولة السيف والقلم • وإحسان توفيقه للصبر حتى يمسك
بعد دثره • وينزل بمعونته • فإنه إذا تأمل حقيقة الحال علم أن الذي ذهب
لنا منه ببقائه أعظم ما سلف • وأن الذي حبس علينا من حبوته وخير
أجل مما اختلس وخطف • وأن في امتداد ظلاله على الكافة ما تحط على
المناكب أثقال المصائب • وتطفئ في القلوب نيران الخطوب • و نبرد
بين الأضالع غليل الفجائع • لا زال التجلي للأنام • وأرثنا للدهر محروس

[illegible]

الذرا

الدار . في الليل والنهار . من حوادث الاقدار . ولولا مقامي بحضرة
لا استطيع الى مفارقتها سبيلا . واشتغالي بخدمة لا بد لي من
ملازمتها بكرة واصيلا . لسعيت الى جليل حضرته حبوا وعدوا .
ولسعيت اليها مشيا كالذر في الزبية ولو حبوا . ولتوليت اطفاء نار
الفجيعة بتعزيته مشافهة . ولقضيت رسوم الخدمة بتسليته
مواجهة . وان كنت متحققا بان الله تعالى الهمه في فقده بحلم وتبصر يستخف
الجبال وهو ثابت . وهدوا من عزم وتصبر تتزعزع الاطواد وهو راسي
ساكن . وهو ادام الله سعادته اولى من ان يرثى بكتب مشتملة
على اوامره ونواهيه . ومتضمنة ذكر ما الهمه الله من الصبر الذي يعظم الاجر
ويجبر ان شاء الله تعالى

الى ابي طاهر البهركي اول دخوله مصر

ما احسنت هذه الدنيا الى احد . الا اساءت اليه بعد احسان .
والله لقد احسنت الدنيا ايام كانت السعادة لمت من احوالي كل ما تشعث .
وابرمت من اموري جميع ما انتكث . وقصمت ظهر من كان لي عدوا . وصرمت
حبل من اراد بي سوءا . واقبلت علي الدولة ممتدة ظلالها . سابغة اذيالها .
متقربة الي لتنال عندي قربة . متطلبة لدي لترتفع الي رتبة . وانا
حينئذ في غدوة الشباب تجليني الناس فيه بجلادها . وتوليني من
الجلالة ارفعها واعلاها . متلفعا ببرود الشبيبة قشيبة . مترتعا
في مجالس الاقبال رحيبة . مجيلا قداح اللهو فلا منازع ولا مزاحم . ساحبا
ازار المجون فلا مدافع ولا مداحم . متظاهرا بالخلاعة من غير حشمة
ولا فكرة . مجاهرا على الخلاعة بلا حيا ولا سترة . قد انقبضت
يد الاعادي وقصرت ابواعها . وانخفضت دوني عيون العوادي
وانحسمت اطماعها . وصفا عيشي من الشوائب فلا كدر ولا رنق .
وخلا دهري من النوائب فلا ضجر ولا قلق . حين المستقر ارض العراق
حيث يفتح القرائح هواؤها . وتصح الجوارح تربها وماؤها . ويذكي
الخواطر نسيم اسحارها . ويجلي البصائر مهب رياحها ومصب انهارها .
وتحسن الاخلاق معاشرة اهلها . وتكتسب الاعراق مباشرة فضلها . و
يعلم المروة مجاورة فتيانها وظرافها . ويتعلم الظرف مجاورة اعيانها
واشرافها . وحين كنت فيها بين فحول من الكتاب تثنى عليهم الخناصر .

رقم ٢٧٠

EX
LIBRIS
العلم
ينبوع الحياة
والكتاب
حياة الآداب
A.S.YAHUDA

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
GIFT OF ROBERT GARRETT '97

وصلوته على سيدنا محمد وعترته . وقد كان الشريف اعزه الله وافقني
على ما لا خفاء به عليه . وصافحني على ما راى نفسي نازعة اليه . ووعدني
ثم ردني . واطمعني ثم منعني . ووعد كثيرا . ولم يعط يسيرا .
وسكت الفا . ونطق خلفا . فليت شعري اي شي دعاه الى الكذب
صريح . واي سبب حداه على ارتكاب امر قبيح . ومن الزمه بذلك
لم يكن في طبعه وسجيته . وطالبه بان يسمح بالجميل في نيته .
وكيف رضي بان يكون نسيب مسيلمة في كذبه . ونظير عرقوب في
خلفه . وان يبذل عرضه دون النوال . ويبهر قاصده قبل
السوال . ولم احب ان ترى الاماني المحاوة عنده عاطلة .
والامال القوية لديه شاحبة ناحلة . ويستند فيما يقوله الى المطل
والعلل . ويعتمد على القول دون الفعل . والكذب قبيح بالتابع
وهو بالمتبوع اقبح . واللوم فاضح للخادم . وهو بالمخدوم افضح
والبخل فضيع من المعسر . وهو من الموسر افضع . والكسوف شنيع
في الكواكب . وهو بالشمس والقمر اشنع . والخسة في الخواص ابين منها
في العوام . والذلة باللیام اليق منها بالكرام . وما الشرف الا شرف
النفس . وما السودد الا ان تسود ابنا الجنس . ولا الرياسة الا
في اكتساب المكارم . ولا الفضل الا في احتمال المغارم . ولا شي
اصون للمجد من استعباد الحر . ولا سبب انفى للمروة من امساك
البر . ولا شعار اخلق من شعار الاعذار . ولا ذل اصعب من
الافتقار . ومن طلب المجادلة بالمذلة فقد طلب محالا . ومن
رام الخساسة فقد رام ضلالا . وكم اصل راسخ في الشرف قلعه الرابعه
لوم الفرع . وكم نسب عال في الكرم قطعه شوم الطبع . وكم قوم
ضعفا شرفوا برجل ماجد . وكم عصبة ادبا ارتفعوا بسعي واحد
وكم من قوم فقرا اغنتهم خصلة جميلة . وكم ثروة كبيرة كنزتهم
مكرمة قليلة . وكم اب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان
تسمو الرجال باباء واونة تسمو الرجال بابنا وتزدان . ولان يكون
المرء عصاميا احسن من ان يكون عظاميا . والافتخار بالجيف
دلالة العجز واحيا محاسن السلف وفور العز . وهدم قواعد الاباء

بني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصدور منهم تقرّ بالنظر إليهم النواظر • وعند أدباء تُؤرَّخ بفضائلهم الكتب • وتُنظم لنا نظم الأدب • وبحضرة رؤساء تقرب إليهم أكباد الإبل • وتُجمل بهم أصناف الملك • ومع علماء إذا أرادوني في مأدبها أتوني وإذا دعوتهم لم أجابوني • وإذا ناظرتهم أُسكت المعارضة • وإذا ذاكرتهم لم أخف المناقضة • وإذا حاضرتهم لم أخف كبوة وعثارا • وإذا نادمتهم لم أعدم استظهارا واقتدارا • فما كان إلا كرجع الطرف حتى انتبهت الدنيا من رقدتها • وابتدأت بعربدتها • وانقلب بطنها ظهرا • وصار مدها جزرا • ومارت الأيام مسيئة بعد إحسانها • متنكرة بعد عرفانها • وأشرعت إليّ سنان من يريد أن يستبيح دمارا • وأزعجت في ارتجاع ما كان عندي من خيرها مُعارا • وطالبتني مطالبة حاكم ظالم • وعاقبتني معاقبة قاضٍ غير راحم • فصار صفوها كدرا • وغرورها غررا • وخيرها سرابا • وعذبها عذابا • ثم قالت للسعادة ترحّلي وتقلّعي خيامك • وللنعم تخلّي فقد تمادت مدة مقامك • وللدول أقلعي العصم فلا حاجة إليك • وللإقبال أخفر الذمم فلا تثريب عليك • فما تركت أبوابا من المخاوف إلا فتحتها • ولا زنادا من الاعتساف إلا قدحتها • ثم أقبلت على جسمي فأودعته سقما ووجعا • وعلى بُرد شبابي فقطّعته قطعا • وعلى رأسي فألبسته نزعا وصلعا • وعلى قلبي فملأته فزعا وجزعا • وذهبت بأشيبتي وكان عزيزا نيّرا • وقصمت ناعم غصنها وكان نضيرا • وسلبتني محاسنها وكان قدرها خطيرا • وأجحفتني بفقدها وكان عمرها قصيرا • ثم لم تقنعها هذه الفعال التي نقض مريرتي بعد استحصادها • وهذا النكاد الذي مرّض بصيرتي بعد صحتها وانقيادها • حتى ألقتني بعد الشيب إلى أرض هواؤها يشبه أهلها في سرعة التغيّر والاستحالة • وماؤها من كدورته وخثورته كالنفط والزبالة • يفسد الطبع ويكدره • ويبلد الحسّ ويفتره • ويخبث النفس ويضنيها • ويطفي الحرارة ويبليها • وتراها يذهب الفرح والبهجة • ويذلل عزّ النفوس الأبية • فلو دخلها سحبان وائل لصار باقلا • ولو أتاها قسّ بن ساعدة لبقي فيها جاهلا • ولو نزلها إياس بن معوية لتبلد تبلد الحمار • ولو سكنها زاهد عابد لأصبح أفسق من

الفجار

شبكة الألوكة www.alukah.net

الغار. فابتليت فيها بكل متشيخ في غاية الطامع الى ما ليس من شانه.
يعجب بنفسه وجدته. عليل في عقله وتودته. وسقاط من الانباط
يسخرون من الكتاب. ويستهزئون بالآداب. وينظرون الى الاحرار.
بعين الاحتقار. ويزرون بالعلماء. فعل الجهال السفهاء. وينكرون
احوال الشيوخ الذين استولت على اكثر الناس فضائلهم. وعلت
في محافل عبدهم رتبهم ومنازلهم. وهذبتهم التكبة والاحلام. و
ادبتهم الليالي والايام.

شعر

ولكن اذا قومت لشد التوكر وقلمت . مخالبها باتت عليها الارانب
وكل باز يمسي هرم . تجري على راسه العصافير

فما هذه
الشبكات التي اقاسي في الدنيا بازمانها واتشفى من خشانها. وما هذه
النكبات التي حكتني في تجاربها كما ما اجتنيت من ثمراتها. لقد
شربتني مرة وساءتني الوفا. ونغضتني تارة وضربتني صنوفا. وسلبت
اكثر ما وهبت. وخطفت اعظم ما انحت. واخذت اكثر ما منحت.
وافسدت اتم ما اصلحت. في خلال هذه الاحوال اعلل نفسي كل
يوم بالمحال. واقول غمرات ثم تنجلي. وحسرات ثم تنقضي. واوقات
عسرة فرغت لا محالة ان تذهب وتهرب. وكوكب نحس تقدير طلعت
لابد ان تغيب وتغرب. وارجو من الله ان يكشف عني هذه الغمة
عن كثب. ويردف بضياء من عنده مرتقب. ويوفقني للبلوغ الى اغراض
انا منها ممنوع. وعنها مدفوع. ويكرمني بالانفراد لعبادته. والاجتهاد فيما
يبتني عليه ابواب سعادته. والخلاص من تبعات تقلدتها ايام غرة
وشباب. وشبهات تقودتها وتقلدتها غير متفكر فيها ولا آب. ويخفف
مظالم العباد عن كاهلي. فقد جعلت جهدا واهل بحثه اليم عز اسمه
ويسامحني بعفوه ورحمته. وكرمه ورأفته. **وله من اخر رسالة تقدم اولها**
اقتضاء وادكارا. ومشاورته اعلانا واسرارا. وعاتبته في خلوة اكثار الظلم
وانكارا. فوالله ما اعطاني منها دينارا. ولا اظهر لي في تاخيرها
عني اعتذارا. وهلم جرا الى هذه المدة كل يوم يسخر ويتطنز. ويتبرم
بكلام سرد وجز. وانا والله اجل نفسي عن ان انسبه الى مهانة او خيانة.
او اعرض بحديث فلان او فلانة. او اكشف ما غطاني الله عن كشفه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو أسعى فيما يؤدي إلى صَرفه وحَتفه، وليس يدري أنّ لمولاي
الوزير الأجل أدام الله أيامه عزمات تفلق الصخر، وتفلق
الشعر، وسطوات ترد المقتدي إلى قيمته ومقداره، وتحرق
المتسلط المتشفع بناره، وأنه لا يضيع عَبيدَهُ لتدوسهم الحمير
بحوافرها، وتلوسهم الغنم بمناوزها، ولمولاي الوزير الأجل
أدام الله أيامه وتمكينه في الأمر إلى صاحب الديوان باستيفاء
ما لي عنده، أو تعويضي أو أن يزيد على استخراجه عنه، فلا يجوز أن
يستضيمني مثله وأنا بعض خدمه، أو يستهينني وأنا بطود عزه
عاصم، وأجراني على كرم عادته في الإنصاف، وصانني من غوائله
ذوي الانطلاق في الارتياب بجوده وكرمه. ورقعة إلى أبي
الحسن النيلي المستخدم بمصر يشكو ابن البنا كاتبه

إليك فإنا بعد المعلى … بلينا بالمنيح من القداح
ألا فالموت راحة كل حر … يقاسي الضيم من نذل وقاح

كنت قرأت أدام الله عز الشيخ في وصية بعض الحكماء إياك أن تستحقر
في الدنيا شيئاً، فالقذاة الصغيرة في العين ربما ترمد وتعمي،
والنبل الصغيرة تقصد وتصمي، والشيء تحقره وقد ينمي، والبعوضة
الحقيرة إذا وقعت في التراب تتنغص بها الشاربة، والذبابة
الضعيفة ربما تتنغص بها اللذات الغالبة، والأفاعي تراها صغارها
وكم أرض أحرقتها شرارة، وبلاد أخربتها فارة، وكم سطو بدوه مستطير
والقطرة مع القطرة سيل، والجبال من الحصى، والذود إلى الذود
إبل، ورب لفظة واحدة أبت بائدة، وقد يتفرزن البيدق
ويستعد في الزمان أحمق، والشر ابتداؤه صغاره، والقوم من الرجل
ذكر الثابت عني في استخراج مال الحوالة أنه إذا أشكا الشيخ أدام الله عزه
امرؤ خصيم مبلد، أو غريم ملح، جرد العناية في مطالبته وجرد من ذلق في كل
ما يحله ويعقده، وشدد في جميع ما يصدره ويورده، وألهم للفضل
الجميل شكراً يقيده بما أنعم الله به عليه من الانتشار والتردد، ويستبقيا
مواهبه لديه من النفار والتذود، فشكرته على تفضله شكراً أنشد له
الألسنة، ولا تمحه الأزمنة، واعتددت بمساعيه الحميدة، ومنا

أينوه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرشيدة • اعتداده وانفه بانه لا يتطرق الطعن في كفايته ودرايته • ولا يتسلق عليه الوهن في صناعته وبراعته • ولا يرتاب بعقله وادبه ولا يُشك باصله ونسبه • ثم وصف لي نائبا بجديته ما يجري من ابن البناء من كثرة تلونه وتلومه • وتجنيه وتجنبه • وتخلبه بالسفه وتحليه واعتدائه على من يكلمه وتقديره • وانه يخرج عليه من الخطاب فيرميه بسهام من الارعاد والابراق • ويوعده بقطع الارزاق • ويتكلم بما هو مشهور فيه من قبيح عادته • ويحدث بما لا سبيل لذكره واعادته • فوالله ما ادري اي خريدة من خرائد المحن اكبر على مقالته • وفي اي كتاب من كتب المخذولين اثبت ارذالته واستطالته • استنت النصال حتى القرعا • وقد كنت زمانا ولا اخشى بالذيب وعشت دهرا ولا يقاد بي البعير • فليت شعري متى صار هذا النويبط انسانا • ومتى تشجع ان يدير بين يدي كاتب لسانا • ومتى قام من جملة البعير الى صدر السرير • ومتى انتقش من حنين لخذلان وارزومه • الى معرفة الديوان ورسومه • اترى بسبب ان نظر الزمان اليه نظرة حمقا واقعد خلف سكره • واتاه شي من قلة وخلة • يتبشر بقطع الارزاق والاجال • ام يعد نفسه في الكفاة من الرجال • ما كان بين ان اغناه من فاقة واضافه • وبين ما علمه ان يناظر الجهابذة ولا فاقة الا بمقدار فواق ناقة • والا بين ان تقشر من هذا القذر والوضر • وبين ان جعله من البشر الا اسرع من لمح البصر • اكل هذا التقريب والاقتدار • تعلم في هذا المقدار • وجميع هذه لجمل الجمية الغريبة • اكتبها من هذه اللذة القريبة • والله لقد هممت ان اطير بجناحي الضجر والقلق الى حضرة الوزارة اجلها الله • واطرف مولاي الوزير الاجل ادام الله تمهيده بهذه الحكاية • ليكفيني مؤونة الشكاية • واتحفه بهذه المضاحك والعجا التي يعد مثلها في المصائب • الا اني نزهت نفسي عن ان يجري لساني بذكر اشكاله واجللت قدري ان اعاتب مثله استهانة لسباله • فاعرضت عما بلغني عنه اذنا صما • واوسعته لصدر رابع الدهنا • وانشدت

انظر الى هذا اللئيم وكبره • حتى كان اباه عبد مناف
لا ذنب لي فيه ولكن للذي • وضع اللئام مواضع الاشراف

ورايت ان الاعراض عن مخاطبة لجاهل ضربا من السياسة تكل عنها قرائح الاغبيا •

الجهال ويفضل دونها خواطر السفهاء الأنذال • وقلت
ما دمت حيا فدار الناس كلهم • فإنما أنت في دار المدارات •
وسبر عالم أخراه في لذة عاجلة هذه وسحته • فإن لسان الأحمق مفتاح
حتفه • ووالله إني لأقضي من أحوال الدنيا عجبا • وأرى من اختلاف أمور هذا
الزمان غرائب لا أعرف لها أشباها ولا أضرابا • فما أحسن ما يرمح هذا الوضيع لحدة
اكتسابه بسيد ثلمة • فما أوفر ما تجتمع هذه النعم عند هؤلاء الأنعام • وتبا
الدولة زمان هؤلاء الأغنام • وأكثر ما تحصل بدر الدراهم عند هؤلاء البهائم
وتتراكم كياس الدنانير عند هؤلاء الخنازير • وما أسرع ما يجحدون بإنعام
المنعم عليهم • ويكفرون إحسان المحسن إليهم • وينسون أصولهم الصحيحة • ونفوسهم
المهينة • ولا يكاد واحد منهم يرى فوق رأسه العمامة حتى يدعي الإمامة • ولا يلبس
على قميصه بعد العرى الدراعة حتى يستعبد الجماعة • ولا يظفر بعد الحفا بركوب
حتى يلق الناس بقطوب • ويصير أكذب من عرقوب • فلعن الله الكمام التي
تنفرهم وتبرزهم • والأيام التي تظلهم من رثاث الأخلاق والخلقانهم • والزمان الذي
ينقلهم إلى الشبع والبطنة • والحال الذي يخرجهم من الجوع والمهنة • وما أصدق قول الله
فيهم • إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى • وما أحسن قول الحكيم اتقوا الكريم إذا
جاع واللئيم إذا شبع • وكم مركوب أهانه راكبه • وعقاب انتفت سباحته • ونبل
كانت منتشرة في جناحه • وبطل قتل بسلاحه • وسمعت أن كحالا وجد ميلا
من ذهب في التراب فلم يزل يكحل به إلى أن قرح جفنه وعميت عينه • وزبالا
أصاب جاما من فضة فمن كثرة ما شرب به انتفخ جوفه وانشق بطنه • وما على
الله بعزيز أن ينعم على الأحرار كما نرى هؤلاء السقاط بسهام الدوائر •
وأخلا المشاهد من بعضنا يوم الكواسد • بعد دنو وسلطانه • وفخره وإنسانه
قال محرر هذه الرقاع الفقير إليه تعالى [illegible] هذا آخر ما
عثرت عليه من هذه الرقاع فأثبتها حذر الذهاب والضياع • حامدا لله
ومصليا ومسلما على نبيه محمد وعلى آله وصحبه • وكان الفراغ من تحريرها
ليلة الجمعة لأول ليلة خلت من شهر رمضان المبارك المعدود من شهور السنة
السابعة والأربعين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية والحمد لله رب
العالمين
تم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

وَعَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ
نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

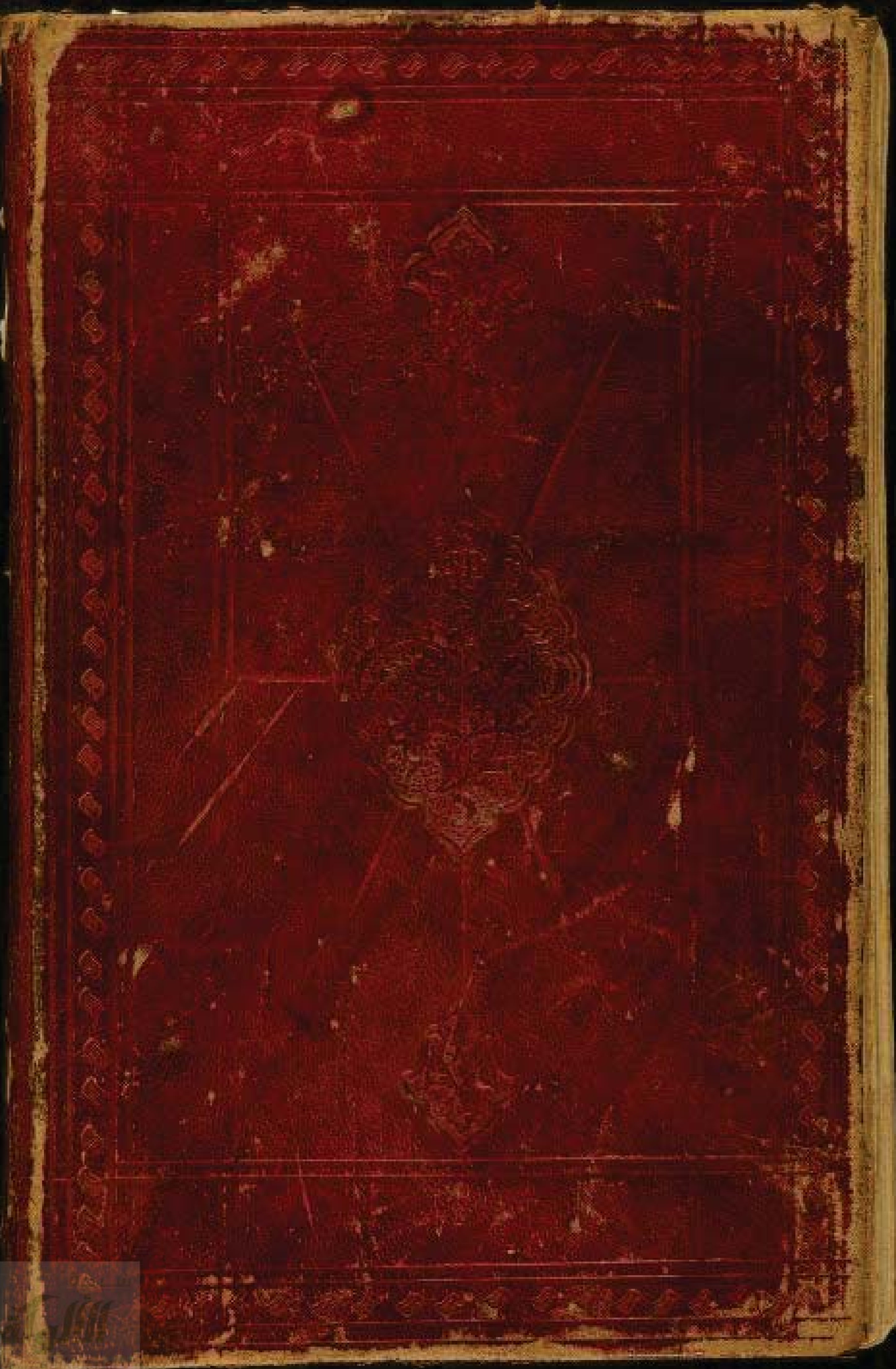

بقبح المساعي رَين العقوق . وتكدير ما اصفوه من المعالي
بتضييع الحقوق . وافتح بالمرء ما يقال هو بلؤمه حل من المفاخر ما
كان اباؤه عقدوا . وان ينشد فيه لقد صدقت ولكن بئس
ما ولدوا . وما يغني السيف انتسابه الى الهند اذا كان كهاما .
وما يجدي السحاب ارتفاعه في الجو اذا كان جهاما . وما يغني
الفتى كونه من باهلة اذا كان طائي السخا . وما ينفعه عزاؤه
الى هاشم اذا كان تيمي العطا . والفضل المكتسب خير من الحسب
المحتسب . وقيمة كل امرئ ما يحسنه من الادب . لا ما يرثه من
النسب . والفاضل من يتكل على مجده . لا على جده . ويفتخر
بشرفه لا بسلفه . ويتحلى بمحامده . لا بوالده . ويعلو بانعامه
لا باعمامه . ويسعد باحواله . لا باخواله . شعر .

فليس يسود المرء الا بنفسه . وان عد اباء كراما ذوي حسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة . من المثمرات اعتده الناس في الحطب

ومتى امكن مراد فلا يمكن ان يغير الطبع عن طبع الجهل . وتكليف
السخا من يستحلي ثمرة البخل . ولا اجادة الضرب بالساعد
الضعيف . ولا هادة الشرف بالعرض غير الشريف . وهب
ان الشريف اسعده الله لم يغتذ بلبان السخا والمروة . ولم
ينشا تحت افناء الكرم والفتوة . اليس ينتسب الى اهل
بيت النبوة . وقد راى انه لا يصنع الجميل طايعا . اليس ينتمي الى
آل الزكوة زاكيا . فتى جده كان دعواه في جده كدعواه في
جوده . ياكل وضيفه جايع . ويرقد وجاره ضايع . ويبذر
ولا يفي بنذره . ويبرح بندم على بره . اومتى حرم سائله
او منع نائله . او خيب آمله . او بات باخله . ومتى كان
اولاده رضوان الله عليهم ارتكبوا الفواحش والمحارم .
واحتقبوا المخازي والمآثم . وعدلوا عن واضحات المناهج .
وصاروا نجيا للنواصب والخوارج . كلا وان امير المومنين علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه . من نجر طينة لم تورق الا السخا .
ولم تزهر الا الوفا . ولم تثمر الا الصفا . ولم تحمل الا السنا والبنا

باسق عودها، راسخ عمودها، ثابت اصلها، باسط ظلها، والاولاد
رضوان الله عليهم لم يقولوا غير الحق، ولم ينطقوا الا بالصدق
ومن يشابه ابه فما ظلم، ان العروق عليها ينبت الشجر، واني
لا انفي عجبا من تناقض افعال الشريف وتباين اسبابه
واحواله، وتخالف نسبه وادبه، وتنافر اصله ومذهبه،
واري ان في انتسابه الى النبي صلى الله عليه وسلم وتعصبه
للمتنبي ما يوجب للطاعن الى الطعن عليه في نسبه
سبيلا، ويقوي له على ما يقوله برهانا ودليلا، وكان من
شرط الكرم وهو لا يعلمه انه لا يضن بما يبذل من كل علق
مخزون، ولا يشح بما يملكه من كل مدخر ومصون، فضلا
عن هذيان لا يساوي ساعة، وهذر يستحي العاقل ابتياعه
والعلم لما اشتراه بثمن غال، واحتاج في تحصيله الى بذل
جاه عال، اشتهى ان يقلده تميمة تحصنه من الشيطان،
وعزيمة تقيه بطش كل سلطان، ويجعله احرزا لا تزلق معه
بالابصار، ونشرة تكفيه بوائق العمار وطوارق الليل والنهار
ويعده له مصحفا يقرؤه مدة عمره، ويوصي ان يوضع به بعد مماته
على راس قبره، ولولا البخل الذي فيه مركب، واللؤم الذي
هو اليه محبب، لما كان يحتفل باشعار لو سئل عن بيت
منها لما عرف صدره من عجزه، ولا عروضه من ضربه، ولا معناه
من لفظه، ولا معتله من صحيحه، ولا ترصيعه من تفريعه،
ولا خروجه من وصله، ولا تاسيسه من ردفه، ولا رويه
من توجيهه، ولا اطلاقه من تقييده، ولا اسناده من
اقوائه، ولا تضمينه من ايطائه، ولا اجازته من اكفائه، ولما
كان يشتغل بما لا يعنيه، ولا يشتمل على ما لا يغنيه، ولما كان
ينفق باقي عمره الا على بردة يخرقها بجسمه، وبردة يتجمل بها
عند لبسه، فكل انسان وصناعته، وكل تاجر وبضاعته،
ولما ضاق من جفاء الشريف ايده الله صدري، وتقصد
لاعراضه عني فكري، واستتر عند مفارقتي اياه استتار

ذاه

ذكره . وزهد في زهاوفي بره . وقدمت هذه الاحرف اليه
ليتحقق ان الجميل خير من القبيح . وان المعلى اعلا من المنيح . وان
للجفاء مغبة وخيمة . وعاقبة ذميمة . وثمرة مرة . وطريقة وعرة
وانا من بعدُ كما يسرك ان شا الله تعالى **وله الى صديق له [illegible]**
كتابي اطال الله سيدي بقاه . بتاريخ يوم السبت غرة رمضان
لا زال متعرفا صنع الله في مستهل كل شهر ومستقبله . سنة بالى
اقصى امله . آمنا من الدهر ووجله . سالما من صروفه وغلله . وادعا
في امره وعمله . وانا سالم لولا شوق اليه يحرمني لذيذ المطعم والمشرب
ونزاع نحوه يصحبني حليف النصب والوصب . وتلهف على مفارقته
يردد في بين زفرة وعبرة . وانه مشغوف عنه بحسرة . ولله الحمد كفاء
احسانه . وصلواته على المصطفى محمد واهل بيته . ولقد جفاني سيدي
ادام الله عزه جفوة تطلع لظلمتها الكواكب . ويشيب منها الزمن الفتا
ويتحدث بها الراجل والراكب . ويعجز عن وصفها الخاطب والكاتب .
اذ قطع عني كتابه الذي كان يحل مني محل الوصال بعد البعاد .
وينزل من عيني مكان الرقاد من مذيب السهاد . ويسري في مسرى
الارواح في الاجساد . بعد ما تحقق انى بولائه اينما كنت قريبا
وبعيدا . واعده لي كيفما تصرفت عمادا او عميدا . وانعم به حيثما
اتجهت ركابي . واضرب فيه مضاربي . وادخره لي اصفا المناهل
والموارد . والصق احشائي ببرد ثراه . وان كان مخلوطا بسم الاساود
ولم يوهلني لرقعة مقام خلعة . ولم يوفني بكتاب اعاد الي سالف
الشباب . هذا وقد بلغه ما لحقني من مفارقته على حين صحبته قد
تركتني سليبا حريبا . واحوال وعرة تجعل المفارق شيبا . والقاني
الزمان بعده الى بلد تنفث الانداء على كل صبح جيوبها . وتسوق الرياح
الى كل عشية جنوبها . وتذرف بها السحائب دموعها السواكب . و
تضحك الرعد في اقطارها نوادب . تلك لعمري بلد طبرستان فلقد
دخلتها والشتاء ابتدا ببرده . والخريف خوفني عنه دقيق برده .
وهم يتنزهون بما يبدي شتاؤه . ويقيم على المقوين قيامته . ولم اخرج
عنها الا بعد ما ضاق ذرعي عن المقام بين اهلها . ونفر طبعي عن

المزود في حقنا وتسهيلها. وان كان وليت السادة الاشراف ادام الله
ايامهم ازلوني من عيونهم بين الاطباق. والبسوني من مكارم اخلاقهم
حللا مصونة عن الاخلاق. وتقارعوا على حضوري مجالسهم كل لو
سرورا وانزاحا. واجالوا على مذاق ونعاشر في اياهم قد احسنا.
فحين حصلت بهذه الناحية بعد ما طويت الشقة البعيدة.
وعاينت الاهوال الشديدة. وحسبت اني امنت صروف الدهر
ونوائبه. وتسنمت سنام الامن وغاربه. وحان ان احصل من الولاية
في مرقبة. ومن الجلالة في مرتبة. وان تنجلي عني كل داجية
وتنقبض مني كل عادية. انفتحت على ابواب من المحن وتعتني
في خطوب دامسة. وابا حتى لا ينتاب نا هنه. فتارة امتحنت
بمحاصرة الاكراد خذلهم الله. وتارة بقتال العساكر ابادهم الله
وكرة باختلاف العوام في امور المذاهب. واخذهم بالايدي
الغوالب. وحيرة اهل البلد من بين ظهرانيهم في سنين ناسد
سنوها. وغارة شعواء شنوها. ونار الحرب شبوها.
وفتنة صماء الهبوها. ومع هذه سقوط هيبة السلطان و
حشمته. وتحصنه من الفزع بقلعته. وعموم سائر الفتن التي
ما هدأت شقاشقها. ولا فترت صواعقها. ولا خمدت نيرانها.
ولا رقدت ذوبانها. ولا انهدت اركانها. ولا حصدت
اغصانها. وهلم جرا الى ضروب اخر من الاهوال التي لا اشرح منها
سطرا. ولم اذكر منها عشرا. ولولا بعد صنع الله الجميل. واحسانه
الجزيل. لذت من حضرة قاضي القضاة ابي الحسن عبد الجبار
بن احمد ادام الله تمكينه لي جبل لا يطمع الحوادث في ذروته. واعتصمت
منه بجبل لا طاقة للزمان بحل عروته. لاحترقت بنارها وانزفت
بين انيابها واظفارها. ولكن ابى الله الا ان يجريني قربا وبعدا على
العادة من احسانه. ويصونني غورا ونجدا من نقمته وخذلانه.
تطولا منه ورحمة. وارادة ان لا يسلبني في حال من الاحوال السعادة
ونعمة. فلله الحمد كما افضاله رواتعه. وحسبما يخصني به دائما من
دفاعه. واذا اجراني سيدي ادام الله فضله على المعهود من محبته

وتجدد

والمحمود من طريقته • في ايناسي كل وقت باخباره • ومهمات اوطاره
كان قد عثر طرف مجده • وابنا عن كرم عهده • ان شا الله تعالى

الى ابي الفرج احمد بن محمد القشيري يهنيه بالوزارة عند توجهه الى الحضر

كتابي اطال الله بقا مولاي الشيخ الجليل وادام دولته
من الري وقد اقبل الزمان يفتر عن ثغر الباسم • ويفوح عن شذا نشر
اللطايم • ويخبر بسعادة ارجوا الله ان يصل اولها باخراها • ويجعل له
اول ان يبلغه منها سدرة منتهاها • فلله الحمد الواجب • والشكر الدايم
على ما يجدده كل وقت من نجحه • ونظهره من مصلحة وصحة • ويوليه
حالا بعد حال من احسان عميم • ونعمة من جمال عميم • وصلواته على محمد
وعلى اهله بنيه الطاهرين • وكل نعمة تتوالى عند مولاي الشيخ الجليل
ادام الله ايام جلالها • ويفيض عليه شآبيب سجالها • ونبرك بفنايه
ركايبها • وتشرق على اوليائه كواكبها • وتسكن مغبوة وذراه • وتحلل
بعلاه فلا تعداه • وان كانت من النعم التي اذا انفتحت جدايد شكرا وحدد
بكرايم تفترعها ايدي الزمان • مصونة لم تدنسها عوارض الامتهان • مقرونة
بمراتب تنبئ طوال الاماني عن ذراها قصيرة • وتنقلب الاوهام دون
بلوغ مداها حسيرة • مشفوعة بعز فوق الثريا محط رحله • معقودة بظل
لا تعقد الحوادث على نقضه وحله • فانها في جنب ما يستحقه مولاي ادام الله
دولته محتقرة • وبالاضافة الى ما يستوجبه يسيرة مستصغرة • لان
الذي اشتهر شرقا وغربا من لطيف رايه • وحميد سعيه • وجميل عهده
وعقده • ويمن نقيبته وجده • ووفور فضله وعقله • وظاهر انصافه
وعدله • وتصرفه في مهمات الدولة بدراية لم يقرع بابها الشك • و
كفاية لم يهتك العجز حجابها • ومعرفة قد استجلى جناها • وشهامة لم يجنه
عقباها • وقدحه في المشكلات بزند وار غير خوار • واشتماله على
المكرمات بعرض صين عن كل عار عار • وترفعه حيث ما تصدر مجالسه
ومجالسه • ومراعاته بالنظر الصافي كل ما كان سايسه وحارسه • وجمعه
الى رياسة العرب سياسة العجم • ومع صرامة السيف جلالة القلم • تقتضي
الا لا نستكثر وان توالت لديه غادية ورايحه • ولا تستعظم المنح وان تقادمت
عليه سانحة وبارحة • ولا نهنيا هو اداوله جلالة بالا عمال • وان كانت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جليلة المواقع • والولايات وان صارت عظيمة المطالع والمواضع •
بل تُهنى الولاياتُ به اذا اصبح راعيها وواليها • وتحمد الايام فيه اذ قد
اعطت القوس باريها • وتغبط الممالك اذ شرفت بمكانِ مَنْ غدا في
ميدان الغناء والثناء سابقًا ومُبرّزًا • وامسى في ديوان الوزراء والبلغاء
بالنجابة والاصابة مميزا • واشتهرت باقبال حتى ان مس العود اورق
ذابلُه • وان لاحظ النجم طلع آفله • والقيت مقاليدها الى من يعتد
اليه خطب يمارسه • ولم يبق لذي الزمان كنوز نافسه • ولم ينغلق باب
الا فتح بلطافة النظر قبل اجالة الفكر • ولم يلتبس مشعب الا اتضح
بسعادة الاثر قبل مساعدة القدر • فانا اعدل عن طرق التهاني
السابقة • الى محاسن الدعوات الصادقة • وارغب الى الله جل اسمه
في ان يقرن ما تحرى امره بموفور العز والامن • ويؤمنه في واسطته طوارق
المحن • ويسعده بخاتمة سلامة النفس • ولا يخليه في خلال هذه
الاحوال من اقبال يزيده في عين مولاه • ويقربه بما يرضاه • ويعينه
على ما يتولاه • ويبلغه غاية ما يتمناه • ويعضده بنصر على عداه وذي
اقتدار • ويؤيده بتمكين فيما يجوز من ايراد واصدار • ويسعده بدولة
ذات اشراق واسفار • ويسبغ عليه ملابس الجلال • ويصون نعمه من
الزوال • ويحرسه من عين الكمال • ويمده من التوفيق بما يصلح به كل مراسة
ويؤلف كل قلب شارد • ويبتر كل عدو ومعاند • ويرقيه الى درجة
تخضع فيها ملوك الاقاليم لآثار رقمه • ويتخلقون بعز الدولة النبوية بتراب
قدمه • بحوله وطوله • ولما اتصلت البشارة بما جدده الله لمولاي الشيخ الجليل
من النعم • وأضافه اليه من السعادة الكبرى • وتحققت ان الزمان ارضاه
فاسمحت له قرونته • وذلت في يده صعوبته وحزونته • وملكه مقوده حتى
تحكم في نواصيه • واظلته اغصانه فلم تتقلص عن مجانيه • ووفى بما ضمنه له
ونذره • وخرج من عهدة ما خباه له وادخره • وتحققت اخبار سلامته
وانتظام امور حضرته • واستقرارها على حسب محبته • خففت اشتغالي
ونفضت اذيالي • وصممت عزمي • وتوركت حزمي • وهجرت كراي • وحملت
سيري بسراي • وصاحبت من العرب رفاقا يخرجون في السوق سباقا •
وانتجعت بجانب احبه ارقا وبراقا • ولازمت اكوار المسومة العراب •

وانخت

وانا بك اطوي المنازل طي السجل للكتاب • وما الناحد الا نشر فضايله التي تارج من نشرها التمايم والنجود • ويستريح الى روايحها المكروب والمجهود وتضيء من حسنها وجوه الليالي السود • وعن قريب بعون الله ومشيته ان لم تعقني في طريقي حرفة الادب • ولم يحرمني ما اومله حرص الطلب • احصل بحضرته التي هي قرارة ينصب اليها فضل الشرق والغرب • ولباب العجم والعرب • واعود الى خدمة من لا يبخس مجادلة حقها • ولا يوكس الرياسة حظها • ولا يخذل الفاضل الكافي في كفة الهزال والاختلال • ولا يزن الاديب البارع الا في كفة العدل والاعتدال • والى ان يمن الله علي فيرجني من مقاسات هذه الغربة وصعوبتها • ويسعدني بمشاهدة تلك الحضرة ومقاربتها • فاني متطلع لما يتوفق به من كتابه الذي اهزم به من خطوب الدهر • والبس بمكانه ملابس العز • واتقلده حرزا في طول الطريق • واستمد به من عند الله محاسن التوفيق • ان شاء الله وبه الثقة

جواب كتاب ابي القاسم الكرخي من دمشق وكان بغزنة

كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ ورئيسي وادام تمكينه من دمشق وانا مستظل بظل الدولة الزاهرة • ومتقلب من بركاتها في النعم الوافية الوافرة • ولله الحمد والمنة على ما انعم لي به من عز تحت الدولة الغراء • برغم ما طمع الاعداء • والنية منهم صافية عن شوايب الاقذاء • والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى عترته الطاهرين • ووصل كتاب مولاي الشيخ ادام الله سعادته جوابا عن كتابي النافذ كان اليه • فاهدى الى النفس فرحة موصولة بفرحة • واسكنها حدايق ذات بهجة • ونقع للصدر غليلا • وفوادا بالفراق عليلا • وتاملته فشاهدت الربيع مسطورا • والمنثور على القرطاس منثورا • وبدايع الوشي منقوشة • وغرايب الصور منقوشة • والروض قد اسفر عن الازهار المدبجة • والسحر وقد شبه بالحروف المعجمة • وتبينت اثار انامله تحسبها طرازا للوصايف على السوالف • او سود الخيلان في وجنات المردان • وطلايع الشعر وقد همت ان تدب في العوارض الصقيلة • وتسيل على الخدود الاسيلة • او اواخر الليل وقد قابلت الصباح • او بوادر العذار وقد قبلت الخدود الصباح • ضاحكة من اشكال متناسبة • وحروف متقاربة • واجناس متعادلة • واقسام متماثلة • وفصول مقدرة •

وسطور محبّرة فلم تتصور لناظري حتى سلبت خاطري ولم ترها
عيني حتى استشفت ذهني وتمكنت مني ولم تبرز منه معرضها حتى اصبحت
عن الاحزان معرضة ولم تفتر عن مبسمها حتى صارت لي الاماني معرضة
ثم تصفحت معانيها فاذا بالاداب كلها منظومة في عقد بعيدة على قرب قريبة
على بعد تحار العقول من سلاستها وعذوبتها وتذل للاذهان مع تبعد
صعوبتها وتطرب ثنائها عجابا واعجابا ويستفيد سامعها اعرابا
منها واغرابا وتتحاسد على بلوغها الاسماع والابصار وتزينها مع جزالتها
السهولة والاختصار لم تصدر الا عن فطنة وذكاء ولم تدل الا على رقة
وصفاء ولم تعرب الا عن قدرة وغزارة ولم تضعف بتصنع وقبيح
استعارة ولم تبد الا عن اعجاز في الصناعة من غير عجز وابداع في البراعة
من دون ضعف وقد تبعدت من التكلف وجلت عن التعسف تأخذ
بسهل وتتناول باعذب والفاظها معسولة ومقاطعها مقبولة فلو سكبت
لخلصت مشمولا ولو صورت لصارت غزلا وتجولا ولو جليت لاستشرفها
لعشقها المعنيين ولو وصف بها المولى لتقبل الايمان على الجحين ولو نثرت
في الارض لما اجدب منها بلد ولو قسمت في الناس لما لؤم منهم احد ولو
امتزجت بالماء لعذب منه الذعاق ولو وسم بها البدر لما بدا له المحاق

الزعاق كغراب الماء المر

ثم وقفت على اخبار سلامته واستقامة امور حضرته وسبوغ منائح الله
عنده ونعمته على ما اجلت قدر الموهبة فيه وسررت بسرور خالص
في الود ومصافيه وحمدت الله تعالى واخلصت رغبتي اليه في اطالة مدته
وادامة دولته وحراسة مهجته وتبليغه في المطالب اقصى امنيته
بمنه ورحمته فاما ما اظهره مولاي ادام الله حراسته من الوحشة وابداه
من النبوة لما افقدته من المعاتبة وجاوزت حد الانصاف في المخاطبة
الى المعاتبة عند انقطاع كتبه عني وتأخرها مني ما انسب الي من الغلو
في العتاب حتى حسبه عتبا والزامي اياه ما لم يبق في فيه خطأ ولا ذنبا
والبلوغ الى ضروب من التجني لم اقصد فيها طرق الاقتصاد ولم اقتصر
على غير المبالغة والاجتهاد ولم امسك عنها في البيان بفضل ولم اقض
منها في الكناية بنبل والانتهاء الى جملة لم يقتض شرط المروة ان انسبها
اليه ولم يجز حكم الفتوة ان اشهد بها عليه وما تفضل به من اجراء محا

منه

12

عن جنحة التقصير وكشفه من ظلام أسفر من الصباح المنير ونقاه
من الشبه التي كادت تزري الحق بابطاله واوضحه من براهين اعادت
حايل ايامي عاطله فقد عرفته وعلمت ان الحق معه في كل ما يظهره ويضمره
والصدق قد يعضده في جميع ما يورده ويصدره وان رغبتم في عمارة
طرق المكاتبة بيننا صادقة وهمه في تشييد بنائها عالية باسقة
ولكن مولاي ادام الله تاييده اذا حكم وافصل ونظر بعين انصافه
وعدله تحقق ان من يكتبه تاخر كتبه عن قلقا واكتئابا وتفضيه
الى حالة ترى فيها الخطا صوابا ويترنح لحتى يضل من طريق صادحه
ويظل يطلب الصبح بمصباحه ويتمكن الحزن من قلبه ويأخذ الا
بجامع لبه وتلوح اثار الاختلال على سطور كتابه ويخذله التمييز
في محاورته وخطابه وحتى يستعمل فيما يحتاج ان يتلطف في الغلظة
ولا يحسن ان يعاتب في لفظة كتاب بخطه تحقيق ان لا يهمل اخاه
ولا يكدر صفاوه ولا يطوي وده ولا ينسى عهده ولا ينكث حبله
ولا ينكر فضله بل يهتز لاستبقاء مودته وينشط ويفرط في الاشتمال
عليه ولا يفرط لان من يكون ضعيف اسباب المحبة والاخا قليل
التعلق باسباب الوفا والصفا سريع التنقل من رباع الود بليد
الخاطر في مراعاة العهد كثير التلون خفيف المثقال بسيط الهجر
بحيث الوصال لا يقلقه تغير بيان الاخوان ولا يزعجه تلون احوال
الزمان ولا يفكر في العقايد عامرة كانت او غامرة ولا يبالي بالمعا
وشفقة دامت او فارقة ولا يستصلح ان فسد من اسباب المودة
جانب ولا يستعطف ان اعرض عنه صاحب واما هذه طريقة
من غذي بلبان الجد ورغب في اكتساب الحمد وتثقف بثقاف
الادب وتحلى بكرم النسب ومولاي وربيبي ادام الله تمكينه
اولى من يقابل ما اوردته عليه مواجبه ويجري على حكم ما هو مخصوص
به من فضائله ومناقبه ويعفو عن زللي محاباة ويبقي على ما
اسلفه عندي مصافاة لا مداجاة ويعلم اني معترف بان منته
لي الزم من الاطواق للحمام ونعم عنده ابين من الوشوم في المعاصم
ويشرفني بكتبه التي ادغم بها الحسود واتجمل من اوامره فيها السعود

١ رقعة فى الوكيل [illegible]

٢ رقعة الى ابى الفتح [illegible]

٣ الى القاضى ابى الحسن [illegible]

٤ الى ابى الحسن [illegible]

٥ [illegible] القاضى

٦ الى ابى الفتح [illegible]

٧ [illegible] الصديق [illegible]

٨ [illegible]

٩ [illegible]

١٠ [illegible]

١١ جواب كتاب [illegible]

١٢ [illegible]

١٣ [illegible]

١٤ [illegible]

١٥ [illegible]

١٦ [illegible]

١٧ [illegible]

١٨ [illegible]

١٩ [illegible]

٢٠ [illegible]

٢١ الامير [illegible] ما كتبه [illegible]

٢٢ رسالة [illegible]

٢٣ [illegible]

٢٤ [illegible]

٢٥ [illegible] الى بعض اصدقائه

٢٦ رسالة [illegible]

٢٧ ما كتبه [illegible]

٢٨ الى بعض [illegible]

٢٩ الى بعض الصديق بالشام

٣٠ ما كتبه [illegible] الى بعض اصدقائه

٣١ [illegible]

٣٢ فى ذم اهل الزمان الى صديق فقده

٣٣ [illegible]

٣٤ [illegible]

٣٥ [illegible]

٣٦ [illegible]

٣٧ [illegible]

٣٨ [illegible]

٣٩ [illegible]

٤٠ [illegible]

٤١ [illegible]

٤٢ [illegible]

٤٣ [illegible]

٤٤ [illegible]

٤٥ [illegible]

٤٦ [illegible]

٤٧ [illegible]

٤٨ جواب كتاب الوزير [illegible]

٤٩ ما كتبه [illegible]

٥٠ الى الوزير فى التشكر والاعتذار

٥١ [illegible] وعتابه

٥٢ فى [illegible] الى بعض اصدقائه

الى حميه وسافر عن الموصل من دمشق ابتدا بها وصيره حم

كتابي ادام الله بقاء مولاي وسيدي وادام تمهيده وعلوه وتمكينه من دمشق
سالخ ذي الحجة من سلامة اجرى بها ذيلي فرط نشاط وفرح وسعادة اننا
بها من الدهر مقترح ونعمة انقلب من محاسنها في سرور وفرح وهذه
كلها تحت لواء الدولة الغراء الزاهرة وبركة ايامها المشرقة الناضرة
والحمد لله على جميل انعامه وافضاله والصلوة على سيدنا محمد وعلى الطاهرين
من آله وانا ادام الله تاييد مولاي وسيدي اذا عنت لي الفقر
جعلتها السيوف مضارب واذا لاحت لي الثغر رسلت سهامي لها
صوائب واذا امكنتني نهزتها اجرى من الاسد واذا اسم الجبال لم الف
تيه دون الامد واغوص على اللجج التي يغرق في ساحلها كل عائم وارتقى
في القلل التي يسقط دون سمتها كل حايم واغيب وعقلي نايب حاضر
وانام وعزمي شاهد ساهر وهذه طرايق كنت رايت نفس مولاي
وسيدي ادام الله سعادته بها مخصوصة فاختلستها منه وشاهدتها
مجموعة فسرقتها منه وما هذه باول غارة شنت على كريم وبضاعة
سلبت من حريم ولست باول من سرق الجمال اذا سرق غيري المال
ونهبت الفضل اذا نهب سواي الحلل وما على النهر عيب اذا استمد من البحر
الزاخر ولا على الساري عار اذا استضاء بالبدر الزاهر وهذه جنايات
انا بها مقر وعليها مصر واليها معاود ولا منها الا مراصد

فمن شاء فليعذر ومن شاء فليلم ❁ فليس على من يسرق الفضل معتب

وقد كان مولاي وسيدي ادام الله تاييده ايام مقامي بالحضرة الطاهرة
ادام الله جمالها الزمني ان اخدم الموقف الشريف برسالة غريبة تستبدع
معانيها وتستبين اثار البلاغة فيها لتكون وسيلة الوصول الى جميع
الاغراض فان اخطات فالى الاعراض بعد ما تحقق عنده حرص تاييد
العز ادام الله جلالته على ان يستخلصني بخدمته ويصطفيني بعالي
همته ويرتبطني لديه بلطايف من تدبيره دقيقة وعزايم في الاصابة
عريقة ويوصلني الى كل ما اقترحته عليه ويمكنني بكل ما يجد السبيل
اليه وارادني مولاي ادام الله علوه امتناعي عن ذلك وانقباضي عن
التظاهر بالصناعة وزهادتي في مكاشفة الجماعة وتبري من الادب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا رأيتها وقد كسدت سوقها. ولبست خروقها. وقل فيها المحصل المميز
وزل السابق والمبرز. وكراهية صديقه معالي بتلك الحضرة الرفيعة
حسدا. واستنفاره في الواجب لوما ونكدا. وتصريحه بالمعارضة البارزة.
وانطواؤه على الطوية الفاسدة. وتعلقه بحبال من الباطل ليقيم بها سوقا. ولم
يدر ان الباطل كان زهوقا. وتلطف مولاي ادام الله لطائفه في ازاحتي من
تجني فخلق لي ازرا مساغا. ومن نار في قلبي اجد في اطفائها بلاغا. واثقاله كاهلي
بصنائع ان خفيت دل عليها ظهور حقائقها. وعوارف ان استترت انبا عنها
ذرور شارقها. الى ان سهل الله جل ذكره بفضله حصولي بهذه الناحية وهجوم
الاقبال بي على اصدر طابت مغارسه. وبدر غربت مناحسه. وحرت بتتبعه
الاحرار باخلاق غير اخلاق. ويغني المفتقر بها باناله على الزمان بواق. ولله
مولانا الشيخ ابو الفرج ادام الله تاييده فاني منذ شاهدته صدرت باسمه
جوائد الكرام. واستوفيت منه ما كان لي على الايام. وصدقت اخبار البرامكة.
وتحققت عصمة الملائكة. وعرفت ان الزمان غير بخيل اذ سمح بمثله. والدنيا غير
دنية ما دامت فيها آثار فضله. وهذه شهادة تعدلني فيها الانام. وتسجل
بصدقها الحكام. لا ازال الله عنه نعمه فقد كنت فيها مشاركه ومساهمه. واسلبه
الجداول التي ملت عليه قلائده وتمائمه. ولا ابتلاه بمعاشرة لئيم يستر محاسن
ايامه. ويكون غرائب انعامه. وانا في كل ساعة بل في كل نفس منذ فارقت
مولاي ادام الله حراسته انصرف في بدائع شرفه مختارا. واقوم لبره مسارا و
اشتغل بذكره. واتشرف باظهار ما اوليته من بره. واعلل نفسي بالاجتماع
معه لتستوفي من السعادة اقسامها. وتطلع من المجادل مرامها. وارجو ان الله
يقربه ويعجله. وييسره على احوال سارة ويسهله. ولما جاء البشير بذكر
الفتح الجليل الذي اسفر صباحه. وظهرت على وجه الزمان غرره واوضاحه.
وذل لمولانا به مصاعبه. وحصل في حلقة الاسار مخالفه ومحاربه.
ورد الكتاب بشرح ما جرى في امره. وانتهت اليه عاقبة كفره وغدره. فتامل
الشيخ ادام الله دولته الفاظه ومعانيه. وتصفح قواعده ومبانيه. وانتقده
انتقاد من لا يغضي على زيف. ولا يميل الى جنف وحيف. ولا تاخذه
في الله لومة لائم. ولا يخفى عليه صنعة ناثر وناظم. فعنده مواضع من الالفاظ
لا يخفى مثلها على متكاتب وان كان غبيا. ولا يلتبس بعضها على ناسخ وان كا

شيئا. سوى هذه الدقائق التي اضرب عنها صفحا وعن تعليلها. واغض عن عيوبها كثيرها وقليلها. ووجده قاصرا دون المراد الذي اراده. والغرض الذي ارتاده. وان كان لم يبق في القوس منزع. ولا للذكا ربنا لا ينفد مع هذا وقد وافقه على صدق ما كشفه. وبرهان ما وصفه مشهد القاضي ابي محمد عبد الله بن محمد بن ابي الدنيس ابده الله من الكتاب كل من يحيل في الكتابة او فن قدح. واسترد جلية كل من لم يعرف فقط كتاب فتح. فلما كنت في باب مناظرة الجماعة. وناضلت عن منشيه حسبما يوجبه حكم الحال بيني وبينه في الصناعة. الزموني ان انشي كتابا اشرح فيه صورة الحال وشكواي الى ما ضاق علي معه رحب المجال. لا سيما وانا قد قطعت نفسي عن التصرف في الكتابة منذ دهر. واحجمتها عن ان تبعث بنظم او نثر. وتبعد عهدها برياضة صعبها. وتسببت استعمال حلوها وعذبها. وهذه صناعة تقتضي الادمان عليها. وصرف الهمة اليها. ولزوم الاشتغال. و كثرة الاستعمال. لينقاد للكاتب صعب الكلام وآبيه. ويستانس عنده نافره ووحشيه. وتتالف شوارده. وتنتظم قلائده. وتتبادر المعاني فتستخرج بدائع دررها. وتتزاحم الالفاظ فتنتقي غرائب غررها. وانا لا بحيث لا اكتب رقعة الا في شكاية دهر. ولا انظم بيتا الا في مداعبة حر. ولا ادفع قلما الا وبناني في نعي ونقش. ولا انشي حرفا الا وطبعي ينفر ويتوحش وجفوة الاخوان قد اصدأت قريحتي بعد صقالها. واستحالتهم عن العهد احالت فطنتي عن حال اعتدالها. ومع هذه الاسباب الصعبة فقد اكرهت نفسي على الانتقال عن طبعها. وكلفتها ما ليس في وسعها. واملت نتيجة ابنة يومها. وعقيلة قومها. ومنعتني العجلة من تهذيبها وتثقيفها. و القا سجعها وتضعيفها. وسلمتها الى مولاي الشيخ ادام الله نعمته حتى اصدرها الى الحضرة الجليلة درج كتابه. ووصفتها ببعض ما يوصف به بليغ ترسله وادابه. وجملة الامر وتفصيله فعلى مولاي وسيدي ادام الله له تمكينه الاعتماد بتاملها وتصحيح مواضعها. وتقليبها تقليب البائع سلعة بايعها. وذكر ما يشينها من عوار. ويشوبها من لفظ مستعار. وتسليمها الى مولاي قائد القواد ادام الله قدرته ليتم على عبده بعرضها على الموقف الشريف ادام الله شرفه. ويشفعها من عناية المصادقة بالجنبي تمرضها

[illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عاجلا ۔ واحلى بها آمالى عاطلا ۔ ويحقق ظنى فيما وعدنى به من اصطناع يُشير
فى الناس امثاله واغفاله ۔ ويكسبنى من بينهم عزا واجلالا ۔ وتغرى بى نكبته
التى بها اصول على حوادث الدهر فاقلسا ۔ وبمكانها ابسط عقد الآمال
فاجلّ ان شاء الله تعالى لبعض الادباء فى رقعة عليها
اليه بمصر محنة يا سيدى ادام الله عزك المحنة فى هذه البلدة
ملازمة الغريم ۔ والهمّ قائدتى الى لجة الهموم ۔ والصبر على مثل هذه
الحالة التى انا عليها صعب ۔ وخطاب من لا يفهم خطب ۔ وقد حضر فى اليوم
صديق طالت بينى وبينه ايام المالحة والممازحة ۔ واوقات المطايبة
والمداعبة ۔ واكرهنى على مصاحبته ۔ والزمنى المسير معه الى دعوته
وله فى الجزيرة بيت لعيون نخل ۔ وجيوب فتل ۔ وارجل مقيدة
واعناق مشددة ۔ اعمى بصير ۔ مستخرج بثير ۔ مدور طويل ۔ عزيز
ذليل ۔ صريع كسير ۔ شديد حسه ۔ يلجم الدار فيهرب من غرضه
ويرجع باكيا الى جرمه ۔ يشرب فلا يروى ۔ ويأزف فلا يعيى جلده
كتان ۔ وجسمه جنان ۔ وسفله ميدان ۔ واعلاه ميزان ۔ وقتاله
عجب ۔ وكلامه صخب ۔ وحواشيه دقيقة ۔ ونواحيه وثيقة ۔ يُرى
ما فى باطنه من ظاهره ۔ ويُدرى بمنظره جميع ما فى حيازته ۔ فهو ردأ او
ورَدى ۔ ومنية ومنى ۔ وشريك سعى ۔ وخاين امين ۔ فان اهتززت
للتنزه ۔ ونشطت للتفرج ۔ لقيت منه خيرا كثيرا ۔ وان تكاسلت لم
تنل من ثمرته الا يسيرا ۔ عرفتك لتقف عليه والسلام لحاجب
بعض الرؤساء فى ظلم الزمن له كتابى اطال الله بقاء سيدى
عن مدينة السلام وخاطرى بها منقسم ۔ وقلبى من خطوب الدهر منثلم
وجدّى اذا هم بالانتباه ادركه وسن ۔ وامرى اذا شارف الاستقامة
نفاه ورده محن ۔ ولله الحمد على كل ما يسوء ويسر ۔ وينفع ويضر ۔ والصلوة
سيدنا محمد وعترته الطاهرين ۔ والانسان ادام الله عزك اذا ترك
الحزم فى الامور ثم نكب فهو غير معذور ۔ وانا عرفت اختلاف اهل هذا
الزمن وغدرهم ۔ ولؤمهم ومكرهم ۔ ثم وثقت بهم فقد عرضت نفسى التلف
العاجل ۔ وبان الحق بالباطل ۔ واشتبه الماء على الآل ۔ وتعلق بالهبار
بل بالهواء ۔ وانا الآن اعجب من الغدر ۔ وقد تركت الحذر ۔ ولا اشكو

وفى نسخة شديد الصوت

القضاء، وقد تصديت للبلاء، ومن حماقة المرء أن يقدم على شرب
السم وهو يعرف غائلته، ويرعى في جوار الاسد وهو يعلم عاديته،
ويحاول مس الكواكب وهو مقعد، ويطلب ارض الغور وهو منجد
ويطلب المحال فاذا لم يجده وجد عليه، ويرقى المقعد ثم يتغاظ اذ لم
يصل اليه، ولعمري لقد رأيت في ابتياع ذلك العبد المخذول رأيا لم
يقترن به سداد، واعملت فكرا لم يقترن به رشاد، وقد رمت معه تقديرا
حرمت معه سعادة التوفيق، وظننت به ظنا ظللت به دونه
عن سواء الطريق، لاني رأيته في محيل وهو في ثوبي ادبار واعسار
وبين نابي خذلان وحرمان، وصاحبه يهينه ويذله، ويستخدمه في كل
دنية ويستغله، فرثيت له ورحمته، ورفقت بحاله فاستخدمته، اذ رأيت
من نفسه حسن طاعة وشفقة، واظهر في التهالك في خدمتي ما وثقت
به اتم ثقة، وقلت في نفسي اكتسب في ابتياع هذا الغلام اجرا وثوابا
واجتلب في اصطناعه ذخرا واحتسابا، ولم ادر ان الزمان يدني
التراب منه سرابا، ويفتح علي من الحين بسببه ابوابا، والدواء ربما
يذوي فارسه، والرجاء ربما يعيي صاحبه، والقصد يخطئ البعض ويخطئ نفحي

فلا تعذل الدهر في غدره ... باحراره فعليه طبع
ترى في ذراه غنى المجتدي ... وعز الذليل وامن الفزع

ثم لما عرف اعتمادي عليه، واستنادي في اكثر اسبابي اليه، ترصد لغيبتي
عن الدار، واستعد للاستتار والفرار، وصار عينا علي يمشي وبينا
بين الاقبال والتنحي، ينظر خطوا او غلطا، ويضمر في هلاكي حتفا،
ويبدي دنو امانته وصيانته، وينطوي على غل وخيانته، فلما تمكن من
أمره، وانفذ في ابواب سحره، ركب حصانا لي كان قيد الاوابد،
وكنا نعده عدة ليوم الشدائد، لو جارى الريح لتركها معقولة بعقال،
ولو حملته الجبال لما احس بنيانا او كلاكل، يعجب فارسه عند ركضه،
ويهد الارض بارضيه، وجمع جميع ما جمعته على الايام الماضية، والاموال المخبأة
ترعى في ورق وثياب وطرف، وغاص بها غوصة لم اسمع فيها خبره الا
بعد شهر من البيوت، والثاني طرحها في غالب الحتوف ابنا بها، تلاذ ذا بين دور
العراق وكنا بها نختل الحال، ذاهب المال، وترجع صوله سالما الى ابطالي

يذوي اي يجف

بارضيه [illegible]

[illegible]

شقائي

يتقابان ويثب على عنق الاوتار • ويركن في بلدة الغزة انقلب على احر من النار • وقد كاتبت مولاي الاستاذ الرئيس ادام الله تمكينه في هذا الباب بشرح الحال • وعرفته اماكن ذلك الآبق المحتال • وتشفعت بكرمه ليجريني على ما عوّدنيه سالفًا وآنفًا من اوكان نعمه • ويامر بطلبه والقبض عليه • ولو تعلق من دون سا تلك الديار بادنى عصم • وتحرم باوكد ذمم • وصعد الى السماء بسلم • وتحث يا سيدي ادام الله عزك بعد ايصال كتابي اليك في اقتفاء اثر الغلام حيث ما سمعت له خبرا ووجدت له اثرا • وتبالغ في الاستيثاق منه والتنكيل به • واسترجاع ما لي من عنده • والاحتياط في هذا الامر لئلا يحس بالشر فيهرب وينجو او يقف على القصة فيغيب ويستتر • وتطالعني بما يكون منك في هذا الامر فاني اراعيه • واعد الانفاس عليه ان شاء الله وبه الثقة •

من الجزيرة الى وزير قرواش وهو بالموصل وفيه امرها

كتابي اطال الله بقاء مولاي وسيدي من الجزيرة صبيحة يوم الخميس والدهر يريني كل يوم عجبا • ويسقيني من صنوف صروفه كربا ونوبا • كلما اطلق لي عنانا • زاد حيرانا • وكلما اظهر من نفسي لاستسلاما واتيا اضمر في عتوا وعنادا • وانا نعيد له على جميع احواله جُنة من الصبر لا تنفذ فيها صوائب سهامه ونباله • وحامدًا لله على ما افاضه علي حالا بعد حال من بدائع انعامه وافضاله • ومصليا على سيدنا محمد وعلى الاخيار من آله ويعز علي ان ازيد في اشتغال مولاي الاستاذ ادام الله تمكينه وان كنت عالما بانه يغتنم السعي فيما يؤدي الى المصالح • ويفتح ابواب المناجح • لا سيما اذا عرف انه بقليل سعيه يكسب كثير الشكر والحمد • ويبادر في عنايته يحوز افقي الجلال والمجد • والله يبقيه سندا لكل منكوب ومكروب • وسيدا ينال منه كل مأمول ومطلوب • ولا يخلي الاحرار من جميل محمدة وطاهر اصله وعنصره بلطفه ورحمته • ولست ارتاب بوقوف مولاي الاستاذ ادام الله تاييده على حقيقة ما انتهت اليه حالي هذه المدة من الاختلال والانحلال • والانكسار والانتهاب • ووقوفه من معاودة ابي طاهر النجمي صاحب القلعة ومكاشفته • وابتداري التخفيف في مكاتبته وملاطفته بما علمته ان له من نفسه رقيبا ومانعا • ومن كرمه باعثا

وشانئها. وانه من همته العالية على حالة يرى كنز قارون بالاضافة اليها
يسيرا. ويعد تاج كسرى في جنبها حقيرا. فكيف يجوز ان يرغب في رزق
يكتسب به ذمّا واوزاما. ويحتقب بالطمع فيه اثاما. وتحققت انه
ربما يتعذر عليه في مثل هذا الوقت منازعة بني عبد الله بن جلبو الشنيع
الاحدوثة والذكر. ونشر والعظيم الاثم والوزر. وصرفوا قلوب الناس
عن مشايعته ومتابعته. والزموهم لبس اسمال الزهادة في طاعته.
واعرضت عن ابرامه واملاله. والالحاف في سؤاله. وقبلت في كل ما عجل
عذره. ومحوت من صحيفة الشكاية ذكره. وقد ورد علي في هذين
اليومين كتابه مشتملا على فضل له وسيع. وكرم بديع. ودالا على ما
جدده من العناية في بابي من عنايته وقيامه. وجدده من سعيه
واهتمامه. حتى جمع بعض دخل عنده. وبذل في تخليصه من افواه التباع
وسعه وجهده. ولم يبق لي من حسن الضمان. وبذل الاحسان شيئا
الا بلغ غايته. وجاوز نهايته. لا جرم انه اصطنع من يشكره شرقا وغربا.
ويحمده بعدا وقربا. وينشر فضائله في كل محفل. ويخطب بمحامده على
كل منبر. فاما الدنانير التي عند الكردي فقد بلغه ما جرى فيها وبلغني ان
ذلك الرئيس ايده الله ترفع من التلطخ بشيء منها. واعرض بجانبه عنها لما
عرف ان وراءها بالاسحار صوائب. وامامها الفاتكة عقارب. ولولا كفالة
مولاي الاستاذ ادام الله تمكينه بولديه اللذين كانا عندي واخراجهما تاما
وكفالتهم من يدي لكانت الدنانير الى هذه الغاية الي واصلة. وفي كفي وكيسي
حاصلة. والله المستعان. وانا منتظر جائزة منه لا تخل عليه وامني البذل منا

الى بعض الجند قادم من طرابلس وهو علي بن احمد

كتابي اطال الله بقاء مولاي القائد وادام سعادته من طرابلس وقد وصلت
اليها فخلفت خلفي كل اذى. وامنت من كل فزع ومخافة. وانا في سلامة لولا
بعدي من حضرته. وعافية لولا شوقي الى طلعته. والحمد لله كثيرا. فقد تذكرما
قاسيته في هذه المسافة الطويلة من الاهوال. ولاقيته من العراق الى هذه
الناحية من المصاعب والاوجال. وبعدما القت ايامنا بالرقة حتى كادت نفسي
تذهب جبارا. والدهر لا يبقي لي شعارا ولا دثارا. ومني فارقتها وقد اشفيت
على الغرق. واقلت من تلك الداهية بادنى رمق. وتخلصت من مجاورة العر

[illegible]

جُبار كغراب الهدر
اشفيت اشرفت

٧٠

بل الجلاد به ومباشرة اولئك الاعادي بل العوادي واكرهت
المقام بها لما عرفت ان الاسباب بتلك الديار قد انتقضت
قواها وانفصمت عراها وتساقط بنيانها وتداعت
اركانها وقلت في نفسي ان لبثت بها لم آمن حدوث خرق يتعذر
تداركه ولا ينفرج طول الدهر متشاكله ومتشابكه والمرء اذا اراد
الله عز وجل اذا اعجب بتدبيره ولم يتفكر في صغير الامر ولا
كبيره فترك ابواب تيقظه وحزمه ولم يبال بعدوه وخصمه
ولم يتثبت فيما يعلم من حنكة الامور وتجربته وادبته الايام
وهذبته واستبد برايه وهو فائل واستند الى عقله و[illegible]
وعول على جده وهو عارض زائل ووثق بنقده وهو عن العيار
نازل اشرف على وخيم العواقب ولاقى ما لاقى بسار الكواكب ونعوذ
بالله مع ركود ريح الاقبال وركوب مطية الكبر في الاعمال والاغترار
بمساعدة الوقت ومعاضدة البخت والاقدام على ما لم تؤمن عواقبه
والتقلب فيما يتخفى جانبه وطلب الارتفاع في المراتب الكبيرة
بالباع القصير والنفس الحقيرة واحمده جل ذكره على ما كشفه
من الغياهب والمعاطب ويسره من المطالب واوضحه من المذاهب
وسهله من الشقة الصعبة حتى وطئت ارض العافية ووصلت الى
امن هذه الناحية وتنسمت روائح السعادة والاقبال بقربي من
حضرته ومصافاتي الجوار بحريم خدمته كما كنت دائما اقترحه
على الزمان واتمناه واوثره واهواه ودنوت ممن تشملني بركة
عنايته [illegible] ويحفني نمو رعايته باطنا وظاهرا ومن كان يجرد
لمصالحي في القرب والبعد ويتعقب تعصب من يرغب في كمال الشكر
والحمد ولولا تعذر ريح بورياس كما طالت بردي في ركوب البحر صاعدا الى
الشرف بطلعته التي طالما كنت مشتاقا الى مشاهدتها متلهفا على تباعد
وانا بعد الاوقات بل الاتفاق على هبوبها ثم انتهز الفرصة في المبادرة
اليه والتطفل عليه حسبما يوجبه حكم اعتدادي بمكانه وافتخاري بزمانه
واعتدادي بكرم شمائله واعتمادي على بديع فضائله وقدمت هذه
الاحرف معرفا اياه بالمستقر عليه عزمي ليسكن اليه ويلهمني باخباره لطفا

[illegible]

الله واستقامة امورة انتهاءه لا استريح اليها واشكر الله عليها ان شاء الله

الى ابي الفرج احمد بن محمد العنبري عن حضرة حمص

كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ وادام علوه ورفعته وحرس ايامه ودولته
والزمان قد جنح الى سلمي واستحلم بعد ما كان حنقي وصارت
اسباب الاقبال علي متقبلة وطوارق المحن مرفضة وابواب المسرة
دوني منسدة والواب النعم علي مستجدة والله احمد حسبما يسعدني
بمن عاقبة حميدة ويقربه لي من مطالب بعيدة وصلواته على
سيدنا محمد وعلى الابرار من ذريته وكنت كاتبت الشيخ ادام الله تمكينه قبل
هذا مع الركابي الراجع الى الحضرة بذكر ما كنت منتهيا به ومتحيرا فيه من عذاب التي بحش
انذال ومجاملة قوم عن الفضل اغفال وصرحت باسمائهم في كتابي النافذ
اليه لتلك اكثر اذاي بهم وبلائي وما حظي ايامهم بين الاندرا في جميع
حالاتي واظهارهم وفاقي بين اركان الدولة ورؤساء البلد واستشعارهم
خلافي لما جبلوا عليه من الشوم والنكد واسرارهم في كوامن الغيظ والحسد
واضمارهم في من الشر ما يخفى من اعين الرصد واغرائهم علي بالوقوع في والتجني
علي بعيبا بينا كلهم في اكثر صفاته بل اينا الا يعرف قطاته من لطانة و
ومغاظرتهم على ان يبعد وامره ويشبه وادكره ويرفعونه وهو من حقه
في غرض منتهي ويقربونني والقلب يانف ان يتقاد مسرفي قرن ولكن
ازل الوصل بلطائف من التدبير اليهم واعمي الطرق التي يرتدونها عليهم
واغالطهم اتشكر من نارهم واحالهم لا استبط ما في ضمائرهم واتغابى حتى
كاني نائم غافل وانما بالحق حسبوا اني باقل الى ان ضعفوا وفتروا
ونكلوا وضجروا ورقدوا وقد نبهت عليهم البلاء وتعبدوا وقد مشيت
لهم الضراء وشبعوا فصرعتهم التخمة ودعوا وشرابهم عاد الحجة وانا الا
اصبح الا واجبارهم في الموقف الشريف مصورة ولا امسي الا ومكايدهم
عند امير المؤمنين مقررة فلم يرعهم الا والامر العالي خرج باشد عنافي
الى البساط الشاهي وارتقائي فيه الى مراتب لا يجد الوهم نوعها مجالا
وتشريفي من الخلع بالو البسنت الزمان لسارت تحرسه اقبالا فعظم
حينئذ حسرة الحجل والكدتهم قلة الحيل وعضوا من الغيظ انا ملهم
واستقصروا من الطمعان عواملهم وايسلوا من يتصدى لجنوده

[illegible]

شبكة الألوكة
www.alukah.net

17

الاوشال والاواجن . وخذلوا ومن يرد السيل على ادراجه . وعلموا اني
اصبر على السيف . وآبى من الحيف . وارضى بالمنية . فرقا من الدنية .
واني اذا امتحنت لست من رجالهم . واذا وزنت كبرت عن مثقالهم
واذا لوينت فانا الزلال السلسل . واذا خوشنت فالعذاب المنزل .
واذا استقضيت فصارم لا تنبو مضاربه . واذا اعتمدت فجبل لا تزاحم
مناكبه ومراقبه . واذا جربت فالعود الذي يجتنيه الحلب . واذا استقيت
فالجذيل المحكك والعذيق المرجب . ثم لحقوا في ملاطفتي مرة
ومواصلتي اخرى . وكل واحد منهم يظهر على ما سبق منه ندما . ويثبت على
التقدم في مواصلتي قدما . وكتابي هذا وقد قضيت من الحضرة الطاهرة
اوطاري . وانجزت اموري منها على حسب اختياري . وظهر على حاله رغم
الاعداء اثر استظهاري . وانتهيت في كل ما رجوته وجربت فيه الى
مقداري . واقصيت عن قلبي دواعي الفكر . واصلحت ما احتجت اليه
من اهبة السفر . والى اسبوع آخر ان شاء الله في الاجل . وسد دوني
طرق العوائق والعلل . خرجت الى تنيس ومنها الى الفرما . ثم اعتمد التوكل على
الله مع دليلي وخفيري . واجتهد في مسيري . واوغل في طي المراحل حتى ارد
الى من هو للسعد مطلع . وللفضل مجمع . وللرائد منجع . وللوارد مشرع .
وللكرم موضع . وللمجد مربع . واصل الى من اكشف عن قلبي بالنظر اليه لواعج
الحزن . والقى من كان علي بالاجتماع معه فوادح الزمن . واظفر بمن قد امنت
اظفار الدهر عن مواصلته . واحظى بمقتبل من حل عقال منأى مواصلته
ومناضلته . واتطلع الى ان يتفق الالتقاء . فما يجبرني برأه دام الله بشراه
اخباره التي هي للنفس راحة . وللقلب سلوة . وادامه التي اغتنم النفس
فيها . والتشرف بها متطولا ان شاء الله

جواب كتاب من بعض اصدقائه وقد شكا اليه قلة تسمعه عليه في بغداد

ورد كتاب مولاي وسيدي اطال الله بقاه . وادام سعادته فضممته
الى صدري . واعددته امانا من خطوب دهري . وعلقته بين جيدي
ونحري . وجعلته قلادة اتجمل بها طول عمري . واذا اردت ان انظر
مسندته بيدي . واذا اشتهيت ان اسكر احضرته بخلدي . واذا تنبهت
الى الطرب تاملت سطوره . واذا شئت ان اختم الحوالي قرات منظومه .

[illegible]

[illegible]

وقد نظم بعضهم محاسن الكتابة فقال

ربع الكتابة في سواد مدادها   والربع منه سياسة الكُتّاب
والربع في قلم تسوى بريه   وعلى الكواغد رابع الاسباب

ومشوره • وكلما فكرت في سالف احسانه • لكرت لموضع عنوانه • وكلما ذكرت
بدايع فواضله • قبلت مواضع أنامله • وكلما اعدت قراءته تواجدت على
كل لفظة تواجد الصوفية على حكايات مشايخهم المتقدمة • وطربت لكل
حرف منه تطرب الشيعة لذكر فضائل الائمة • فانا ابدا بين روضة
وغدير • وليلة وسمير • وبستان يجمع غرايب الالوان والازهار • وجنان
تشتمل على نزه الابصار • وعقود ازري بها لبات الخرايد • وسعود
اطالها رقاب القلايد • وادرك بينها جميع الاغراض والمقاصد • وكيف
لا يكون داعيا الى كل انس • وجامعا بيني وبين كل حسن • ومشيدا
مواد التجدد من مكاتبته • وجامعا بين مساعد الدهر وتباينه • ومؤلفا
شوارد الفرح • ومبشرا بيمن الايام بالمنح • وقد تحققت من انباء سلامته
وعافيته • وانتظام اسباب حضرته • ما تتفسح لسماعه مسامع الكرم
وتنشرح له صدور الامم • ويستبشر لمعرفته كل من يعشق الفضل واهله •
ويفتخر بمجالسة كل من يخطر برفع المجد رداه • لا زال من السلامة في اسبغ
لباس واصفاه • ومن العافية في اوفر حظ واوفاه • ومن الاقبال في
احسن خلعته • ومن الجلال في اعذب شرعته • ولا فارقت الاستقامة
على حضرته • ولا باينت الجمال شريف سدته • فاما ما اجراه سيدي
ومولاي ادام الله تمكينه من ذكر الفلان وتغايره عن جملته التي كنت شاهد
عليها سادته واستقامة وسدادا ورشادا • وسكونا • وسكوتا •
وتحفظا وتيقظا • وتغيره بين انشده وغواه • والاشارة الى من
اضله عن رشده ونهاه • حتى ضيع خدمته • وفارق نعمته • وانحط عن
درجة الاولاد • الى طبقة الانكاد • ومن مرتبة الاقارب • الى منزلة
الاجانب • ومن دعاه ادباره الى ان جلا عن مسكنه • واخل باهله
ووطنه • واختار ذل الغربة على عز المقام في داره • وآثر مشقة التنغص
على راحة الانس بجواره • وما ابلغ القول فيه • واسبغ الخطاب في معناه
فقد علمته وتحققت شغل قلبه ماذاه الله سرورا بما شرحه • وتوزع خاطره
لما وضعه واوضحه • ولو وقف ذلك الغر الاحمق الصواب • ولم تغره غرة
الشباب • ويفزت من يحب ان يصطنعه ويسبل عليه ستره • ويعين من
يطلب تحكمه وقهره • لكان الزم لحضرته من شعر مفرقه • والصق

بجلده

[illegible]

يجد منه من حبل عاتقه ولما اختار الجنة على مفارقة داره ولما
تدنس بعد حنثه وطهارة ازاره ولكن الهوى ربما يعشي البصائر
والزمان كثيرا ما يغير الخواطر والضماير والنزاع والجدة يكسبان
المرء الشغل والقلق والبطر والامن يورثان كم الجوع والخوف وجملة
الامر وتفصيله ما وجدنا لاكثرهم من عهد فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ولعن الله من كفر النعم واخفر الذمم
ونسي محاسن الصنايع وباع مولاه بجسيم من المطامع ومولاي
وسيدي ادام الله تاييده يعلم اني انفقت في تربيته وتربية
امثاله العمر وبذلت الوفر وصنفت الاقوال الجمة وركبت الاهوال
الصعبة وعرفت من اخلاقهم ما لو صنفت فيه اكثر مما صنفه
الجاحظ طول عمره وذكرت منه ما تعجز عنه السنة الخطباء والشعراء
وصفه وذكره واحفيت الاقلام وجعلت كلما ضرب في العرب من
الامثال السواير وكلما حكي في العجم من الطرف والنوادر قلادة انظم
فيها مخازيهم ومقابحهم ومساويهم وفضايحهم لكنت في بلوغ ما
يستحقونه مقصرا قاصرا ودون جزء ما يستوجبونه حسيرا حاسرا
فالاولى بالعاقل ان لا يشتغل بواحد منهم بمرة ولا يكدر بتربيتهم
عيشه وعمره ويسلمهم الى الدهر فهو اقدر على الانتقام منهم ويستعدي
الزمان عليهم فهو اقوى على الانتصار عنه وانا الان ظفرت به وتمكنت
من خطابه عن كتمه غربته الاديم وبشرته بالعذاب الاليم وبلغت
من خطابه وملاميه ما يتجرع منه الموت عند استماعه وابلغته في
استشفاع ما اقدم عليه واستفظاعه واطالع حضرته حرسها الله تعالى
بما يكون منه ان شاء الله

الى بعض اصدقائه بمصر

انا من الاجتماع مع مولاي اطال الله بقاءه وادام سلامته في ايام
الفترة وعن الالتقاء به في ساعة العشرة وان كان قلبي دايما ابدا
لا يفارق حضرته وهمي لا تزايل خدمته ونفسي تشتاق الى
مشاهدة حضرته اشتياق الكريم الى بذل نواله وتفرح بالوصول
اليها فرح المهجور بوصاله وكاننا افترقنا لم نجتمع ابدا ولم تجمع
باجابتنا الاقدار بل كان الدهر آثر ان يكون بعده متفرقا واراد ان

يكون هو مغريا اذا كنت مشرقا ، والزمان عندي اساآت وهذه الاساءة شرها
وامرها ، والدهر لدي جنايات وهذه الجناية انكرها واكبرها ، ولولا سوء
اتفاقات المقدار ، وشوم محنة الاحرار ، ما كنت ارضى ان القاه مرة في كل شهر
وما كان اللقائي بخلسة ، ولا اقنعت نفسي باجتماعها معه مثل نقرة طاير ،
ولمحة باصر ، وزماني هذا زمان يبترم فيه الوالد بولده النجيب ، ويسأم
فيه المحب دوام زورة الحبيب ، فكيف تكون حالي وانا اتقد بين الاخوان
غريب الوجه واليد واللسان ، وليس على الله بعزيز ان يسهل لي وقتا
اتمكن فيه من النظر الى لقائه ، واتمتع بما اقترحه على الزمان من دوام
بقائه ، ان الفضل بيده ، والخير من عنده ان شاء الله

الى صاحب الديوان في العتاب والاقتضاء وهو يحيى بن بشر

سيدي الشيخ ادام الله عزه لا ينحو من المقاصد الا اسناها واحمدها ، ولا يزجر
من السوانح الا ايمنها واسعدها ، ولا يسلك من المناهج الا اوضحها اعلاما
ولا يركب من المدارج الا افسحها بساطا ، لا جرم انه ايمنا توجه لم يضل عن
الجادة ، واي شيء دبره لم يحتج الى الاعادة ، وحيث ما حل لم يخل من السعادة
وكيفما تصرف نال من تصرفاته اقصى الارادة ، لا فارق مخصب شتاء
ولا جانب الغيث جنابه ، ولا سلبه الاقبال جلبابه ، ولا اغلق دونه
ابوابه ، ثم هذا الجاري الذي اجري على مجرى الصدقات على الغرباء والمساكين
والضعفاء ، ليس من جهة رغبة سالفة ، ولا ثوابا لخدمة مرضية آنفة ،
بل غرض المنعم اسبغ الله عليه النعم ، واحدث بدوام عزه وجلاله الامم ،
صيانة وجهي عن السؤال والابتذال ، ورعاية جاهي من الاختلال والانتقال
والقائي في زاوية ربما اجرد منها يوما من الدهر تجريد السيف من قرابه ،
واثب منها وثبة الاسد من غابه ، وفي اثناء هذه الاحوال لعل الزمان
يعثر بجده فينتبه من رقاده ، او يحنو علي فيمكنني من اغلاله واصفاده ، واذا
كانت هذه صورة الحال في الحال ان اكون طفيليا ومقترحا ما اصبت
في الامر منقصا ، ولو رأى برداء الالحاح متشحا ما وجدتني في السكوت متشددا ،
الا ان ههنا خصلة لا يجوز ان اهمله ، ومعنى لا يحسن ان اطويه واغفله ،
كيف يكون لجاه مصونا او حرمة مولاي الوزير ادام الله عزه لا محالة قد
ضيع من كثرة الاقتضاء ، فهو يدعي على هذه الدولة بالاقتضاء ، ويبرم

الحاشية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالكتابة الا ذم لديوانه فهو يتوسل الى الله بتقدمته ويقول يرحم الله عبدا قال
آمينا وانا ذلك العبد اذ ثمن فلعل الله يسمع الدعآ ويجيب النداء اذ هو ولي
الاجابة ثم انا اعلم علما يقينا انه يتقدم ما لي على ما له من المال ويوثرني على
نفسه صابرا على الاثقال واتحقق انه لو قدر على ان يحمل هذه الجاري كله
في يوم واحد لما اخره عني رغبة في اجتلاب جميل الذكر وحرصا على ان تكون
معاهد هذه المودة بيننا معموره ومحاسنها منشورة والنيات صافية
والمسرات متوافية ومراعاة ايام الصحبة حتى لا تكون هاوية مبانيها ولا
تقوى معانيها وانا بعلم الله واثق بحسن نيته واعتقاده وارتقائه من
التفضل الى ذرى اطواده وعالم بانه لولا الاحوال الضيقة والضرورات
المتفقة لما احوجني ابدا الى كاتب ولما تركني اعول في ديوانه على نايب
واذا اقمت انا بعذره وعرفت مكنون صدره سقط العتاب وانكشف
الحجاب ومع هذه الصورة المذكورة فغرضي الذي اقصده نصوله بتولي
تدبير امري بنفسه اذ لم يبق من السنة الا اليسير ومن عمر الحال ان بقاه
الا الكثير واختيارات غير مستصعبة لنا في المجاري في هذه الشهور
المستقبلة فعسى ان يجدد في استقبال السنة الجديدة ان اخرتني
المنية وادركتني من عند الله رحمته الواسعة الرضية وانما اشتكي من
هذه الاحوال التي اقاسيها المراره لحيته صنع جديد يغنيني عن المسائل
والوسائل واركض في ذيل من السعد ذائل وما ذلك على الله بعزيز

الى بعض الملقبين بالامارة والمتحلين بالكتابة والوزارة يتضمن معاتبته واستعتابه وهو مسعود بن طاهر

عتاب الامير كل يوم يزيد في الصدر ضيقا ولا في كل وقت يسد على
الصبر طريقا واستحيا منه مني وهو كان سببا لا يحاش غريب وغضبه
من تخشي وهو الجاني الى الاخفاق عجيب واعجب منه انه يجرحني وهو يتلو
ويتألم ويتظلم من سوء جوانبي والبادي اظلم ومن آثر ان يكون مقدما
معظما وجب ان يكون مهذبا متقوما ومن احب ان يكون مجلسه صدرا
لزم ان يكون من الافعال الدنية متطهرا ومن رشح نفسه للعهود
الجليلة صبر على الاعباء الثقيلة ومن طمع في الاسباب العظيمة طالب
نفسه باستعمال الاخلاق الكريمة ودون المكارم مكاره لا يتلقاها الا القوي

البازل • وقلل المعالي عوال لا يغشاها الا البطل الباسل • ومع المغانم
مغاور لا يقتحمها الا الاكارم الافاضل • وانما قنن الشامخ مذاهب لا
لا تسلك الا بجهد التعب المجهود • وقلل الشرف الباذخ مراتب لا تنال
الا بمساورة الساور والاسود • وبابي المجد يكون عليه ان يتجرع كؤوس
الردى علقا وتبلا • وجاني الشهد لا يبالي بان يلقى دون اشتياره نحلا •
فاما الذي يشتهي الرياسة وهو غافل عن اوزارها • ويتمنى الخلافة وهو يكتب
في مضمارها • ويحب السيادة وهو عار عن اثارها • ويريد الوزارة
وهو غير صابر على حر نارها • فبعيد عليه طريق منالها • ومستصعب
جدا الارتقاء في ذرى جبالها • الا ان يغلط الفلك في الندرة مرة
ويجور في دورانه • ويميل اليه تارة كيادا لاهل زمانه • او يحدث عن
اتفاق الايام عجائب لا تخطر نظيرها بالخواطر • ولا يعد مثلها الا في
الغرائب والنوادر • فتعيده محاسنها زمانا ثم تسترد ما اعارته • وتبرم
امره حينا من الدهر ثم تنقض ما ابرمته • وليست هذه قضية من ينال
الحظوظ بالاستحقاق • ويستحق كل رتبة رفيعة دونه ولو طبق كل السبع
الطباق • الا ترى ان الدنيا وان سلبته متاعها فكفايته مصونة غير
مسلوبة • ودرايته غالبة غير مغلوبة • وان خير في ان يبيع جزا من
فضائله بانفس الاعلاق • او يبدل منها الا من لديه بالف قنطار من
العين والاوراق • لاختار الفقر على الغناء والثروة • ولآثر العدم على
على الحظ والحظوة • ولصفق بالادب يجاد بملبوسه • ولكن نرى من جهال
هذا الزمان ومتوسميه • وبالعراق اعزه الله الاميز اقوام من العوام يعدون
ذوي الاموال الجمة والثياب المعلمة • والاقتنا الوزنة • والالقاب المفخمة •
اذا كانت ظروفهم من الظرف خالية • وغرفهم من العقل خاوية • وصحفهم من
العلوم بيضاء صافية • وجيوبهم فوق المكارم طافية • في الانعام لا في الانام •
واناس من الخواص يلبسون اولى الدراريع الصقيلة • والمناديل المذهبة
الطويلة • والمساكن المزخرفة الزخرة • والمنازل المسدجة المترفة • اذا صانوا
اموالهم عن السؤال بالاقفال • واختلطت في بيوتهم النساء بالرجال صور
مسالخ حمام • وكل هذه التشبيهات واقعة • وجميع هذه التمثيلات متفاوتة
ولزائد وعناية المزيد على ان اضرب به مثلا • او اشبه به ثم تجلد حاله

مثل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالمثل السوء لغيره وكيف يستحسن التعريض به ولحمد الله طلعة يتقطف
منها الورد ونكهة يكن معها الند ووجنة كالقباطي لا ترى العين احسن
منها بياضا وقامة كالقناة لم يوقف الشيب انتقاضا ولا انخفاضا
واخلاق ود الربيع لو تحلى بصفاتها ونفس جبلت القلوب على محبتها
وموالاتها فلا كف يابسة ولا ذيلة رطب ولا اموال محبوسة ولا عيال
نهب ولا بينه وبين الايل مناسبة ولا لامع النبل مقارنة ورتبا
ولا كفاية دون كفاية الوزراء ولا صرامة اقل من صرامة القدر والقضاء
ولا نفقة بخفية ولا اثاره بخسية ولا نفس عبرانية ولا حرم غير
محجبة وبه يرى علاه وانما كلام العدا ضرب من الهذيان
ومعاذ الله ان اكون عدوه فيكون كلامي هذيانا ولا اقيم لعلي بحجتي برهانا
واما سعاية موسى بن حسن بي وتقربه اليه بذكر القبيح لي وجده في الاغراء
والتقريب واشتهاره بالنميمة والاكاذيب فمعروفة واسماع العقلاء عن
استماعها مصروفة وهو حبيس بربري شديد التخلف قبيح التكلف
كثير التعسف قليل التظرف قد غطى فحمة شعره انفه ويحكي بي جاهلا
جذعه على كتفه وبحث بقرنيه عن مدية حتفه واحوجني الى حلق
شاربه وأنفه فهو بعقله السخيف يريد ان يسقي الامير كاسا من السم
الذعاف ويلفق ان يتكلم بالخزاف ليتسبب بالحضرة المقدسة الى اهلية
المعرفة والانصاف والرأي عندي وهو ابصر بنفسه ان يتحرز من
شره وآفته ويعرض عن جهله المستاصل لشافته ولا يقتدي
بفتاشته وسخافته ولا يلتفت الى تخليطه وخرافته فان قبل هذه
النصيحة سلم من لساني ولسان غيري عرضه وانطوى من بساط
المشاجرة بيننا طوله وعرضه ولم يسمع ما يضيق به صدره ولم ينهتك
بين شيوخ الدولة ستره وان ابى الا المهارشة والمناقشة والمواحشة
والمناخشة فليصبر على مر العلاقم ونكز الاراقم ونهش الضراغم
والبلاء المتراكم المتلاطم ومتون الصوارم فوالذي نفسي بيده
ما بارزني قط قرن الا كسرت قرنه وقرع من ندمه سنه ولا ناجزني
خصم الا بشرته بسوء منقلبه وسددت عليه طريق مذهبه او مهربه
ولا فاصحني احد ولو كان مثل خطباء اياد الا افحمته وفضحته

ولا كالغني سائل ولو كان من بقية قوم عاد لا يكبتهم على وجهه وبطنه . هذا
فعلي مع الكماة الذين وردوا المنايا تبرعا . وشربوا كؤوسها تطوعا . وسموا الى
الموت الزؤام سعيا . وحسبوا طعمها نجاة وريا . والكفاة الذين استحقروا الاقران
فلم يهلهم امر مخوف . واستقلوا الخصوم ولو اجتمع على واحدهم الوف . فاما
اصحاب العقول الضعيفة السقيمة . والاصول السخيفة الذميمة . والجبناء
الذين لا تثبت في مواقف الرجال اقدامهم . والبخلاء الذين لا تنصب على مجرى
الاطعام خيامهم . فما لي اقصدها دون مناقبهم . وصفاتي اجدها قبل
مناقبهم . وبناني ادفعها من ان تخوضهم وتقصدهم . وسهامي انزهها
من ان تصيبهم وتقصدهم . ولساني اشفق عليها من ان اجنحها بذكر
مساويهم . واقلامي اجلها من ان اجريها بوصف مخازيهم . وانما اسلط عليهم
ساقطا مثلهم خرقا وصلفا . ويفوقهم سخفا وجهلا . ليقضي حقوق
كلامهم المترجمة بضرطة . ويؤدي فروض افعالهم المترجمة بضرطة . فجوا
نفثها نفثة قواد . وعيونهم بعين اكمه رماد . وصفعهم يفرقها اذن
نفش . وزجرهم يحرزها اخفى قبس . اجرب مصافي على القلب
لاذكي . يحرمه جهلة وجنا على الكلب . وههنا مسئلة لا بد لها من
جواب . كرهتها الامر اذا اسلمت عليك فقصرت في جواب السلام
واذا حييتك بتحية الاسلام زويت بين عينيك ظل الثمام . انفض
ايمانك الى الناس بطرف ازينك . يزيد في مرتبتك . او اشارتك الى
اهل الفضل بجانب شاربك . تعد من مناقبك . او اذا اقطعت لدا
عليك من ثيابك صدرة . اظهرت بها قدرة . او اذا شمخت له
انفا . كسبت به ظرفا . وام اذا جرى ذكر كرم بين يديك مزقت
عرضه تمزيق الرجال اليتيم . واذا رايته من بعيد حركت ارنبة
تسترك جيف الحكم . واذا اجتمعت به انزفت من غيرانه يخافك
او يهابك . واذا اغلقت عنك خرقت عليه من غيظ نابك . ويحك
هذا الذي تفعل فعل الجانين هذه كلها حماقات من لم يرجع الى كفاية
وعقل . وترهات من لا يخلو من بلاهة وجهل . وتبطر من لم يكن على
مائدة ابيه رغيفا . ولا نعال من لم ير في نعل جده بركبا ولا ترنيفا . ثم اني بلغني
انك تهذر بتقبل نعله من ضيد انك . وتزجف بالقهقرى ولو انفقت

عج

جميع مالك ٠ وتقع في وقوع غير مرتاب ٠ وتظهر حماقة جهل وافت
نعم العز دون ان يستقتل مربعا ٠ اتريد طول سلامة باسرع
اندري بارض فمن تقع ٠ وتعرف بالكم بمن تولع ٠ وتعلم اني لنفوك
نظا اذنبه ٠ واي سم تريد ان تنوب ٠ واي اسد تستنبه من غابه ٠ واي
سيف تنتضيه من قرابه ٠ انا لله وانا اليه راجعون ٠ الله في اجلي فالنا باد له
من قتل في جهاد وهالك في جراد ٠ وقد قتل امير المومنين اغتيالا الكلب
مراد ٠ واستشهد سيد الشهداء على يد عبيد الله بن زياد ٠ وافني فضلا
الايمة وسادات الامة في كل شعب وواد ٠ ولي اسوة بهم ان قتلت ولكن
سيفك لا يقتل ٠ ولولا ثقتي بصنع الله الذي طال علي بما اجده في صنعه
على جميل عادته ٠ واعتمادي على ما الفيته قديما وحديثا من ملابس
سعادته ٠ وعلى بالك ولسنا الك اذا رايتم اسيحكتوبا على دمنة لم
تطعوا ان هيبته تمحا ٠ واذا انصرم قلبي قطر دما على بقعة ان تطيقوا
ان تخطوا مامرا تنفسا ٠ لخضبت شيبتك بجما ابع تغير في برنته
ولغسلتها بما آسن تعكر اياما في دكنته ٠ ولكني من بعد استدرك
الذي مضى وابيح العذر فيما تعذرا ٠ يا هذا بلغنا الى حدث القتل
مرة واحدة ٠ الله الله انه يشق لو الك من اجلي ٠ او تحدث في الطريق
لتلوث رجلي ٠ ولا ترغب بقتلي فان قتلي لاجل ٠ ولا تسع في دمي فان
دم مثلي لا يطل ٠ ولا تخوفني بايعادك فاني ضعيف القلب لا استطيع
صبرا من خوفي ٠ ولا تزعجني بارافك وابعادك لئلا يسيل على وجهك
جوفي ٠ ولا تسمعني المكروه فلا توجب المروة استضامتي وظلمي ٠
وفي الاذني نقل فضل لسانك قليلا الى سرقي ٠ وان قضى الله على يدك
يكون انقضاء عمري ٠ واكون من شهداء الرئيسة والقطايف تبري ٠ فالحيلة
صبرا على مخافة الكرام ٠ ورضى بدولة الايام ٠ وقد ارسلت صاحبك
فلانا ليخرجك من ظلماتك ٠ ويوقظك من منامك ٠ ويدلك على
تجارة تربح فيها السلامة ٠ ويرشدك الى طريقة تخاف فيها الضلالة
والملامة ٠ فان قبلت كلامه ونصحه ٠ وتركت مذهب اللجاج وتجنبت تغابيت
واغضيت من جرايك ٠ وان اصررت على ما اعرفه من اخلاقك الجمة
وجبلت بالحقد للقابلك ٠ والسلام الى بعض النصارى وهو ان

البنا يحتج · عجبي من تغافلك والعقل منك على مراحل · ومن
تغافلك والعقل منك على فراسخ ومنازل · ومن اغترار ظنون بك حين
حسبتك انسانا · وتعاميه عن جناياتك حتى جعلك تدبر ديوانا · وزيادتك
في البطر اذ توليته عملا · وعربدتك على الناس لما اصبحت من خز الفساد
ثملا · ولولا غلط الزمان لما رفع بضبعك · ولما قبض ايدي السفل عن
عن صفعك · ولتركك تابعا لكل ساقط · وخادما لكل ظالم قاسط ·
تجر وفي جيدك حبل من مسد · وتذل وانت اصبر على الهوان من وتد ·
وتتقلد صليبا اثقل من طبعك · وتحمل بدين اخربه من عطائك وربعك
وتقف على الابواب كالعنيد السائل · وتخاطك على شاربك وعنفقتك
كالناطف السائل · فلما درج الناس · وبقي بعدهم الخساس · تقربت الى الرؤسا
بنواميسك · وانفقت عليهم من زيوف كلامك ما في كيسك · حتى
استخدمتك وكالتك · واستنتج نتاجها اتانك · فتنفخت وتبذخت
وتمت تمعطت · وتقوست باخيك وتترست · وتلبست تجملت وتعطلت
ورقصت لما ابدى الشيطان بترقيصك · وتخصصت فازلت اللقب
من تنقيصك · يا ايها التيس يجي صاحبي اليك خصم ستنتينا بك
فتجبر لتظلم · وتريد وساطتك تعدل عن العدل وتميز · ثم تنفض
عليه غبار تجبرك وعدوك · وتعتقد كانك تريد ان تحرق بنارك ·
وتوعده بقطع الرزق غير خائف من اني اقطع قفاك · وتهدده
باسقاط الجاري زايدا في مضاك · وتجله تجري من اضحايك وتمتع
وتقد لتحيض من الناس وتجمع · وتتوق في البوق · وسط السوق · اي بابك
لا تهاب احدا · وتجهل ان صاحبي لو اراد لجعل مصفعتك طريق قذرا ·
ونجي من انقذك من حفرة القذرة · الى منزلتك القذرة · وخلصك
من عذق الرغيف · الى الخصب والريف · ونجاك من نجاسات الطوف
والطين · الى تمزيق الخروف السمين · لولا ترفعي من مكافات امثالك
وانفتي من مخاطبة اشكالك · لنتفت طاقات من قذالك · ولجلت
الكلاب على عيالك · والقرود على اخت خالك · ولاجلت المركان
الرذيلة في ميدان قذالك · ولرايتك كيف يكون قبل قطع الرزق
تقطيع قفاك · وكيف ترى قبل اسقاط الجاري تجحيل مالك · ولكن

مكر

22

مثلك لا يخاطب ولا يعاتب ولا يؤخذ بالهذيان ولا يعاقب وان الظفر بكلب مثلك شر من الهزيمة والتلطخ بذكرك قريب من مجاورة بهيمة فاذهب لعن الله فك الابخر الذي تكلم به من تكلم ولعن الله درزقا انت توخره وتقدمه واخزى الله زمانا صرت فيه تنظر في امر وتتجاسر على الاستخفاف بحر وتمكن فيه من نفع وضر وترجا وتخاف لخير او شر متى كان لابيك الاقلف القرنان في جبته رغيف خبز ومتى تحلى اهل بيتك قط بجاه او عز ومتى عرفت بالكتابة يا الأم من افرغ من صلب في رحم واذل من مد يده الى الدواة بقلم والله ان مقاساة امثالك اصعب

فان كنت من الناس * فانزل الناس كلب

واذا كتب الله علي الشقاء بلقائك خاطبتك فوالله ان النعل اشد تاثيرا من الكتب والسلام

رقعة الى صديق له يعاتبه ويستعطفه بدمشق

بعض هذا الجفاء يا مولاي يكفي وجزء من هذا الاعراض يجزي وعلى قليل من صدودك تاسف كثير وفي يسير من وعيدك امران وتدبير وفي اذني ما اوحشتني به مقنع ولفظ يدل على سوء اعتقادك للقلب موجع ومن قبل ان تبلغ الغرض في عتابك يفنى الصبر ومن دون ما يتناهى في عتابك يجزي العمر وان كان غرضك العقوبة فلك غرض في بعادي ومباينتك وان تجدد لك راي في الخصومة فمن يحاكمك وينازعك وان استطبت التجني فمن ينقص عليك ما تستطيبه وان استعذبت عذابي فلا تعد لحالة تزيده وتستعذبه وان شتمتني فاني اذني صمم وان كلمتني فاجرح اذا ارضاك الم وان احببت الظلم فرحبا لاجلك بكل ظالم وان آثرت لي تاهلا وسهلا بكل لايم النفس منقادة اليك ما ساعدها المقدار والقلب بيدك تقلبه كما تختار والعقيدة معقودة بطاعتك فلا خلاف والطوية منطوية على متابعتك فلا انحراف والروح معك سافرت او اقمت والحياة في حكمك اخرت او قدمت فلا انس الا بلقاك ولا فرح الا بقربك ولا نشاط الا بحبك وما الطيب الا ما اختلط بترابك ولا السعد الا ما ارتبط ببابك يحييني نظرة منك بالرضى وتفنيني زورة منك في الكرى ويعزيني نطق منك عذب ويشفيني من كل داء كلام منك ما فيه عتب واتعلل بوعد منك وان اجبته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رسائل ابن العميد الكاتب

D

المطل. واقنع بقول منك وان لم يصدقه الفعل. واظن ان ادعى لامور
لي مها جرى دعابة جنت فصليت بحرها. وجهالة ظهرت فنيت بعزها.
ومزح اتفق من غير قصد. وحكاية ذكرتها بلا عهد. فلو اكتسبت كبيرة
لما استوجبته من العقوبة المنهكة بعض ما عاينتم وعانيتم. ولو ارتكبت
جريرة لما استحققت من القطيعة المهلكة اعظم ما رايتم وقاسيتم.
ولو اشركت والعياذ بالله لمحت ذنبي التوبة والاستغفار. ولو كفرتم
نعمتك لعفت على كفري الندامة والاعتذار. وها انا بين يديك
مستغفر وان لم اجن جناية. ومعتذر وان لم اركب غواية. ومتنصل
ان نفعني التنصل. ومتذلل ان قبل مني التذلل. اما تتقي الله في واقف
امامك مستغفر تايب يؤمل عفوك. فامنن عليه ليسلم من سيفك القاضب.
هب يا مولاي اني لا اواخذك باخلافك في ميعادك. ولا اعاتبك في اسرافك
في بعادك. ولا احاسبك على ما نقضته من عهودك. ولا اغالطك فيما
سمعته من صدودك. ولا اطالبك بما حرمتنيه من عطفك. ولا
اجاذبك وان سوتني بما ثنيته من عطفك. افي حكم المروة ان تبعد
عمن يقاربك. وتطرد من يصاحبك. وتطرح من يهابك ويحبك
وتمل زيارة من يمالك. ام في شرط الفتوة ان تقابل اقبالي عليك
بصد. وتعارض سوال المرد. وتجازي المحسن بسوء. وتلبسه بشماتة كل
عدو. ان رضيت هذه الحكومة ولا تخاف شناعة فسمعا وطاعة.
وان رايت في مثل هذه القضية رشادا. فاستسلاما للامر وانقيادا.
الغرض في جميع الاوقات ابتغاء رضاك. والمراد في كل الاحوال اتباع
هواك. فوالله لو كان في الماء ما تكرهه وانا صاد لما شربت منه جرعة.
ولو كان في الطعام ما تبغضه وانا طاو لزدت على الطوى جمعة. زعم
وهو من يعلم يا مولاي اني لا احبه وان كان كاذبا فعليه كذبه. انك قلت
لو قال معرضا بي لا يصلح لي ان اواصله. ولا آمن ان اوخذ بحبائله.
ولا اعتمد على ما يبذل من لسانه. ولا اسكن الى ما يتخيل الي من ايمانه.
الا يصلح لك من ان حملته الجبال احتملها رفقا. وان جشمته الاثقال
استقلها مطيعا. وان دعوته لم اجابك ليلا ونهارا. وان كلفته
دخول النار دخلها مختارا. وان غبت عنه حفظك في مغيبك.

[illegible]

حكاية عنكم

ود

23

وان حضر عندك كان أشفق عليك من قريبك . وان عذبته صبر على تعذيبك . وان ترحبت به عبدك لترحيبك . وان استخفته لم يستنكف من استخفافك . وان سامته لم يقلق من سآمتك وان استخدمته احدث اثار خدمته . وان اضعفته استضعفت الدنيا بالاضافة الى همته . وتصلح انت لو سلم عليك لم ترد جواب سلامه . وان تقرب اليك انفت من استخدامه . وان زارك اغلقت دونه بابك . وان تطفل عليك لم يأمن استنكارك عنه واحتجابك . وان انبسط اليك ابديت له انقباضا . وان اقبل عليك اظهرت عنه اعراضا . وان استشفع بالتحري بدلك لم تشفع حرمته . وان استرضاك عن غير ذنب لم تمن عليه بالرضا . لقد سقطت مودته كل عتب . وعدل عنك فاسل ما تريد هذه الاخلاق التى انتم بها بحمد الله كلها مرضية محمودة . وهذه الافعال بجميعها محتملة منك غير مردودة . وهذه الاحكام التى تحكم بها عدل . وهذه القضايا التى تقضيها فضل . لا تؤدى الى ضعف . ولا تنسب الى حيف ولكن الكرام ربما يستعدلون المصاعب مجاملة واستحياء . ويغتفرون للعاتب استدامة المودة واستبقاء . ويستصفون المشارب الكدرة محافظة على الود . ويستسهلون المذاهب الوعرة استمالة لكرم العهد . ولا يهدم مباني الكرم تعود المسامحة والمساهلة . ولا يفسد جانب الشرف بذل المكارمة والمجاملة . والله امر بالعفو وذكر انه اقرب للتقوى . وحث على الصفح الذى هو كمال الاخرة والاولى والنبي صلى الله عليه وسلم قال احب الاديان الحنيفية السمحة اي ملته التى لا ضيق بها ولا عوج . ولا ميل ولا حرج . وشدد بنو اسرائيل على انفسهم فشدد الله عليهم . فكل امرئ ابصرت فيه طلاقة واشمال مرضية فهو واحد . انا يا مولاي منتظر لجواب رقعتي هذه مترجح بين عتبى ورضى النجل بالعمل من قناع الياس او بين سخط ويأس احصل منها على صفقة الخاسر . ومعاذ الله ان ترى الاسميا على خير تنبيه . وطول تشديده . واحسان تبديه . وجميل تفيده . ومكرمة انفردت بمجالها . فانت ترى التي فيها ارشد وفضيلة استبددت بجمالها فوجدت فيها ازدادا . زادك الله من

الفضائل قربا . ومن النقائص بعدا . واعاذنا من سخطك الذي
استوبل مرتعه . واستوخم مشرعه . واستقبح مطلعه . واستبعد
مسافة القرب منها مجوده وكرمه نسخة رسالة التوبة
كتبها من القرافة الى الشريف تذكرت ايام الصبا وانا غر . وعلى الغواية
مصر . وبالسفاهة مغر . واوقات لهوي كنت لا اصحو من سكره . ولا
اسهو عن ذكره . ودهر الشبيبة اذ اغصانها رطبة . واعصانها رحبة .
ومشاربها عذبة . وزمان الحداثة اذ كنت اصبح مرتبكا في حبالتها .
واضحي منهمكا في جهالتها . وامسي منهتكا في ضلالتها . واوطاني
الى الغي باعاجيبه . وقضيت من الشباب مآرب . واستصفيت
العيش في ظلاله مشارب . وعاهدت الني التي تمت ذنبها بين
فتى وفتاة . وانثنيت بين رشا ومهاة . وكبوت على الكواعب وصحاف
ولهوت بين سوالف وسلاف . ورحت بجمع ريحان وراح . واصبحت
صريع احداق واقداح . وسحبت ذيل مجون وسكر . وركبت خيل
جنون ونكر . ورحت كالمهر المطلق عنانه . وفرحت كالحر الذي
ساعده زمانه . ونزعت قميص سكينة ووقار . ودعت في البطالة
والضلالة كل عقار . فكم لي من مجة الى حانة خمار . وكم لي من عوجة
على ازهار وانهار . وكم من دلجة الى مغان وغوان . وكم لي من ضجة
بين قنان وقيان . وكم لي من غمرة في حياض الصبابة والصبا . وكم
لي من هجرة الى رياض داعبتها انفاس الصبا . وكم لي من وقفة بين
ريح شمال وراح شمول . وكم لي من نغرة في فنا صبوح وعذول
وكم لي من مغدى ومراح . بين اوتار فصاح . ومن مصبح وممسى
مع صباح في صباح . ومن مربع ومصيف بين هزل ومزاح .
ومن شتاء وخريف في اغتباق واصطباح . وكم لي من نقلة من
مجلس الى مجلس . وسعي بين منثور ونرجس . وكم امتطيت صهوة
حصانة وحصان . وافترعت عذرة حباب ودنان . وكم دببت
كالحباب والليل مشتمل باذياله . ولبثت والصبح بائح باسراره . وكم
سجدت كسجود ابريق . وكم خلعت عذاري بين باطية وزق . وهتكت
استاري في سفاهة وحمق . وكم استنشقت المزاهر والملاهي .

واستحق

واستنقصت الزاجر والملاهي • وكم كررت عند اصطحابها الاوتار عشقا لها
وحُبًا • وسحبت عند معانقة العقار فخرا بها وعجبا • وكم من زجرة عن
للهموم عند نقر السموم • وادراك الاماني عند جس المثاني •
وطرد الحوادث عند نغم المثالث • وخرق الصفوف عند خفق الدفوف
ودفع الآفات عند زمر النايات • وكم عدلت من كاس الى طاس
ومن حمرة جلنار الى خضرة آس • وكم شققت على شقائق النعمان من
جيب • واستحسنت من اللذة ما كان في حي حلب • وكم اجتنيت الورد
بملونات غلائله في اغصانه • واطربني الهزار عليها ببدائع الحانه •
وكم اعتكفت على منابت الريحان والنسرين • وخيمت على مجاني الاقحوان
والياسمين • وكم امرحت طرفي في مروج خضر المطارف • واندرجت
في معاذل الوضا والوصائف • وكم لي من ايام لهو تصرمت
ولم يبق منها غير ذكر لمستبق • سقى الله اياما حسانا كانها • لسرعتها
مرت وميض من البرق • تمثلت لي بلد دكنت وطانها • وعجايب
فيها الفيتها • وطرق سلكتها • واموال ملكتها • ومفاوز قطعتها •
ومحاسن ابتدعتها • ايام كانت الدولة تمد علي رواقها • والسعادة تشد بين
يدي نطاقها • والاقبال يخدم ركابي • والوفود يتشرفون ببابي • ونعم كنت راتعا
في ظلولها • وادغاعث اذيالها • ثم انتضت ايدي الزمان سيوفها
لشتاتنا فكانت ثنا اعدا • فكان تلك المحاسن كانت سحابا قمع ثم انقشع • او سرابا
لمع ثم انقطع • وكان تلك المنح كانت احلاما • وتلك الدولة كانت مناما بل
كاني لم احصل منها على ظل ممتد ثم ارتد • او خيال طرق ثم انطلق • او نبات
نجم ثم انصرم • او نجم لاح ثم راح • او نار شبت ثم خبت • او رياح عصفت
ثم انصرفت • ثم تاملت هذه الدنيا في تلونها • واختلافها • وهوانها
واغرائها • ودروجها ولذاذاتها • وتبينت احوال الهاربين من خدمتها صنوف
التجارب • وعلمت التطرق العواقب • ورفع الله حجب الارتياب عن سمعه
وبصره • وحادمن الصغار والكبر في صغره وكبره • فرايت المغتر بها على شرف
عزه • والخطر لنعيمها بالرغى تمنا خطر • والمتعلق بحبالها كالمتعلق بنسج
العناكب بل باوهن منه واوهى • والساكن الى اقبالها كالساكن الى الاسد بل
اجن واجنى • والمصاحب لها كالمصاحب خيال الحبيب وطيفه والشد

بها كالمتقلد الدفلى بدلا عن سيفه . ووجدت رضاها وفاقا ونفاقها
نفاقا . وما عاد عاقا واملاكها طلاقا . ثم نجم لي العقل فما جاءني منها
بشير لي من سنة الغفلة . منذر بالاستعداد للرحلة . يشفق علي من ان
اقطع شقة شاقة وزادي بها يسير حقير . وانزل منزل الغربة وانا بها
فقير . واورد دار الكفاف فيها موجدة . ولا اجد بها جدة . واقف موقف
افتضاح . واقام ولات حين انتزاح . واتعرض على من لا تخفى عليه خافية
فلا ارى منها سعيا مشكورا . وينتقد زيوف اعمالي عالم السر والنجوى فيجعلها
هباء منثورا . فكانني افقت من سكري حين لم تغنني الافاقة . ووجدت
ضالتي بعد ما مسني الحاجة والفاقة . وفزعت الى ذخري التي كل
كبيرة في جنبها مستصغرة . وكل جريرة بالاضافة اليها مغتفرة .
وتذرعت اليه سبحانه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي شرفه
بملابس العز والكرامة . وجعله الشفيع المشفع في القيمة . وتشفعت
به وباهل بيته الذين لا يشوبهم درن ولا دنس . ولا يعد لهم في غير
طاعة الله نفس . ورغبت الى كرمه في ان يتقبل توبتي واستغفاري
ويحط عن كاهلي آثامي واوزاري . ويوفقني لبلوغ مرضاته سرا وجهرا
ويفك نفسي عن رق المعاصي فاني لا املك لها نفعا ولا ضرا . ويرحم
ضعف بشرة يقلقها اذى شرار . فكيف لظى نار . ويبليها دوام النعيم
فكيف عذاب الجحيم . ويرهقها شظية من عرق حديد . فكيف مقامع من
حديد . وتعنيها المآكل والمشارب . فكيف الاغلال والسلاسل
وان يختم عمري بتوبة مقبولة . ولا يؤاخذني باسباب سبقت مني
مرذولة . انه ولي الخير واهله . واليه يرجع الامر كله . وهو حسبي ونعم الوكيل

سايقي

الى ابن مسلمة بعد ركوب امير المؤمنين من القاهرة الى مصر بعد طول امتناع منها

كتبت هذه الرقعة غداة يوم الجمعة الجامعة لشمل الدولة المؤذنة بالسعادة
المتصلة . بذكر ما تجدد امس الخميس . وهو اسعد يوم اسفر عنه صباح
ولاح على وجهه غرة واوضاح . من النهوض ركوب امير المؤمنين
في صبيحته من قصر الخلافة . الى مصر على الطريق الشارع لابسا
من ملابس العز الفخر واعلاه . ومن نفائس الجوهر ازهره واغلاه
في طبقات الاولياء . ووجوه الاشراف والامراء . والاعيان والعبيد

والقواد

25

والقواد • واصناف العساكر والاجناد • وموكب حسدت السماء
الارض لزينتها وعظم اقدارها • وغبطت النجوم الترب لجلالة اقدارها
وقد كانت القاهرة المعزية الى مصر من عدة ايام زينت بانواع
الحلي والحلل وبدايع الديباج والوشي والثياب المذهبة • والانماط
الظلية المستغربة • حتى لم يبق من الارض فيها شبر الا وهو مزين
ولا فتر الا وهو مستبدع مستحسن • ووقع الاجماع بان هذا اليوم
المذكور اجل يوم ارخت فيه الايام • وعجز عن وصفه الانام • وتزينت
بجماله بطون الدفاتر • وتشرفت بذكره رؤوس المنابر • ثم عاد الى قصر
الامامة • ومقر العز والكرامة • مؤيدا منصورا • سالما موفورا محفوظا
بصنع الله واقباله • محفوظا بالملايكة من عن يمينه وشماله • فبادرنا
لهذه البشارة العظيمة اليك لتعرف قدر الموهبة فيما من الله به له
من السلامة • ولحظه الشريفة من الانتظام والاستقامة • وتذيع
ما جرى في الخاصة والعامة ان شا الله

الصديقة لابي عبد الرزاق الكاتب في المداعبة والتعريض جرابا ابراهيم الحداد

قد كانت الموافقة ادام الله عز سيدي استقرت بيننا على استدعاء
فلان المغني الى منزلنا بالقرافة للاجتماع فيه على الجملة التي شرحها •
والصورة التي اقترحها • والاجتماع للجماعة بعد هذه الجمعة يتعذر الى ان
يمر شهر رمضان وينقضي • ويقضي الله من نظام الحال والالفة
ما يقتضي • وقد انفذت غلامي ومعه الحمار لا الاصم وفلان
اقود من الليل • والج من السيل • ليهتدي من المواصلة في الجانبين
واصلاح ذات البين • الى ابواب خفية يتزلفها ويتسار بها اليه •
وتخفى لحنا صرف غموضها عليه • فهو ابقاه الله له القدرة في تاليف
النفوس النافرة • والتعريف بين الاشخاص المتناكرة • والى تليين
القلوب القاسية • وقلع الجبال الراسية • وحسن السمت والوفا
وحفظ الاسرار والاقتدار على قود المهار • والجمع بين الماء والنار
بلطايف لا تدرك الا بالحس • وعزايم لا يهتدي اليها مردة
الجن والانس • وقدرة يعجز عن بعضها اولو الالباب • ورتبة لم
يقف عندها من كان عنده علم من الكتاب • وبدايع لو

العقول لا يحيط بها النعوت • ودقائق من السحر لم يعلمها ببابل هاروت
وماروت • وحكم ماض به كل عاص مطيعه • وامر نافذ لا يرد فيه
توقيعه • فاصف لا يوصف معه بالتاليف اذا احصى • والريح
لا تنعت بالسرعة معه اذا ذكر • صرف الله عنه عين الكمال • وابقاه
لفقرنا وفاقتنا اطول الايام والليالي بمنه • والذي اوثره مبادرة
سيدي الشيخ ادام الله عزه الى اسعد عابر • وتعريفه اجتماعنا
على مدحه واطرائه • وتكليفه ان استصابه واستجاب الثمرة
في هذا الباب • وتقبله وقفل هذا الامر بعهد وثيق لم يكتبه
بشريطته • ومنشور طويل يبذله الخباء في خريطته • فاذا
القى مقاليد هذا الامر اليه • واعتمد في كتابته عليه • علمت
انه اعطى القوس باريها • والزناد موريها • وحصلت لحاجة
عندنا بقدر النجح بالبصر • فكان قد ان شا الله تعالى

في معماة الى السيد بن امين الاشراف بمصر

رايت فلانا ادام الله عزه لما سمع المعماة التي قصرت عن فهمها الافكار
والخواطر • وعيت دون استخراجها الابصار والبصاير • اهتز لها
طربا • وفني منها عجبا • ومثلها تبعد عن القرائح الصافية
وتغيب • ويظن القران استخراجها اسهل والظن يخطي ويصيب
والذي يصرف قوى عزيمته الى استنباط ما عمي وستر • وتقف
همته على كشف ما حرف من جهته وغير • يحتاج اولا الى طبع لم يفسد
التطبع صيغته • وبصر لم يفسد الكدر لمحته • ثم الى بضاعة
من الادب لا ينقص الانفاق مواردها • وجملة من العلوم
لا يخشى نفادها • وعادة يستسهل بها مصاعب الكلام
وفطنة يستقرب معها مسافة الاوهام • وهداية في طريق
الكتابة لا يضل عن قصدها كيف سار • ولا يزل عن نهجها
انجد ام اغار • فاذا اجتمعت له هذه المحاسن المذكورة • وانقشعت
عن فطنته الحجب المستورة • وتجلت له الاعراض ظاهرة الاوضاح
وسلكت المقاصد سيرة السابح • وطفق يصرف الكلم على حكمه
ويصنعه كيف يشا من نثر ونظم • فاما من تحقق براعته

الادب

شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدب . ولم ينفق عمره على دراسة الكتب . ولم يأخذ العلوم من أفواه
الرجال . ولم يبذل في اجتلابها المصون من الأموال . وقنع من
العربية بالحظ الأدنى . واقتصر من الفصاحة بالاسم دون المعنى
ورضي من الري بالنضيض . واكتفى من البلاغة بالنزر اليسير .
فبعيد أن يفهم أسنى الكلام فضلا من وحشيه . ومحال أن يركب
مرتاضه فضلا عن أبيه . ولولا أن الله سبحانه بحكمته يرزق الأنعام
كما يرزق الأنام . ويستر معايب أهل الجهل والرذائل كما يظهر
مناقب أولي العقل والفضائل لهلك أكثر من يتحلى بما ليس فيه
سغبا ولمضى على وجهه في الأرض هربا . ولكن الأمر بيد الله ينعم على
كل مصيب ومصاب . ويرزق من يشاء بغير حساب . فقد كان
سيدي أدام الله عزه . أحب أن أهدي إليه الطائر الأخضر الذي
غاب واستتر . والزائر الأغبر الذي آب وحضر . حتى يحجب بيته
ومزاره . ويهدم مسكنه ومطاره . وعزيز علي أن أنفره أو أطيره .
أو أخرجه من مقره أو حيزه . إذ هو أمير مطاع . وملك متاع .
يكحل إذا أحسن الربيع . ويبذل إذا بخل الوضيع . ويثوب فيشكر ثوابه .
ويعتب فيطول عتابه . الجهل لباسه . والكحل أساسه . يسمن أصحابه
منه وهو ضئيل . ويشتفي العليل به وهو عليل . إذا بنى فهو حكيم
وإذا دنا فنديم . وإذا رقي فمسوف . وإذا خلا ففيلسوف . آثاره
في المجلد جلية . وأخباره في السنة مروية . باسمه يوصف الإمام .
ومن صنيعه تتهادى الكرام . أنزه الأقطار مطارحه . وأعذب
الهبات منائحه . إن صحف ستر وصان . وإن قلب ذو وهان .
لا يباع ذماره . ولا يؤمن أضراره . ولا يسعف دثره . ولا يغاب
حدثه . أمره عجب . وهجره غضب . وأجناسه متقاربة . وأشكاله
متناسبة . عمر الله به البقاع . وأدام بمكانه الإمتاع . ورزقني
به ما أقضي به حق الصديق . وأحافظ عليه من مراعاة الحقوق .
إنه ولي التوفيق . **رسالة الرؤيا بمصر لجماعة من الشكل الذي
سعوا في أفنائهم** رأيته في النوم كأني في بلد . أطلب نشانا وما فيه أحد

فمن لي بشخص كتمثال الاسد . في مركب يعلوه موج وزبد . فيه رجال وسلوح عليه و
وفيه اقوام باثواب جدد . فناني صبري ولم ابق جلد . قلقت من ذاك وما هذه الحشد
تعالى الى ملك على الرصد . ادعوا الى عبادة الفرد الصمد . واما هؤلاء فهم اعواني
سلطهم الله على الحساد . ليهتك ستورهم . ويحبط اجورهم . وينقص مددهم
ويطفي نارهم ونورهم . وعندي من الدبابات الباهرة . والالات الفاخرة . ما فيه
كمال الدنيا والاخرة . العجب العجب يا قوم من تيس ارقط اشمط . وذئب امعط
امرط . وثنائي بحشو بلوم وشوم . وثور ينطح بخرطوم . وطويل اضعف من
نامة . وطبعه اشرد من نعامة . وقلبه اخشن من قلادة . وهامته فيها دماغ
هامة . وسوس في الصوف يعيث . وصوفي بحذار يستغيث . ويقول
الغزو الغزو الى روس ملوفة كانها جاعرة الغزد ملامسة . واقفا مطروقة كانها
اعجاز الزبد ملاوسة . اظلم من انتبه من نعاسه . وربح من نجا براسه
رحم الله من تقدم الى ورا . قبل ان يلوث بالخرا . يا قوم ادفعوا الى السما
ايديكم . ليهلك الله اعاديكم . وصلوا على النبي بنشاط . تسلموا من الخباط
واقعدوا واستعدوا . واقبلوا النصيحة . تامنوا الفضيحة . فلما بلغ الى
هذا الموضع من الكلام . انبعث مركوبا قبلنا . ولم اعلم العفص جرنا وفرقنا
ثم قد خان ان يهرب من الجماعة . فقد ذارت اشراط الساعة . وتبرم ملبس
الدراعة . فقد كثر ولم الرقاعة في هذه الصناعة . والله ما احسب هذه
الايام التي تمضي من العمر . ولا احسب هذه الامور التي تجري الا من غرائب
الدهر او عجائب البحر . ولا اعد هذه الاوقات التي نحن فيها الان من اوقات العمر . ولا
اظن هذا الزمان الذي ابتلينا به الا زمان الفترة . فلا ادري اهذه الاحوال التي
نشاهدها خيال الرقاد . ام خبال الاوزار . واحداث الاوهام . ام اضغاث
احلام . ومنتبهات الوساوس . ام ترهات البسابس . وانقلاب شريعة .
ام سراب بقيعة . ولا اعلم ان هؤلاء القوم الذين تعاشرهم خلفاء الخلف الذين
بكاهم لبيد . ام خلفاء الذين الذين قال فيهم الوليد . وجوههم وايديهم
حديد . ام ذئاب ذاتها الثعالب . ام كلاب عليها ثياب . ام اصنام عد منه
عصا الحيا . ام اغنام اهلها سارحها . ام اطفال مالهم عقول . ام تماثيل
مالهم فيها وصول . ام طلول خالية . ام طبول خاوية . لان الا لغة منهم لا

اراد قول لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

تناوي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

27

يساوي ربع فلس • والواحد منهم لا يداري بالف فلس • اخف من الهوى اذا
وزنوا عقلك • وارضى من الجبان ان امتحنوا نقلك • وانحش من دواء الظلم مناظر •
وانجح من ذبال النمر مخابر • سخآء الاهل لو فاة الفرع والاصل • لو اسف الاعمآء
من الفضل • جماد الاكف من البذل • مقولو الاغنيآء الا من لجهل صنعها
الانفس الا في المطل • فالحسنهم في المراتب كيف ما قابلتهم • وما احتم بالمعا
جث ما جربتهم • وما افقرا اذانهم الى ان تلين بالمشركات الصلاديب • وتخلع طيها
عوالشى بجلال الزيارة الحباب • وما احوج نظام الى وحى كليلة تعلمها او تجربها •
او دين صيفي يعلمها فيسمعها • وما احرص انفاهم على ان تنظف بالدباغة
وشواربهم ان تخف بجذب المناقة • لا جرم ان الله نواب اهل الحجاز • ولا
حرسهم من الدوائر والفواق • واراني كعابهم منقوبة • واجسامهم مصلوبة •
وابصارهم محجوبة • وكلامهم بحرامهم محضوبة • بقدرته وقوته • يا ابي متعني الله تعالى
باخائك • وامدني ببقائك • وامدك بالتوفيق في صباحك ومسائك •
لا يقلقنك طول صبري على العزلة والعطلة • ولا تنسبني في انقطاعي من
الاخوان الى الضعف والغفلة • ولا يغرنك اتقيائي عمن تفسد الذهن صحبتهم
ودويم • ومخالطة من يوكس الدين نفاقهم وكذبهم • ولا يوحشنك انسي بعقلي وعزي
معزى بالعقائل • وملازمتي منزلي وسواي ساع في طلب المنازل • ورضاي
بالبطالة • وسواي متهالك بالباطل • واقتصاري على البلغة وغيري مبالغ
في اختلاف الحظ والحظوة • وتقاعدي بالتوت وسواي جاهد في اجتذاب
الجاه والثروة • ورضاي بالكفاف والجاهل ذو فقد وقدرة • وتمسكي
بالمسكنة • والعاجز ذو نعيم وثروة • ولا يغرنك اطراقي فالادرقم مطرق وفي انيابه
السم ناقع • ولا يسوءنك سكوتي فالموت ساكت وهو للآجال قاطع •• ولا
يحسبنك غافلا ولي عن كل شعرة عين ولسان • وفي كل جارحة سيف
وسنان • ولا يشق عليك انزوائي عن الجهال فالعقلآء افراد والفضلآء
آحاد • ولا يغيظنك استتاري عن الانام فالشمس نورها ساطع
وان سترها السحاب • والسيف حده قاطع وان ستره القراب •

ولا تحسبني غير متئد ۞ ولست اعلم ما ابقى وما اذر
ما بي جبن ولا بخل ولا حسد ۞ ولا شقاق ولا لؤم ولا خور
جدي تليد ونفسي حرة ويدي ۞ بسيطة وحصاني كلها غرر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد فقد علقت كفي على هذه الرقاع عند عثوري بعقدها من سقط المتاع
ورميت هذا العلق النفيس من متغفل لا يعرف الجيد من الخسيس
بيد أني ما ألممت على أول أبوابها أتوق منشيها ولا وقفت إلا على حروف
عن مطرزها وموشيها فقلت هذه والله ضالتي المنشودة
وبي وعمر الله بغيتي المفقودة فشرعت في تقييد شواردها وتأبيد
أوابدها مستمدا من الله التوفيق والتيسير إنه على كل شيء قدير
ومن أشياء مهيجاتي التي نقول فيها لكل أول آخر ومع كل عسر يسر وبعد كل يوم
غد وعقيب كل جدب خصب ولعمري مذ صحبتني هذه المحن الواجدة في
هذه السفرة بتركها وخطتني في سلكها ونهشتني بأنياب نوائبها
وأنشبت في جيدي حبالها ووزنت فيها أهل هذا الزمان بمعيار الاختبار
وجربتهم في حالتي الإيسار والإعسار وسبرتهم بمسبار العقل الصريح
وانتقدتهم بالنظر السليم الصحيح فلم أرهم رشيدا ولا استخلصت منهم أحدا
ولا صادفت إنسانا صادقني إلا نافقني ولا آخاني إلا داخاني ولا جالسني
إلا دالسني ولا حالفني إلا خالفني لزمت بيتي وجلست أنتدب من درج
من الكرام وأنا أسف على من مضى مع تلك الأيام وأبكي الماضي من الأعوام
والأحوال وأتشاءم مشاهدة هذه الأسباب والأحوال وأنا أحتسب
ذلك عند الله وأعد المصيبة أجر المحسنين ولقد صدق لبيد في بائيته
كما أجاد الوليد في داليته وأحسن إبراهيم بن العباس في نونيته كما قال
ابن الرومي في لاميته ولو وجدت طول عمري من يجوز أن يسمى صديقا
صدوقا أو يحفظ على الغيب لصاحبه حقوقا لجعلت داره دار الهجرة
ولجأت إليه في عثرتي من الفترة بل أقف أرجع في خدمته سرا وجهرا
وأبديت الأمر في مدحه نظما ونثرا ولكررت على أثر قصائد
جرائد وأثبت بذكر مناقبه مشاهد ومن لك بأخيك كله
وأي الرجال المهذب وأين الذي يبقى على الناس عهده لعرفت
صدق أن ذاك بعيد ثم أترك حديث شكوتي وأرجع إلى نبذة
من الغزل فإنه أشبه بالوقت وأهله وأجدى على من يعيش

لاهل

[illegible]

وما اعتراضي على ربي ليغضبني لي • ما لا ينا ولي في افعاله عبر
فقل لحسادنا موتوا بغيظكم • فقد رضينا بما يجري به القدر

وقبيح ان توحشني الوحدة وانيسي ابكار الادب • وجليسي اخبار العرب ونديمي ما لا يلحقه مني ندامة • ولا تنالني منه سآمة • ولا يرميني بسهام التهم • ولا يحسدني على دوام النعم • ومعاذ على ان يصدني عن مغزى اقصده فتغير شاه • او يردني عن معنى اعتمده تلون زمان • او يليني بجحود • او يباين جزمي بوشا الحسود • او يفل الحد وجانب صبري بنباله • او يذل عز نفسي بحيلته • او تزعزعني رياح وعيده وان كانت قاصمة قاصفة • او تفزعني بروق تهديده وان كانت خاطفة • او تقسم سرب غربي بايده • او يحل رتق حلمي بحيل عواده • او يقوى على صايب رايي فينقض قواه • وكحال ان اذل عن سنام البخت وان غال امري • او ازول عن موقف التجلد وان غال دهري • او يزعجني تمر كالنح • او يجرحني قدح قادح او ان يدنس عرضي اولاد الزنا وان لفقوا في كذبا وزورا • او يخشوا حقي وان اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا • او اشمر للفرار وان اصابتني منهم عادية • او ابيت كالاغمار حتى تخفى علي من هو لهم خافية • لا سيما وقد دوخت مناكب الارض طولا وعرضا • واخترقت افاقها نشزا وخفضا • وجبت صعودها وهبوطها غورا ونجدا • وجست سهولها وحزونها قربا وبعدا • وصاحبت ملوكها عربا وعجما • ودرست اخبارهم نثرا ونظما • وشاهدت اثارهم شرقا وغربا • وسمعت سيرهم صدقا وكذبا • وعاشرت رؤساهم برا وبحرا • وقلبت ظهورهم بطنا وظهرا • وعرفت مذاهبهم سرا وجهرا • ولقيت في اسفاري غنى وفقرا • واصبت في اختلاف احوالي خيرا وشرا • وذقت في الدنيا حلوا ومرا • ونلت في تصاريفها نفعا وضرا • واحتملت من تكاليفها عسرا ويسرا • وامتريت اخلاف الزمان سمينا وظاعنا • وارتضعت افاويق الايام ظاهرا وباطنا • وحلبت شطر الدهر قائما وقاعدا • وقطعت اجواز الفلوات فارطا ورايدا • ولبست اطمار الاقتار باديا وعايدا • وسحبت سحائب الامور حالا وراحلا • وذللت رقاب الاهوال جادا وهازلا • ورضعت لبان الرياسة وليدا وطفلا • ووليت ديوان المجد ناشيا وكهلا • شعر

وجربت ما لو جرب الترب بعضه • لاصبح اذكى من اياس وافطنا
اذا شئت ان تلقى امرا بيع عينه

مجالسه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عجائب ما في الأرض طرًّا وأنا أنا • وها أنا أنفقت كيس العمر • وأنفقت أنفس الوفر • ولم يبق في العيبة غير الزري • وفي الدن غير الدردي • فلئن جحد الأعداء فضلي فما هو في الدنيا بأول مجحود • ولئن حسدوني على آدابي فما أنا بأول محسود • قد حُسد أبونا آدم عليه الصلوة والسلام في الجنة حتى أُهبط إلى الأرض من جوار الرحمن • وقتل هابيل قابيل حسدًا وتماديًا في العدوان • والنبي يوسف عليه الصلوة والسلام في الجب وبيع بأوكس الأثمان • وحُسد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى استعاذ من شر الحُسّاد مع مكانته ورسالته • وحُسد الأئمة رضوان الله عليهم حسدًا حتى تفرقوا في أقطار الأرض أوزاعًا وتمزقوا في البلاد والآفاق شَعاعًا • مع ظهور فضائلهم • ووضوح دلائلهم • وطهارة فروعهم وأصولهم • وإنارة غررهم وحجولهم • فما هدم قواعد مجدهم الحُسّاد • ولا ثلم ذرى نقدهم الساعون بالفساد • ولا قوض دعائم إيمانهم إنكار الأضداد • ولا نقض عرى أديانهم إصرار الإنكار •

ما ضرني أن أرى قومًا ذوي سفه • يرمونني بسهام البغض والحسد

ما كان أطيب عيش الدهر لو خلت • من حاسديه بحبال الأخذ عن يده

فقل للحاسد رأسه وبجر • وقده والعذر • وقفاه وجلود البقر • ومشاه وجنود الكدر • وحلقه والشوكة التزييط • وأنفه وفساء الخنبيط • عيناه نار • وعيناه عار • وكبده في ضلال • وسعيه في وبال • وليله ليل السليم • وطعامه طعام الأثيم • كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم • فإن زاد زدناه وكرة خاسرة • وإن عاد عدنا والفضل للحاضرة •

وله رقعة في معاتبة بعض أرباب القلم وهو من حجر بشر

ما أسهل الأشياء حين تروقها • قدرًا وأخرجها إذا لم تقدر

قد عرفت أدام الله سيدي عجائب الدوافع والشوافع • وطالعت أم الوسائل والمسائل • وتحققت أن النبعة إذا كانت كدرة لم تصفها العنايات • والطوية إذا كانت متغيرة لم تصلحها النذر والآيات • والمرء إذا لم يكن له من نفسه باعث على المروءة تبعثه عليها ضرب من الهذيان • وإذا لم تبعثه المكرمات بطبعه فهذه إداوة إلى الحرمان • وما أسهل الإحسان إذا تبرع به الإنسان • وأصعبه على من تعتريه في عقله النقصان • أعجب جماعة تراهم في الناس بأعمال الخير تكلفًا • وتزيد بهم تعسفًا وتقشفًا •

حتى اذا كشفت عنهم استعذت بالله من شرورهم • واذا عاملتهم ظهرت
الغلول في صدورهم • وليست الانسانية الا الوفا والصدق في القول
والفعل • ولا الحرية الا مجانبة الدغل والبخل • وسيدي ادام الله عزه يرى
بشرا ظاهرا • ثم يريني فالا جايرا • ويعاملني معاملة ناسك بوجه ضاحك
ثم يعاملني معاملة فاتك بسيف باتك • اخلاق كالدفلى يروق زهره
ويقتل طعمه • واطواق كالافعى يغر سكونه ويقتل سمه • فلا سلاسة
مزيدة وشدة • ولا دماثة مجردة وحدة • ولا ما قرنت اذ ذاك في قربه
رغبة • ولا لجج اجاج فلا اذوق منه شربة • منظر يدل على سهولة وخبر
ينبي عن حزونة • وقول يرضي بلينه وفعل يودي الى خشونة • فلا يقدر
على معاشرته الا من حفظ كتاب اقليدس وحل اشكاله • ولا يهتدي الى
معاملته الا من درس حساب ارشميدس واكثر استعماله • ولا يثبت
على اخلاقه الا من طار حلمه واقع • ولا يصبر على احتماله الا من اجنف
بالاضافة اليه ترف جازع • فلو عرفت ان لي في توادي عرضا فاذ يعود
كوكبه • او في تقاضيني سببا لا يدور كوكبه • او في مداجاتي فايدة
يستحلي ثمرها • او في مراآتي عايدة تستحق ذكرها • لاحتملته على علاته
ولاغضيت عن هفواته وزلاته • ولصبرت على تلونه ولو كان داعيا الى
المهاجرة • ولرضيت منه بالبخس في المبايعة والمتاجرة • ولكن ان له فلتات
عزم لا يبالي بعواقبها • وبوادر راي لا يفكر في خواطيها وسوابقها •
يحسن بلا قصد • ويسي بلا عمد • ويدني عدوه من عنايته اثريا •
ويخرج صديقه من نكايته ثريا • ويسعى في مصالح من لا يحمد سعيا
ويدع من يوده قعدة لا يطيق نشيا • وتفاضل الاخلاق في حسنها
في الناس حسب تفاضل الاخلاس • وان صلاح الامر يرجع كله فسادا
اذا الانسان خان به الجد • من لم يعرف اقدار النفوس الكريمة لم يعرف
بينها وبين البهيمة • ومن لم يصون الدرة اليتيمة • ركس لها في اليمة
ومن لم يغرس الآداب يقدح وان كان فذا • بنذا هلها بنذا • ومن لم
يحفظ من العلوم بطائل • لم يفرق فيها بين حق وباطل • والله ما
يضرني ان يؤخر جاري وانا في الفضل مقدم • او يجهل قدري جاهل
وانا عند العقلاء معظم • او يحال به على جهة عليلة • وانا سليم الغرض

بدرات

مجيد

صحيحه · صحيح الفضل صريحه · فليعلم سيدي ادام الله عزه ان الكريم لقليل
الجميل شاكر · كان اللئيم لكثيره كافر · والمحسن معان · والمسيء مهان ·
والليالي قروض كما تدين تدان · ومن شرط المروة والحرية ان يتصدق
في القضية · ولا يتقدم علي في مال الديوان من توخره صناعته عند
الامتحان · وانتقابا باني اجرى الناس في حلبة الشكر ومضماره · واجرم
على اعلانه واسراره · ان شاء الله

العقد المتحدث بالشكر في التزح لما انصرف من خدمته الترغيب وتعرضه السبب في ذلك

النعم ادام الله عز سيدي اذا لم تكن مربوطة بالشكر الدايم تبادرت اليها ايدي
الارتجاع · واذا لم تكن محوطة بتعهد الاذم هجمت عليها آفة الانقطاع ·
والشكر معين قوي على استزادة النعم واستدامتها · وامين على
استقامتها · لا اخلانا الله من التوفيق لشكر ما انعم علينا باطنا وظاهرا ·
والتقرب الى طاعته غاديا وباكرا · والعمل بما يرضيه جازعا وصابرا · انه
خير موفق ومعين · ولما علم امير المومنين سلمه الله عليه ان عبده
ضعيف القوة · قصير الخطو · غير ناهض بجزء من حقوق النعمة فكيف
بكلها · ولا مستقل بتفصيلها فضلا عن جملها · وان في بعض ما اسبغه عليه
من النعمة · وغمره من الخدمة · ما يشغل كاهله · ويستغرق وسايله
ويجاوز حدود امانيه · ويوفي على غاية اغراضه ومباغيه · راى اعلاه الله
ان يريح خاطره عن تعب الشكر · ويمحو عنه سمت العاجزين عن واجب
الشكر · ويصون نعمه لديه من ان تتناهى حد الكمال · فتكون داعية الى
الزوال · وتشارف حد التمام · فتصير موذنة بالانصرام · وهذه والله
نعمة اذا تاملها العاقل بعين الاستبصار · وعرضها على صريح الاعتبار
وجدها ايضا نعمة تتلوها نعمة ومكرمة تتبعها مكرمة · فلا يكاد يخلو العبد
في جميع اوقاته من نعمة مستفادة · ولا ينفك في ساير متصرفاته من فايدة
مقرونة بسعادة · جعل الله ايامه كلها مواسم الاقبال · وحماها من
حوادث التغيير والانتقال · واوزع عبده شكر مواهبه المحيطة به كيف
ما تصرفت احواله عليه · وحيثما وقفت الواقفة لفرصة وافتراص الراحة
لديه في غدوه ورواحه · بلطفه وعطفه · وحوله ومجده · ولما طال
تضرعي الحضرة الشريفة زادها الله في شرفها · وكثر سوالي في ذلك ليستبدل

بي من هو في مثل هذه الخدمة راغب . ولما رأوا وجهها طالب خاطب لنقطع
من السنة بحثا الذين تحالفوا على تلفيق الأباطيل . وتوافقوا على تنميق الأقاويل
واجتمعوا على كل ضلال وخلاف . وأوضعوا في ابتغاء أثره وإرجاف . ويجتهدوا
بأني لست ممن تعلو الأحوال بهمته وإن صارت شريفة وقدره . ولا أن ترفع الأموال
وإن كانت جليلة ذكره . أو يزيده التصرف في الأمور الفخمة شرفا وسناء أو يكسبه
التعلق بالأسباب الجليلة نورا وضياء . أو يحط العطلة من منزلته وجاهه
أو تؤثر العزلة في نباهته وانتباهه . أنعم على أمير المؤمنين بإعفاي وأراحني من
الكد والتعب وإن كان احتمال المتاعب في بلوغ رضاه عندي راحة . وركوب
المصاعب في النهوض بمفترضاته سلامة ونجاحة . لم يرض بهذه اليد البيضاء
والكرمة الغراء حتى وعدني بما سكنت إليه النفس واطمأنت . واتصلت بها
السعادة فتمكنت . وكساني من إحسانه ملابس تبلى الدنيا وهي قشيبة جديدة
وخصني من رضاه بمفاخر تفنى الأيام وهي حافظة عتيدة . ورقى من الترتيب
إلى مراتب عثت منها عيون الحساد . وخابت فيها ظنون الأضداد . والحمني
حسنها حتى أستعظم أن أشرح جزءا مما خصني به من النعم . وأدى ترك التصريح
بذكر مضرتها من الخدمة . وأوجبت على هذه الحال أن أقف قوى قوتي . وأصرف
أقصى قدرتي . إلى الابتهال إلى الله سبحانه في تشييد ملكه وتخليده . وإدامة
عزه وتأبيده . وإعلاء رايته حتى يفتح تحتها مشارق الأرض ومغاربها . و
تنفسح على أوليائه وعبيده وعساكره وجنوده أقطارها ومناكبها . والله
ولي الإجابة بمنه وفضله . ولما علمت اشتغال قلب سيدي أدام الله عزه
بما تجدد من الأمر . وتقسم فكره لانصرافي عن الخدمة . وإن كنت بعدي عنها
منشرح الصدر لأنني من إرجاف الأعداء بما لعله يكسبه ضيق صدر و ضعف
نفس . أو يومي إليه ما يتفقه في اختلاط وليس . فعلقت هذه الأحرف
بشرح ما جرى ليعرف صورة الحال ويجري على عادته في مكاتبتي بما يسنح له من
المهام والأشغال . ومطالعتي من أخبار سلامته بما أسكن إليه وأعتد به إن
شاء الله تعالى **الصدر له بالشام مطالعة له بما جرى**
إن من حكم ما شرفني به أمير المؤمنين سلام الله عليه من إنعامه الذي أشرف
الوهاد به مصاد الربى . وسار في الأقطار ذكره وخبره . ولهج به الصادر والوارد
وتعجب منه الودود والحاسد . ونطقت الألسن بموقع حاله . واتفقت النفوس

في

على عظم خدمه وجلالها بما لا يسع اخفاؤه عمن يضرب في الدولة القاهرة بسهم • او ينتمي اليها بذكر او اسم • او يتحلى بشعارها باطنا وظاهرا • او يتصرف على اختيارها غائبا وحاضرا • اشارة بذكر احسانه ودلالة في علو قدره وشانه • واستعانة بمن يجري واياه ظلها الظليل وعزها المستطيل • على التحدث بمواجب النعمة • والتهالك في لوازم الخدمة واستدامة حلول النعمة • والارتهان بما يؤذن بالسعادة في العقبى • ومن عند الله المعونة • وبيده التوفيق والتسديد • ولما نظر امير المؤمنين • سلام الله عليه بعين الرضا الى عبده وجرده بعد الاختيار والاختبار من عبده • وخصه بجلائل الاصطناع والاقتناء • وآثره بالاثرة والترتيب من بين النظراء والاكفاء • ورقاه في المعالي الى حيث قصرت دونه الاوهام • وقصرت من المساحة بمثله الايام • واضاف الى نعم المقدمة عند عبده انعمه جديدة • والى مواهبه التليدة لديه موهبة طارفة عتيدة • وكانت رغبتي في اعتقاد مودة سيدي ادام الله عزه والتكفل بما يؤدي الى مسرته • والتوصل الى ما يشيد قواعد خدمته • وتجاوز حد امنيته • رغبة من يرى السبق في مصالح الدولة غنيمة • واستعطاف القلوب على طاعتها سعادة عظيمة • وكان سيدي ادام الله سعادته ممن له فيها الولاء المشهور • والوفاء المحمود • والمساعي المشكورة • التي لا يجحدون آثارها • ولا يبعدون منارها • والمقامات المعروفة التي اشتهرت آثارها • وسارت في البلاد بعيد اخبارها • واتضح صراطها • وارتفع مناطها • واسفر صباحها • وانجح مراحها • احدثت اليه عند هذه الاحوال المتجددة ما تحققت انه يتحمل به سرورا واعتدادا • ويزداد بمكانه قوة واعتضادا • ويبذل فيما يختص به اليه من ابواب الخدمة جهدا واجتهادا • ويشاركني في هذه المحنة التي يضيق مجال الشكر عن القيام بلوازمها • وتنبئ بما في الدهر من محاسن اعدائها ومعالمها • ويكاتبني في كل وقت باخباره واوطاره ان شاء الله تعالى

معاتبة وشكاية الى رئيس من احد قواده وهو الطريق المقتصد

انا اذا هممت اطال الله بقاء سيدي الشيخ بذكر ما جرى علي من فلان وجدت يدي تنقبض بنانها عن ان تكتب • وتحجم بلساني عن ان تطنب او تسهب • واذا تذكرت ما سلف له عندي من النعم التي يرى

الشكر والشكوى

بجحودها كفر . والاعتراف بالعجز عن مقابلتها بما يجب من الشكر شكر . ورأيت
ان رعاية تلك الحرمات . وعمارة تلك المودات . أليق بالمروة . وادل على
طهارة الاصل والابوة . فان اكثر من ادام في زماننا هذا لا يحفظون لعقد
حقا ولا حرمة . ولا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة . ولكن الاجل الجليل
وما على المحسنين من سبيل . وسيدي ادام الله كفايته يعلم انني خاطبته
في مناجيّ . وعارف بطريق العتب والعتبى . فمن اتقى فالى اتقى فبر الحق دينا .
ومن باع في بخس فقد خسر خسرانا مبينا . وليس العاقل من يحب اكتساب
المكارم . ثم يابى احتمال المغارم . ولا كل احد يحسن ان يحسن . ولا كل محسن
يجيد ان يمتن . بل العاقل عندي من يعرف اين يضع الصنيعة . وكيف
يحفظ الوديعة . ويستجهد السائل . وابطال المسائل والوسائل .
فان الدنيا فانية سريع انهدامها . وشيك انقضاؤها . والسعيد من يعمل
فيها ما يجد مغبته . والشقي من يقدم ما يسوء عاقبته . ويخشى عقوبته
ثم لو اجراني فلان دعمه الله على ما كنت عليه قديما من حسن العهد . وثبات العقد
وصحة الود . وصدق الوعد . وابتناء المجد . واقتناء الشكر والحمد . لسقى الفرع
الذي غرسه . ولشيد البنا الذي اسسه . وجرى على طريقته الاولى . التي
هي بي اولى . ولكفاني مؤنة التعرض للشكوى . ولكنه زلزل حرماتي سابقة
وآمالي على عتباته راجعة . فاستطاب الاقتضاء . واستحسن الاعتداء . ونقض
الازدهاء . واساء الاثناء . واستضعفني لما شكت . واستغرني لما سكت
والجأني الى حالة انا عليها صابر الى ان تنطفي جمرتها . وتنجلي غمرتها . وتسكن
فورتها . وتهدأ سورتها . واسلم امري الى من اسلم من خبره وغائلته
وخبث عداوته وعاديته . وحكمه في مال الديوان من لا خلاف له . ليصيب
برحمته من يشا . ويصرف عمن يشا . فليت شعري ادام الله عز سيدي
هل بعد خروج التوقيع المعظم باليد العالية بسطها الله بالقدرة في بابي بغية
للراغب . ومحجة للطالب . ام هل كلام غيري بالحضرة زادها الله في جلالتها
اذا اشكل مسموع . وكلامي مدفوع . وقول سواي فيها مقبول . وقولي مردود
ام هل على الكافة غيري فيها يكرعون فيها حال الا . ويتسكعون في رياضها
يمينا وشمالا . ايجوز ان يدلني فلان على مصالح اموالي ثم يفسدها . ويقف
الى وجوه مناجحي ثم يسدها . ويشير بكلام ثم يعقدها . ويبدا بالعارفة

ثم

ثم ينكدها . ام يحسن بمن ابرم حالي فينبها نقضا . ام اصافيه في المحبة
فيجازيني عليها بغضا . ام اخيبه لذكر محاسنه وهو راقد . ام اقوم لنشر
فضائله وهو قاعد . ام اعاتبه فلا يبدي عذرا . ام اصاحبه فلا يستطيع
معي صبرا . ولكني مع هذا احتمل على علاته . واشكره على جناياته . واداريه
على افعاله في جميع اوقاته . واوقره لعينيه ورفاته . واعذره وان لم احظ
منه بطائل . واقول ما حيلة الريح اذا هب من داخل . وانشد للبحتري

اقلل عتاب من استربت بوده . ليست تنال مودة بعتاب .

واري ان في ايحاشي عصابة هم اعضادي الذين بهم اطاول واصاول ولكنا
وانا ضنين بشئ لا قدر له وانا استغفر الله لولا ازمت الصدقات التي يتبرك
بها . ويتشرف بالقليل منها هدفا لما بختم . وتكذيبا لما ادعيتم . ومحادا
في دين الموالاة . وابعادا للشروط المصافاة . وابطالا لحقوق ارعاها
ربي العشاق الكواكب . واعجب منها ما دامت الايام تبدي العجائب . واسكت
وجوارحي ناطقة . واحكم وحالي الى الشكاية سابقة . وسيدي ادام الله عزه
ولي التفضل على هذه الجملة واستقباح ما جرى من خيره . وتقريعه ضميري
لاعتدائه وتعديه . وتصرفي بين اوامره ونواهيه . معانا بالتوفيق ان
شاء الله تعالى . **الى الزعفراني طالب ابن بث الزيد بجوابه**

رقعة

وصلت رقعة الشريف الاديب اطال الله مدته . وادام سعادته
وحرسه من نوائب الدهر ومحنته . مشتملة على ما يتفضل به من ذكره الى دار فلان
نسيبي . وناطقة بما ذكره من ايصال رقعتي من يده الى يده . اعطاه الله كتابا
بشماله . ولقاه عاجلا آجلا سيئات اعماله . وزعمت ما وعد به وتحققت
انه اكذب من عرقوب ميعادا . واسوأ من ابليس في الاخبار اعتقادا . لا
ينفعني عنده الرقاع والكتب . ولا يرفعني لديه العلم والادب . ولا تنفق
عليه بضاعة كريم . ولا يحظى لديه غير ساع لئيم . وانما هو عابي الطبع شرف
الاصل والفرع . سخط الزمان على اهل الفضل فاشقاهم واسعده . ومال
اليه فقوم اوده . وانقبض عنهم فبسط يده . ورفعه من وهدة الخلود
الى فوق السماء . ومن الحضيض الحقير الى الطارم الاثير . ومن مساسات الخيط
والابرة . الى تدبير الملك والحضرة . فهل تعرف لمثل آدم عليه السلام نسبا
خلا من اللؤم حرفة . ام هل سمعت في ايامه قولا ظهر فيه صدقه . فاحوج

الى ان يستبين بطلانه ويحدث في جي لسانه ويخشو دبيبه المدينة جمعا
ويرجع كتيبته بجايعين قلبا ويرد الزمان الى قيمته الخسيسة وهمل لرقيعه
ويبليه الدهر بنذل مثله فاشلد في الناس الابهية ويعلمنا من دقت سود
وجوه الكرام بتسويد اشاله وضع عن اخطار الفضلاء اذا اخطره بباله
ويرحم الله عبدا قال امينا قد قنعت ادام الله تأييد الشريف الاديب بان لا
يمهد لي بالحضرة الجليلة بساطا ولا يوفر من عنايته ورعايته اقساطا ويبني
مع خصمي من غير ان يتعصب له وعلي او يحسن اليه ويسيء الي ويكفني مؤنته
ويجرني معونته ويسكت لا قول بالحضرة تقرير حالي بلساني واتولى بها تحلي
مكاني واوضح بها سبب ما تخالفنا وترافعنا عليه وانزح من امري ما لا يهتدي
غيري اليه واما ذلك الفسل الكاذب لا الكاتب فلساني الكريم من ان اجري بذمه
وسناني اعز من ان اقرعه بذمه وبضاعته اخس من ان يعرضها في سوق
ونفسه اقصر من ان ينتخ عندي بزوق اذ هو ليس بمجوسي فيعتقد اكرام الموبذ
وعبادة النيران ولا يهودي فيقول بتعظيم السبت والديان ولا نصراني
فيقبل على تقبيل القربان واستقبال الصلبان ولا مسلم فيتحلى بالايمان
ويشتغل بقراءة القرآن ولا وثني فيعكف على السجود للاصنام والاوثان
وانما هو سوفسطائي مجهول اختار لنفسه مذهبا فصير ظهره لغلامه مركبا
ووجد ابن الوسطاني من دماغه ثاقبا وعقله مضطربا لحمل جبنه وبتن
الحمقة نسبا فهو الى الان لا يعرف غير جحر البلد الاخيم وابتغاء النثر الذي
يمكنه ويرديه ولولا ان قدره عندي اصغر من ان اخاطبه وقيمته احقر
لدي من ان اعاتبه لاقتحمت بحره والخفت من نادي فيه ما يصليه سقر
والشريف الاديب ادام الله فضله اولى من ان يجل قدمه من الركوب الى خطه
ويطهر عرضه من مخاطبته ومعاتبته وموافقته لها يلعب في حقه ومحاسبته
فلا بد من ان الايام باذن الله ومشيئته وحوله وقوته تنفض عنا هذا
الغبار ويعقب هذا الاصطبار انتصار ويكافي كلا منا على قدر اعتقاده
وتبلغه في وليه وعدوه غاية مراده وما ذلك ببعيد وحسبنا الله ونعم
الوكيل الى سني الدولة القاهرة خبيرا بما لزمه من التفضل
والتمييز في ماتم

الحق احق ما يتبع الانسان طريقته
والصدق اصدق ما يشيد بالمروة فاحضرت فقط صفقته لحق

ولك

وان كسد لسوقها ولا ربحت تجارة مبطل لأن الباطل كان زهوقا والعبد
بعين الله ملحوظ ومن نقمته محفوظ ما جعل الحق امامه والصدق امامه وما زاغا
عن سننها او زاغ وحاد عن سننها وزاغ واتخذ الهه هواه وتخطى الحد وتعداه
وانتقضت قواه وتقوضت بناه وهوى في ورطة لا ينتعش منها العاثر ويتيه
فيها الحائر ومن عند الله نسأل توفيقا ينقذنا من الجهالة ويهدينا من الضلالة ويبعثنا
على طاعة الحق من تحقق بها الطاعة تحلى من الخير خلاصة ومن جهل بها نقيصة سلم من الشبهة
دينه انه خير موفق ومعين ومنذ رجعت من عند سيدي الشريف سيف الدولة
ادام الله سلامته وجرى في امر العبسي خطاب بل خطب وعتاب بل عتب ارى في
خاطري لما اخطرت حديثه به فتورا وملالة وفي لساني لما هممت في ذكره كلولة
وكلالة وناهيك بشوم من يصد الخاطر اذا تصوره ويكل اللسان اذا ذكره
ويعمي الناظر اذا ابصره ويطبع الطبع اذا خبره واقول ان زمانا يشبع اشباعه
والكلب جائع ويحيي امثاله والفاضل ضائع ويصعد نظراؤه ويغرب زيد وعمرو
ويطلق قرناؤه والعالم في قيد واسر لحقيق بان يستنقص ويستضعف
ويستعجز ويستهون وينسب الى التناقض احواله والى التباين افعاله

تامل فما سببا بالزمان ضريبة * وانظر فما ان يعلو الناس احمق

ثم كان سيدي ايده الله قال لي انه اذا خلا بالعارجي وجاراه في حديث
العبسي وقدح حتى حط وقصف اذ جرى ما بلغ ابن مقلة الى ان شط سمع منه
فيه من اظهار معايبه ومساويه والطنز والسخرية منه والاستهزاء بحكاياته والضحك
من اشاراته والتعاجب من تتبع سقطاته وكشف عوراته والتنبيه على غباوته
وجنونه وقلة دينه وكثرة مجونه وحكاية تماته اذا تبادى واستخف بالكاسرة
وتفارت واستخف بالاكاسرة وتيهه اذا انفرد في مجلسه لتعزه غلمانه وتجبره
خدامه وكبره اذا قام بين يديه لحجه شزرا ويواعده شرا وترفعه من الناس
اذا سلم بطرف كفه وتبسمه ببعض فيه وانتهاره للعامة اذا طلبوا من صنائعه
واشارته لهم باطراف اصابعه وتوهم جلالة موقعه عند سلطانه وتمكنه من
اسرار ديوانه واعتداده بسوابق خدمته وتسلطه على الغرباء الذين لا
يعرفون حقيقة امره ولا يقفون على سقوط نفسه وقدره بلطائف الحيل حتى
يسحرهم ويلقيهم ويأخذ برطيلهم وتهاونه اذا وصل كاتبا بطنترا وتقطبه
اذا جلس كان في ذنبه وزرا وتظاهره باحتياله واغتياله وترأسه وتسكته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بجانبه وجله . واكشف لك عن غطا امري . واطلعك على كوني
بزي . وادلك على السبب الذي يقتضي ان اقبل ولا ادعى . ويدعى
غيري الى المجالس ولا ادعى . واجنا وغيري يجل ويكرم . واني وسواي
يصد ويتقدم . لي ادوات عرفت عند حضور المايدة عادة
رديه . وفي غيظ السمان حرقة جليه . تزهدني في كل من يضرب
في الحسنة بقدح . وتحيفان على كل من يرجع في طبعه الى لوم وشح
لاني ابرك كالجمل الجايع على الجفان . وادق فاصلخ الجفان
واستاصل تفاحات الزعفران . واقلع عيون البقلة . وابلغ
دماغ راس السلاقة . واقبض على قانصة الكركي كالعقاب الكاسر
واغوص كالتمساح على القضبان في المصارين . والتهم من الجدي
كليتيه . ومن الخروف خصيتيه . واكشح شم الكلى وطرفي على الطرف
واستلم النقار وقلبي الى الكتف . ولا ادع احدا يسابقني الى
المخ . ويبادرني الى التقاط الفرخ . واستاثر من السمك المالح
بسرته . واقبض بالخمس على لهنا كله تحل وخاصرته . واتناول من
الشبوط قذاله ومذاله . وافتح للدور المستمر اعضاه واوصاله
واخترق كبود الدجاج . وصدور الدراج . والتقط الاطايب
من سكباج البقرية . كالاوز . وقطع السنام من الجزورية . و
ادور بالمايدة فلا اخلي سنبوسة الا اشويها ولا سكبوجة الا
اكبها . ولا مقلية الا اقلبها . ولا جوذابة الا اجذبها . ولا طبلة
الا امعن اكلها . ولا مغمومة الا اجتث اصلها . ولا روسا مشوية الا اعيها
ولا الوانا غريبة الا افنيها . ولا اقلي القلايا وان كانت قليلة . كما
لا احب الاخلة وان كانت طويلة . واختطف كل حمل مصوص
وكل فرخ رخيص . واذا رايت الارز باللبن فاني من بني الطفارة او
بني قشير . واذا شاهدت الفالوذج فانا من بني الراسب او من بني
نمير . واكرع في البهطة كالبط . واضرب على الزناج بالصفايح
والف اللفافات . واصول على الكماه كالكماة . وارغب من البيض
المصلوق في الاجاج . ولا ابقي من العصفور غير الجناح . واهجم
على القطايف فاكلها الكلا لما . واتي على الخبايص فاستاصلها خضما

ونطقه وصلفه وتكبره وكيده وحسده ولدده وتشبهه بالعقرب لا تبالي بمن
لدغته رضيعا كان او فتيا ونبيا كان او ذميا ما جبل عليه طبعه ويقرب منه سمعه
ويتباعد عنه عقله وتصغر عنده نفسه ويكبر طيشه ويخفض عيشه ويصبح بين
مصدق ومكذب ويمسي بين متغضب ومتعجب وينشده

ان لم يكن ما قلته حسدا * فحذار منه فانه كلب

ثم اذا قرن بالمتنبي وذكر الفارسي وما له من ذكائه وفهمه ومن قدر صناعته
وعلمه ابتدا يثب في الفلك عطارده وتنبري في الكتاب واحدا فواحد وبالغ
في شتم عبد الحميد وذمه واعضه ببظر امه وزعم ان الخط وحي من السماء نزل
عليه والبلاغة سر من النبوة اوحي اليه وان القلم الذي يكتب به امضى من قلم الله
واجرى والذي ينظمه اولى بان يكون معجزا واحرى وان العقل لو تجسم لتمثل قدما
والفلك لو تكلم لمدح قلمه والاقاليم لولا تدبيره لما استقامت سهولها ووعورها
والدولة لولا آرايه لما انتظمت احوالها وامورها ثم نعود الى ذكر الفارسي فنقول
ذاك صبي غبي لم يقرأ قط على استاذ حرفا ولم يرفع بين يدي عالم طرفا ولم يبدع
الا بعد ما درج الناس فيه ولم يستخدم الا حين عدم الكتاب وقد خف ولم
يصنف الا بعد ما خلا جو من صايده ولم يرد الامر على الرياسة وتمدد ساعده
ولم ينتش منذ كان كاتبا الا وما كتبه غلط ومعظمه سقط واقصر زيد يذهب
جنا وتعجب منه نكره جنا واجلده فاسد المباني واعلاه شارد المعاني
واسلمه مضطرب المقاصيد واحكمه واهي القواعد واعذبه تصحيف واصوبه تحريف
واعذبه منقول من مكان الى مكان واعذبه مجلوب من رسائل فلان وفلان
فلا يفرق بين ضعيف الكلام وقويه ولا يميز خفي النظام من جليه ولا يدري
فرعه من اصله ولا تمييز من فصله ثم ان شاورته فجول وان عاشرته فملول وان ذاكرته
فجهول وان استنصرته فخذول وان وعدته فمطول وان عاقبته فحرول وان
سالته فبخيل وان مثلته فذليل وان تاملته فثقيل وان قتلته فسهل
فان حملته فاثقل وان سالته فكليل وفاذ يتاني واخلاقه اخلاق وعنده
حدث وعنده ينكث مستحيل المعنى يجري الى الحق وجري في جانب الجامع
والحاجب وذكره من الفضائح والقبائح ما يستكف الانسان من استماعه ويهرب
المكان من استقصائه ويانف الفاضل من ان يحكيه ويتحرج العاقل من ان
يحكيه ثم ذكر الشيخ ادام الله عزه ما زاد بعد هذه النقيصة ذكره ووسع لنا

ابن المقفع

حده

صدره، واستفرغ جهده، وبذل وكده، حتى عبرهما بعد اجتهاده، واختبر
كل واحد منهما على انفراده، ولم يعد الكشف والتفتيش وجدهما متقاربين متماثلين،
وصادفهما في الخصام متساويين متعادلين، ولم يثبت لواحد منهما برهان نطق بأنه
افضل من صاحبه، ولم تقم دليل بان الحق له دون منازعه ومحاربه، ولم ينفع بشهادة
العدول التي بمثلها تفصل الاحكام صحة دعوى أحد الخصمين فتكون له الحجة الداحضة
وتجلى له الشبهة العارضة، ويزول الخلاف، ويقع الاقرار والاعتراف، ويبطل كذب
القاسط، ويتبين حق المقسط عند الوسائط، ثم خاطب شيخا فهما بانه لم يقتصر
على ما كان في نفسه من قرب المقايسة بين الخصمين، وفرط المجانسة بين الاثنين،
مع فضل رجاحة وصحة تمييز، وقلة رضاه بمباهتة عقله ومغالطة نفسه،
حتى استوضح امرهما من طائفة يتحلون بهذه الصناعة، ويتسمون بهذه الحرفة القضا
وان كان وجوه المتحلين بها في هذا الزمان عطلا، وصدور المتسمين بها اذا
تصفحتهم غفلا، فلم تحصل له منهم على ما كان عنده زيادة، ولم تخبت اليه بخلاف ما كان في
غالب ظنه شهادة، بل وجد العقائد كلها متساوية، والمقاييس متدانية، والاقاويل
متقاربة، والاسانيد متناسبة، وقد زاد في الاستقصا حقه وزاد، وجاوز حد التناهي
او كاد، فلم يكفه مؤونة ما طلبه، ولم يكفه الزاد الذي احتمله، فوقف وتقهقر الحائر وصار
يجبن عن تقديم احدهما على الاخر، ولا يهتدي للفرق بين الناقص والفاضل،
وتمييز العاقل من الجاهل، فلا يدري كيف يبين عوار الكاذب، ويأخذ بثار الحق
ثم سالني سهل الله مطالبه، وحقق في السعادة مذاهبه، ان اخرجه من لجة الظلمة، الى
نور الحكمة، وان اخلصه من تكلف الخصومة، بفصل الحكومة، والح في السؤال، ولج في المقال،
فاستعفيت وابيت، وتضرعت وتشفعت، فكرر الكلام واعاد، والحف فيما سال
وزاد، واظهر لي وحشته اذا كنت على ما احتججت، واستحيا في ان اخالف بعضا بما احتج،
ورأى بنوع انه ذكر على ما احتج، ولم يقنع بهذه الحالة حتى حلف الا يجاورني، ولا
يعاشرني ويبارزني ولا يصادقني، فما تمنى ان عرضته فيما سالني عنه معرفة ما عندي
فقط ليتعرف على حكم ما اعتقده، ويعتقد الصواب الذي اعتمده، واكره منه ان اخرج
له مقدار صناعتها ومبلغ بضاعتها غير متجانف لاثم، ولا حائف في حكم، ولا
مائل الى واحد منهما بالعصبية او سوء نية، وان احكم بينهما بالسوية، واعدل في القضية
واجانب جانب التحامل والتعنت، واتسنم غارب التأني والتثبت، ولا اجاوز طريقة
الوسائط في الحكم، ولا احاول غايات الخصم، وان اقرر الذي اذكره من حالهما بحيث لا اضيع

عند التمييز شهد بحقيقته . واذا انفسح سجل القاضي على ثبوته عنده وصحته . فلا احتياج
عند الاختبار موقف الاعتذار . ولا عجز عند الامتحان من اقامة البرهان . او الزم
بحجة المتزيد في الكلام . او تعرض تعرض الملام . ووالله لا عيب في هذا البيت الا كلمي
وما وضعته حرة . ولا ادبته نفس حرة . لقد كلفني شططا . وسامني خططا . واذا
مضضا . ونصبني لسهام التهمة غرضا . وحشمني ما لو صدقت فيه لجلبت
دمارا واثاما . واكتسبت اثما واثاما . وحملني فيما ان انصفت في ذكره غرست
ما لا يثمر غير العداوة والبغضاء . واثبت ما لا يفيد غير الحقد والشحناء .
ولقد تمنيت وعناية قسما لو كلف فصل هذه الحكومة غيري ممن جاء الحق من جهة
الاسد . ووجها اصلب من ظهر الجلد . وجنانا امضى من القدر المتاح . وكلاما
اطرب من غناء الملاح على الراح . ولو فعل ذلك لقصد تر في الخصام مع ما في
يشهد الله كنت لا اخفي على سيدي الشريف لو اراه غرة الصبح وهو مسفر . والليل
وهو معتكر . وان البيان اغنى عن التعلق باخبار الاحاد . والمشاهدة تكفيه
تكلف الارتياد والاجتهاد . وكنت اقدر انه اذا قاس قارب في قياسه . واذا تأمل
امن عاقبة امره من اشكاله والتباسه . وانه من العقل الاصيل على مذهب
يستصعب العاجز فيه صعوده . ومن جودة التحصيل على مرقب يستصعب الدائم
صعوده . وانه عند البحث والاختيار لا يزداد الا صفاء وصقالا . وعند
الانتقاد والاختبار لا يكتسب الا نقاء وجمالا . فليت شعري لم عدل عن الحق
وكان اليه عادلا . ومال عن الصواب وكان اليه مائلا . ولم اخطا في فراسته
ولم يكن دابه فائلا . ولم قبل المحال ولم يكن له قابلا . ولم تجاهل في هذه
القضية وهو علم اهل زمانه . ولم تأخر عن مضمار السكيت وكان السابق
في مضماره وميدانه . ولم غرس رايب بقيعته . وانخدع في غير موضع الخديعة .
ولم ترك في اعتماد الواجب عادته . وملك الهوى مقادته . وكيف رضي بان يمحى اسمه
من صحائف المنصفين . ويثبته في جرايد المسرفين . ولم ضل سبيل الحق وكان اهدى
من القطا اليها . واثبت من الجبال عليها . ومن اية الطرق اتاه الالتباس حتى لم يفضل
من يباري الكهول وهو في ريق شبابه على من يباري الجانين في اضطرابه وانقلابه .
ولم يرشد . حرسه الله في مرموقه على شخصين ما فيهما حظ لمحتاد . ولم يسم
يعرف من عنوان الكتاب ما في باطنه . ولم قاس لذلك العصا في ماخذه واسنه . ولم لم
يهتد افكاره الصحيحة . ونتايجها القريحة . الى معرفة الاشكال والصور . والفرق

بين

بين العهد والقرب • وقد خبئت عنه الشمس والسماء مصحية • وقد استعان في الانتقاد بعين ورد فطنته جودية • وحق لمن يمشي مع العور ان يرى • وان لم يخص عينيه متعاورا • والله يعلم ان سيدي الشريف ادام الله عزه لفي غنى لحق تفرق من الكاتب والكاذب • ومن الخاطب والحاطب • وممن الذي اشتهرت ابواب خيره وسداده • ومن يكابر بدراعته وعمامته جعله الله ممن لا يضله هواه • ولا يزول قدمه عن رضاه • ولا يميل الا مع الحق كيفما مال • ولا يقول غير الصدق اذا قال • ولا يمشي الا على سواء الصراط • ولا يعدل عن الانصاف والاقساط • ولا يتحلى بالحيف والاشطاط • ولا يكون مع التفريط والافراط • واغناه عن معاشرة وجوه اللئام • ووقاه حوادث الليالي والايام انه متفضل بالخير ووليه •

الى الشريف القاضي بعلة من بصره عوفي منها

كتابي اطال الله بقاء سيدي الشريف القاضي وادام الله سلامته وسعادته وانا متصرف على حكم اختياري تحت ظل الدولة العالية الغالية وكنفها • وملتحف بضفافي عزها لدينا وشرفها • والحمد لله على جميل انعامه وافضاله • والصلوة والسلام على محمد والطاهرين من آله • ولدي وعندي جنايات بعدة قد اثبتها في صحايفي لاوقفه على كثيرها وقليلها • ونكايات جمة قد كتبتها في جرايدي لاعاتبه على جلها وتفصيلها فمنها رضي بالتفريق بيني وبينه • وحرمني الانس الذي كان بقرب ما جرى عن بعده وبينه • ومنها ما اظهره من سوء تشييعه حين اخرج يوم خروجي حين تاخرت عن تشييعه وتوديعه • ومنها • ومنها • الى غاية لا تنتهي • والسكوت اولى واحرى • ولو جئت اليوم دهري من ذنوبه التي جناها مستغفرا • واقبل علي من اساءته التي اتاها متنصلا ومعتذرا • لما عفوت عن كبايره • ولما صفحت عن جرايمه وجرايره • ولما اغضيت على اقذائه الذميمة • ولما غضضت على اغلاظه اللئيمة • الا بان يتقرب الي بتيسير سبيل الاجتماع بيننا واللقاء • ويشكو برد الثلج في حرارة البرحاء • نفسي الى الحج اذا الى سيكه • واصفح عن جويرته وجرمه • وما ذلك على الله بعزيز ان ييسر النفس • وبعيد الانس • بمشاهدته بلطفه وحده • ثم كنت حسبت ان سيدي الشريف ادام الله عزه لا ينسى العصم الدينية التي تضمنا • والذمم الوثيقة التي تجمعنا وتنظمنا • والاحوال التي سلفت في الموالات فلا يهتدي الزمان الى انتقاضها • و الاسباب التي خلصت في المصافات فلا تحمل الشوائب بعراضها • وانه وان كانت بيننا بهذه المحضرة صديقا • او كان بيننا وبين اخي في المراسلة طريقا كنت انا المبتدئ بها

والمنوّه بذكره · بل كنت اوله الجريدة · وبيت القصيدة · وعنوان الكتاب وعنفوان الشباب · وهلال السماء · والوسمي من الانواء · وطراز الثوب · ومقدمة الوفد · وواسطة العقد · ونبل الكنانة · وباكورة الربيع · وصدر الديوان · والسابق في الميدان · وعقيلة الحي · لما تحقق من اعتداده بوفائه · واعتمادي على امانته · وارتياح نفسي بجارة احواله · وانشراح صدري لانتظام امره واعتداله فما رايته كتبه على اصدقائه متقاطرة · والاجازة من اصدقائه متوالية · ولم يوصلني من جملتها بسطر واحد · او بسلام يقاربه · او سؤال عن حال · او اخطار بما علمت ان تلك المواعيد التي كانت بيننا في المودة مادت ومالت · وساعدها بادت واستحالت · ومواردها طرقت فتكدرت · ومشاهدها خبثت فتغيرت ثم حضر لي اخي اصدقي فلان · ومعه كتابا اليه يشتمل خبر سلامته الذي هو اطيب ما يبغيه سمعي · ويقبله طبعي · وينشرح له صدري · ويدوم عليه لله سبحانه شكري · ومطرزا بشكره البالغ للشريف الامير تاج المعالي ادام الله تاييده على ما زال يفيضه عليه من جميل · ويخصه به من اعظام وتبجيل · ويسديه اليه من عقائل مواهبه · ويشرفه به من جلائل مراتبه · جريا على كريم اعراقه وشريف اخلاقه · في صلة اسباب الرحم · وعمارة ابواب الكرم · وتشييد مباني المجد والعلا · ووضع صنايعه مواضع النماء والزكاء · ومن يحاول وصف ما امتدت على اهل تلك المنازل الكريمة · والمشاهد العظيمة · والبقاع المطهرة · والاصقاع المقدسة الموقرة · من ظلال عدله · وشملهم من افضاله وفضله · الى ما ذكره من فضائله التي تتضائل في ضمنها وضمانها فضائل الايام · وتجدد مجدا لها وجلد لها جباه الانام · وشرح من محاسنه التي يتسع المقال بذكرها · ويتفسح المجال في نشرها · فقراته الى اخره وعندي من اولياء الدولة طائفة نزلت بجماعة من اولى بانهم جيرة الله وحرم رسوله ومهبط وحيه وتنزيله · ممن هو بضعة من النبوة · ودوحة المجد والمروءة · ومعجون من طيب الامامة والرياسة · وموسوم بسمة الزعامة والسياسة · وصارت جوارحهم كلها السنة ناطقة · بتبتل الى الله في استدامة عمره وادامة ذكره واستقامة امره · واذا عدل سيدي الشريف القاضي ادام الله عزه عن طريق الجفاء الذي لا يليق بعدله وفضله · ولا يستحسن من كرمه وصله وذكرني في منازل الرحمة التي جوارحي اليها سوابق · وان عاقتني دونها العوائق

بجمع مستمع ومحو الطيبة

وافضال

واعضائي نحوها نوازع. وان عدتني عنها العوادي والقواطع. وكانني بها نادوا وطاره
ويشوقني بها ارتفاع لامع طيلسان اخباره. فلديني منه. واكسبني منه. الى الامير
ابى القاسم بن ولي العهد بعض يستعفيه عن ركابه
الامير اطال الله بقاه وادام تاييده من ان اذا نشرت صحيفتي فبذكر فضائله
انشرها. واذا كتبت جديدي في فعلى وصف فضائله ومكارمه اكسبها. واذا عددت
فضائل الايام فعليه مبتدا ما انثني. واذا انتقدت سادة الانام فبه اولا افتتح
وعليه اثني. واذا تصفحت عين اهل هذا الزمان وجدته في الماثر ادونهم بعادا
واطولهم نجادا. واوراهم زنادا. وانفعهم جهادا. واخصبهم مرادا. واكثرهم حسادا
واسبقهم جوادا. واصدقهم ميعادا. وكيف لا يكون بهذه الصورة وهو من
الشرف على شرف لا يجد الوهم سبيلا في حد دونه فضلا عن ذروته. ومن النسب
على مرقب لا ينال الفكر مطارا بعقوته فضلا عن نجوته. ومن كرم الاخلاق
في ملابس لم يقدر الدهر على اخلاق جدتها. ومن طيب الاعراق في مغارس لا
يستطيع الزمان ابلا بردتها. ومن غرائب الاداب في مراتب لا تطمع الحوادث في
افناء مدتها. فهناه الله بهذه المناقب التي لم يرتقها من تقدم في البلاد
وتوقف. ولم يسمع بمثلها من تصرف في العلوم وصنف. ولا زالت
طلائع الاقبال عليه مقبلة. وبدايع الحلول لديه متصلة. ومحاسن الايام
عليه مشتملة. واحكام الزمان لامره ممتثلة. ثم ما تاخرت عن حضرة الامير
زاد الله في جلال ابتهاجه الا لتاخري بسبب سقوطي عن الدابة في اليوم الثاني من
العيد. واصابني توهن في الركبة منعني عن الركوب لتهنية السادة. وقطعني
عما كنت اعتقده من جميع العادة. حتى لم اقض فرض الصلاة الا قاعدا. ولم تمكني
الحركة الا مائلا او ساندا. وقد زال بحمد الله وجميل صنعه من الوهن اكثره ولم
يبق من الضعف الا يسيره. وساركب بعون الله وحسن توفيقه واستسعد
بطلعته المبشرة ببلوغ المرام. واجدد عهدا بحضرته المحفوظ بيمين الاجلال
والاعظام. وان لم يسهل الله ذلك فانا اذكره ما كان وعدني به من
رسائل اخوان الصفا. ومواعيده مقرونة بالانجاز والوفا. وقد شمت
سحابها اياما فاقشعت وان لم تكن جهاما. والان فلا انا استمر في كتما
ولا ابرم حضرته بالعتاب. بل اعيد السؤال فيما سبق به جميل وعده. ليجريني
فيه على كريم عهده. فان تفضل بانجاز فضل ظاهر. وشرف باهر. ووضع

الظ نسخ
كرف جديد في كرف عنقري

ولهم وكرم متظاهر، وان تعذر حاله فالعذر مقبول، وشكري لديه موصول
والله حسبنا ونعم الوكيل **رقعة الى من كان يؤهل للوزارة بالشام يعاتبه
وهو ابن القشوري** لا يحسن اطال الله بقا سيدي بالعاقل ان يطلب
غاية غيره له وقاعة نفسه عليه ممتنعة، او يستمد مودة سواه ومواد مودته منحسمة
منقطعة، فيكون كالمطفف الذي اذا اكتال على الناس استوفى متوفرا في التجارة
واذا كالهم او وزنهم اساء بالخسارة، وسيدي ادام الله عزه يطالبني دائما
بان اصفي له مشارع الود، ويعاتبني اذا انكشفت فترة من مراتب العقد، ويجب
ان نتفق في موالاة السرائر، ونخلص في مصافاة الضمائر، ثم اذا طولب
بهذه الشرائط اكبر وانكر، ونفر وتمرد، فاذا انا قسمتم في الحساب واخذ
بجانبه مذاهب التكبر والاعجاب، وكاتبته على ان لا ينصفني في المناجزة بحسم
ولا يامرني بالبر وينسى نفسه، وينصف كما يامر بالانصاف، ويسعف كما يامر
بالاسعاف، ولا يقطع لي في قيامه اذا دخلت عليه صدره، ولا يرفع عن
وقوف الغلمان حواليه قدره، ولا يستقل من العلوم ما يستقل ببعضه، ولا يجدد
عجائب اسود الناس الا لترفيع عرضه، ولا يستصغر من الادب ما لو شال من لفظه
منه كحته البلادة وتحضر، وان رد غيره عليه حرفته اللادة والضجر، ولا يصادق في
في سادر وقيامه، ولا يجاوز في اختصاصه واهتضامه، هذه سطوة سلطان
الى اجلاد الخول، وخدمة عزة النفس على ان يبيع الف الف صديق بفلس دا
لتشمخ لحية الوزارة، ان يرجم الناس بالحجارة، فلا يجمل كما يجب ان يجمل اهل
الادب ولا اجلال، ولا احسان كما يحسن الى اهل الفضل ولا اجمال، ولا
سماحة ينفل بها دون البحث والبحر، ولا طلاقة بها يحمل ابواب الصلف
والقوم، ولا ايلم يامن افعال السخف، ولا خلوص عند الشدائد يزول عنه
الحيف، فليعجب لي ان جلس من صدر الوزارة بين سورتين، وتولى من امرها
ما عجز عن بعضه ذو الرياستين، وتمكن من خدمة الحضرة تمكن البرامكة،
وتنزه عن الاوضار والاوزار تنزه الملائكة، والكتب من المطالب
والاموال ما لم يكتسب بعضه وزير، وتجدد من الامكان وعلو الكان ما عجز
الزمان عن مثله قصير، ومحا آثار الاولين والآخرين، وصار في ايامه
دهر العالمين، فيكون ماذا بعد هذا، وبحد بجلال، ودون ذا ينفق المحار، والله
ما ابالي من الغريب بالابابيل المحض، فكيف بالقشور، ولا من النجم يلوذ بالارض

قبل

36

فكيف باصحاب البيوت . ولا افكر فيمن لا يقدر على ان ينقص اجلي او يزيده . ولا يستطيع ان يوفر رزقي او يبيده . الناس كلهم عندي شرع سوا . وفي البشرية اكفا . لا افضل واحدا على الآخر الا بكرم وعقل . ولا استنقص الا اللوم وجهل . ولا اعظم شخص نقيصة دناة افعاله . ولا اصغر من تجلة محامد خصاله . ولا ارفع قدر من لا يرفع الى طرفا . ولا اخفض بجنبي من لا يجتبي عنها الفنا . الارض لولا العدد واحدة . والناس لولا الفعال امثال . اذا استغنيت عن غيري فانا اسلم في الانسانية . واذا قنعت بالكفاف من القوت فاغنى البرية . واذا لزمت منزلي فلو دعتزلي في مخالطة اولي التنازل . واذا انزويت بعضا بلى اقتبضت عن ذوي الرذايل . واذا خلوت بكتبي رايتني ملكا . واذا انشبها لم اخف هجوا ولا دركا . واذا ازديت بالتقوى فانا اكرم الناس نفسا . واذا انقطعت الى الله لم اخش في تجارتي بخسا ولا وكسا . غنى النفس لمن يعقل . خير من غنى المال . وفضل الناس في الانفس ليس الفضل في المال . ومن كانت هذه الحلة اعتقاده . وفي طلب رضى الله اجتهاده . وإلى الادب سكونه واستناده . وفي مصالح الدين طلبه وارتياده . وعلى الله سرا وجهرا اعتماده . وبالقناعة افتخاره واعتداده . فلم يلقي نفسه لمخلوق بالتملق والخضوع . ولم يرق ماء وجهه بالاستماحة والقنوع . ولم لا يصون العرض والدين واثقا . باحسان باريه وانعام خالقه . فليقف سيدي الشيخ ادام الله عزه على هذه الجملة . وليعرفني بهذه الخصلة . ولا يواخذني بما افضت عليه من سجال عتاب يغل الغرام . ويورث الاحقاد والسخايم . فاني ارجو ان يلين معطفه ولا يشتد . ويسكن غضبه ولا يحتد . ولا يضيق عليه نطاق احتماله . ولا يجري الا على المشكور من احواله ان شاء الله

في ذم اهل الزمان الى الشيخ لم هو المعروف بابن عبد الرزاق ويعرض بابي عبد الله الكاتب

ما اسرع يا سيدي اطال الله بقاءك . وجعلني من الاسوا فداك . وقوع النسيان في الانسان . وما اكثر تلون اخواننا في هذا الزمان . وما اعجب امر اصحابنا الذين نرى اول مودتهم وعزتهم تفرح الصدور خطرا ونفاسة . واخرها تنقض الطهارة قذرا ونجاسة . وظاهر محبتهم يصبي النواظر والخواطر .

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وباطنها يعمي الابصار والبصاير • بينا ترى الواحد منهم ذهوق صغار وذلة •
واعسار وقلة • وادبار وعطلة • واستتار وعزلة • قد الف الافلاس
مستترا بطمريه • وانبذ الناس ضاربا بابطيه • لا يملك عشاء ليلة • ولا
يرفع جبينه الا من ذيله • ولا يواريه شي من لباسه • ولا يؤويه الا بيت لو رفع
من راسه • ولا يواكله صاحب غير اضراسه • ولا يانس منه احد سوى وسواسه
ولا يحل ببلد الا يجدب مرعاه • ولا يلتقي باحد الا يفجع بشكواه • جوارشه
اذا اعتل كسر خبز • ومركبه اذا ركب جلد عنز • ووداعته شبكة صياد •
وعمامته عصابة فصاد • ومروحته منديله • ومطرحته سراويله • وحرفته خرقته
وسلعته صلعته • ونفقته عنفقته • وصناعته رقاعته • قد قلم الحرمان
بنانه فلا يكاد يدير قلما • وكلم الخذلان لسانه فلا يستطيع كلما • وضرب
النحوس خيمتها عليه وطنب • ونكبت السعادة عن طريقته وتجنبت
فقصاراه ان يؤذي الناس برقاع تطبع عن قراتها الطباع • ويخاطبهم
بالفاظ تتزحزح عن سماعها الاسماع • ويضرب عند المحاضرة امثالا ابرد من
طلعته • وينشد عند المشاعرة اشعار اكسد من سلعته • ويتوسل المذاكرة
باغتياب الافاضل عند الاراذل تزلفا وتكسبا • ويتطايب بالنوادر البارده
معهم توددا اليهم وتحببا • ويتخافت بالتذنيب الغائر لديهم والتثقل اذا
تجافت صار طاعنا مذنبا • وغاية ظرفه ان يجتدي عند سايرة الروساء
ثلب اهل الزمان • وقلة رغبتهم في الاحسان • ويرشق اعراض الكرام • بسهام
اللوم • ثم يعرض بعد انقضاض كلامه • والتناهي في انجاده وابرامه بالاستجدا
منهم عدولا عن المجاهرة بالسوال • وانفة من التصريح بذكر اختلال الحال •
وترفعا عن المسئلة والابتذال • ويزيد بتعريضه وبارد عبارته • ومكاسرته
وغث اشارته • ان الحيا الحيا • فلا يمكن ان يكشف سره • والاحتشام يمنعه
فلا يحسن بان يهتك ستره • والفاقة جار عليه فلا يجوز ان يشكو دهره
وهو قد احترق بحديثه فصارت نفسه لا معتادة ومعتدة • وحذق فيها
فلا ترى يده ممتدة • فلو نام لرأى الفتوح في منامه • ولو انتبه لعقد مقام السوال
اجل مكانه وتمامه • فهو في بني ساسان اصل عريق • وفي مشايخ الشالوخ حاذق
رفيق • وفي اصحاب الحواذي ملحي شحاذ • وفي حلبة الاستعطاء مبرز استاذ •
وفي حلقة الكلام ملحي افاذ • وفي بني الساسب لقدم صدق • وفي الدروكة

والدنا

والبر ذكره ملوحة رزق ، وعند الشكاية والحكاية حلاوة نطق ، قد جعل الناس
كلهم لمأكله وبخمة ، وعرف الرضيع فلا يرفع قصعة حتى يضع قصعة ، لو يناوي
عنده الله كعاب كعبا ، ولا يختار على الطرش والكدش كعبا . شعرا

يريك حبا وهو حية جرع ، ويبدي صفافا وهو في الزعقب

حتى اذا لحته الدنيا بمخ لحمها ، وتعتمد بدي نحمها ، ورضخت له من
خطامها رضخة تشبع ، وهب له من اتباعها ادنى درج ، وكاد جده ينتبه
من رقدته ، وهم الزمان بان يلين لعقب تعنيفه ، ويوفيه كيله بعد
تطفيفه ، ويعيد اليه ضالة رغيفه ، وابتدأت الايام تنعشه من
اضاقة وضيق ، وتنتاشه من فقر مريق ، وتخلصه من خشونة العيش وشظفه
وتمحصه من سوء الكيل وحشفه ، وتخرجه من ظلمة الادبار وضيقه ،
وتجرده من برقع استخفت الصبيان في ذيقه ، واحتت نفسه بسعادة
تسنح اعطافه ، وتمتن بيد صاحب اطرافه ، وتتم دواعيه ادنى اقبال وقبول
ورأى له من الفلك ادنى قبول ، واستدب لان ينشي كتابا ، او يستوفي
حسابا ، او يلتبس بيسير شغل ، او يتصرف في حقير عمل ، واضحى وبين
يديه نحل غاشية ، وخلفه ركب حاشية ، واحتجب عن العوام حتى يتقيد
بخدمته وزيادة ، وكما يخاطب بسيدي مرة وبالشيخ تارة ، واستبدل
بالقميص المرقوع الدراريع المطرزة ، وبالحصير المقطوع الصدور والمزودة
واستعاض عن المأكل الدنية غرائب الالوان ، ومن المشارب الدنية عرائس
الدنان ، واضحى في مسند دعة مالو انه ، رأى بحضرة لومه لتغرغرعا
فكنته علة الكبر كانه ما سمع باسم الفقر ، وشغلته نوادر الحطام التي حواها
واقتناها ، حتى طوى صحائف المصائب التي عاينها وعاناها ، واعجبته
هلجة بدلته ، والهته محاسن دولته ، فلم يذكر ايام رحلته ، وامتد اعطافه
وابطره حديث نعمته ، وقدم حاشيته ، حتى نسي اوقات ابتلائه وفاقته ، واد
دخيل ثروته واصل خصاصته ، حتى عرض عن اصدقائه وحاشيته ، فما
علت قدره حتى علا قدره ، ولم يتمكن منه دسته وصدره ، حتى انفسح
لجفاء قلبه وصدره ، فصار يسابق الفضلاء في القيام ، ويتبرم
برد جواب السلام ، ويتقزز من مخالطة العوام ، ويأنف من اشباع
الكلام ، كانه عصامي لا في مطايبتا ، وكوفي واقي شايبتا ، او مولى بيحز

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقضما ۔ واقرن بين القبضتين من الهليون ۔ واخلط بين الجبن
والزيتون ۔ وارتب كل لقمة ۔ واحل بالالاحظ كل ثمة ۔ واشتفي بحلوة
البقل ۔ وارق السنبوسجة في الخل ۔ ولا اقول بالطعام الغليظ الثقيل
ولا احرص الا على كل الحريسة والطفيشل ۔ وارك جايعا من يحبني
واشفي من اللئيم قلبي ۔ واصيب وقت تنشي الطعام ولسان الاكل
واشتهيه ۔ وقت ارى الضعيف فيه ۔ وهو يجد شعر انفه ۔ وينظر الي
بموخر طرفه ۔ فيتقع لونه ۔ ويتبرد وجهه ۔ ويزوي ما بين عينيه
وتقوم القيامة عليه ۔ ويكاد من غيظه تنفطر مرارته ۔ وتنفضح
ندالته وحقارته ۔ وكأنني وهو في الموت وجدا وكدا ۔ ويطرق
وهو في النزع دردا او حردا ۔ فكلما زاد حردا ازداد طربا ۔ وكلما ارى
في وجهه قطوبا ۔ اشوه من كلب خطوبا ۔ لا جرم اني اذا حضرت
بابه وجدته نايما ۔ الا اذا كنت صايما ۔ والفيته محتجبا الا اذا كنت
محتميا ۔ فمن يدعني اقرب باب داره ۔ فضلا عن ان اكون جواره ۔ ومن
يرغب في مواكلتي ومنادمتي ۔ ومن ينبسط لمواصلتي ومسافقتي
ومن يقربني واكلا دايما نقش خاتمي ۔ ومن يصحبني واشعب عبدي
وخادمي ۔ ومن تنظره هذه الخصلة ۔ وتعجبه هذه الجملة ۔ ومن يحا
على احضاري طعامه ۔ ولا يعض ابهامه ۔ ومن يسعى في هلاك نفسه
المسجون ۔ ويخاطر بدم خبزه المخزون ۔ ومن يصبر على هذه العظايم
ويحتمل اعباء هذه المقادم ۔ وهل يقدر الخفاش ان ينظر الى عين
الشمس ۔ او يستطيع الجعل ان يستنشق الورد والورس ۔ وهل يتوق
الدعوة من ترك بالرقي رايه ۔ واضل قصده وهديه ۔ وخلف
برقة ابعد رشده ۔ وغضب على الطعام الذي عنده ۔ لا ابتلانا
الله بمصاحبة اللئام ومعاشرة الانعام ۔ ولا اسلبنا حلاوة الانعام
ولا اذاقنا حرارة الاعدام ۔ هذه اداوة عزلت مزحة خفيفة على
الفواد ۔ ثقيلة على الاكباد ۔ يغوص على معناها العاقل ۔ ولا يفهم
فحواها الجاهل

شعر

ولولا ارتباكي في حبايلك محنتي ۔ لقلت وقربت العصا ايما قشر
ودكن لا ... ساكتا ۔ وتحت ظلوعي ما يزيد على الجمر

ولولا ان الزوج

الألوكة www.alukah.net

أراذل عبيده. أو ملك ينظر شزرًا إلى جنوده. لا تراه أبدًا إلا ثاني
عطفه. شامخًا بأنفه. مصعّرًا لخده. بالغًا في البطر أقصى حدّه.
ولا يراك إلا بطرف مجود. ولا ينشدك إلا ليس مدح الوفاء بالجود.
ولا يخاطبك إلا آنفًا من الخطاب. ولا يعاتبك إلا مستنكفًا من
من العتاب. ولا يلقاك إلا وهو متعجب من أن الزمان كيف تقاعد
يومًا بحالته مع كمال آلته. وكيف الدهر اجترأ على غض قناته. مع وفور
أداته. ويحدث نفسه بأن الدنيا أخس من أن يشاركه في تدبيرها
أحد. وأن العالم أقل من أن تملكه غير يده يد. فلا يرضى بأن يكون
قارون وكيله. والوليد من أكيله. وأنوشروان سميره. والبختكان
وزيره. والمريخ أحد حجابه. وعطارد بعض كتابه. وأزدشير حارس
بابه. والإسكندر سائس دوابه. وذو الأكتاف قائد كلابه. فأما
ملوك الإسلام فلا يرضاهم لخدمته. وكان دون الفلك يستقصر دعائم
همته. ومع هذا التيه والصلف. والدماغ المنتفخ. لو وازنته بالهباء
لم تر لوزنا. ولو خالطته لجربت منه قذرًا ونتنًا. ولو جالسته لأوسعته
سبًا ولعنًا. ولو فتشته لوجدت حشو ثيابه خربة. ولو تفحصت عنه
لما رأيت خلف عباداني قربة. ولو مس ثوبك ثيابه لتحرزت من ثيابك
بل لانسلخت من إهابك. ولو عاشرته لانكشف لك من مخازيه ما لم
يكن في حسابك. فتخاله الأغنام. بل الأنعام. ولا مرحبًا بهذه الطائفة
الزائفة. كأن الله لم يخلقهم إلا فتنة للعقول. ولم يرزقهم إلا حجة على ذوي العقول. وكأن
الدنيا ما أنشأتهم إلا ليظهر للرأي تسليط الخساس على الرؤساء. وكأن الأيام لم
تنتجهم من لقاحها إلا ليضعوا من الأصدقاء. وكأنهم حسبوا أن لا يعدّ من الظرفاء
إلا بعد الاعتداء على الضعفاء. وكأن الدهر لم يستخدمهم من بين الأجناس إلا
ليستخفوا بالناس. وكأنهم ما ظفروا بصنوف الباجات. إلا ليحرموا ذوي الحاجات.
وكأنهم لم يتقدموا على جمع الدراهم. إلا ليتركوا المكارم. وكأنهم لم يحظوا بمفاخر الملابس
ولم يتصدروا في المجالس. إلا ليكونوا محنة النفوس النفائس. وبلاء الحر البائس.
وكأنهم لم يتصرفوا في الأعمال. إلا ليكذبوا في الأقوال. وكأنهم لم يبلوا بعد العزل
إلا ليعزلوا أولي الفضل. وكأنهم لم يجدوا بعد العدم. إلا ليجحدوا على ذوي
الكرم. فأحسن المحنة إذ نزلت بفنائهم. وحدثت في فناء أبنائهم. وما أجمل

النعم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النعمة اذا حلت بفنائهم . وتجردت لانتياشهم وانتعاشهم . وما اقبح النعمة
اذا التفت لهم قميصها . واستقرت عندهم نواها . وما اعظم ايادي
الفلك عند الاحرار اذا ادار عليهم بالدمار والدبار . ورماهم بقوارع
النحس والادبار . وما اولانا بان نتضرع الى الله بان لا يؤمنهم من خوف
ولا يطعمهم من جوع . ولا يعلمهم من روع . ولا يجيرهم من هجوع . ولا يريهم لخرسانهم
صباحا . ويعد فنادقهم صلاحا . ولا يرزقهم الا بقدر ما يسد رمقا . ويسكن
قلقا . ويبل ريقا . ولا يوحش صديقا . وان تقصر خطاهم عن بلوغ مناهم
وتنفي آجالهم قبل ان يدركوا آمالهم . ولا يخليهم في الشتاء من رعدة
تخلع اكتافهم . وتقطع آنافهم . وفي الصيف تحرق ابشارهم . وتبيد اعمارهم .
وفي السفر من ركوب يخرجهم الى التعب بين الحجر والكثبان . وفي الحضر من تعثر
يلجئهم الى الاستكفاف في الشوارع والسكك . حتى ترى نهارهم بهيما . وريحهم
عقيما . وسقيمهم ذميما . ومكسبهم خاسرة . وجدودهم عاثرة . وخدودهم
ضارعة . وقلوبهم جازعة . واكبادهم جائعة . ومنازلهم نازلة . واحوالهم
حائلة . وسعودهم آفلة . وشموسهم كاسفة . ونفوسهم خائفة . ونحوسهم
مترادفة . وايامهم سود مكدرة . ووجوههم عليها غبرة ترهقها قترة . اولئك
هم الكفرة الفجرة . **في الشفاعة الى العميد ابي الحسين بن صالح ايام
وزارته** انا اتشفع الى الشيخ العميد ادام الله تمهيده بطاهر اصله . وظاهر
فضله . واسال الله ان يرحمني في هذه الرقعة الركيكة ساعة فراغه . ويتلمح برد
الفاظها ومعانيها خاطره . ويعذرها في المخاطبة التي تطيب النفس . والنوادر
التي تجلب الانس . خدمت هذه الدولة السعيدة . شيد الله اركانها .
وايد بنيانها . فكنت فيها من الصادقين . وتصرفت في مهماتها فاحرزت
قصب السابقين . وربيت فيما كان منوطا بي من لوازم ما يستضاف الى الادب
بنحو من نثاره . ويهتدى بمناره . وكانت البشارات في ايام خدمتي
متواترة متقاطرة . والمسرات متوالية ومتناصرة . والممالك مستقيمة ساكنة .
والمسالك منتظمة بالناس آمنة . وامير المؤمنين بعين الرضا الي ناظرا . والطرائق
حامدا وشاكرا . والشيخ عميد الدولة بما احكيه مشاهد . وعلى ما ادعيه شاهد .
فكنت اؤمل ان اجتني ثمار ما زرعته . وافترع ابكار ما اصلته وفرعته . وان
انال حظا وحظوة حسب ما اقتضاه تقادمي في الطاعة واعتقادي . واوجبه

جدي في حفظ نظام الخدمة واجتهادي ، فلم استمتع بالاجتماع فيضر كلب
من حسادي بتبايعي بيعة الوكزة الهوجاء ، لا بيعة العفة والتبرع ، فتحرشت
احاديث ملفقة ، واختلقت اساطير مخرقة ، ودعاها الحسد الى ايراد حكايات
بالحضرة تودي الى سعايات ، وتقديم وشايات تنبي عن حسد عظيم ذا رأيت ،
وكانت في اكباد اولئك العصابة من شاهد في حركات ، لم يطف لهيبها غير بعدي
وفي قلوبهم سكرات لم يشف كربها دون الانفراد بعدي ، وانا بسلامة صدري
غافل عما يعملون ، ساه عما يفعلون ، الى ان بلغوا فيها اوردوه ، وتم علي من جمعهم
ما اكادوه ، وقد علم الله ذلك بي علما انهم قد تابطوا في شرا ، واحتشدوا وذروا وحكوا
ما لم يحط به خبرا ، ونضبوا ما لم استطع معه صبرا ، فامكث من مكافاتهم قولا
وفعلا ، وترفعت عن مجازاتهم عتابا وعذلا ، وفوضت امرهم الى الله ليأخذهم
اخذ عزيز مقتدر ، وينتقم منهم انتقام جبار منتصر ، وحملت في نفسي الصغار فقت
الحضرة الجديدة يوما ما فحاسني حاضرة ، ومشاهدتي ناضرة ، واخباري شهيرة
واثاري مشكورة ، فاعترتهم شرور ورماهم ثنية وتيرة تدور ، وربأهم قربا
وبعدا تثور ، وعقاربهم تراد بحر تدب ، وسحايبهم برا وبحرا تصوب وتصب ،
واكبر اغراضهم بعد بعدي اسقاط رزقي الذي كان قديما لي في الراتب ، واضافة
جاهي الذي دفعه امير المؤمنين الى اعلى المراتب ، فانهيت حالي الى الموقف الشريف
وذكرت في رقعة كتبتها اغراض الطايفة التي تعاقدت على امري بالحضرة
اشهر من سنة البدر ، وعند الناس اوضح من وضح الفجر ، وخرج الامر العالي في
وصول رقعتي اليها الى الشيخ نجيب الدولة باطلاق جاري الذي كان برسم الراتب
قديما في ديوانه ، واجرا ذلك على العادة قديما وحديثا من انعام الموقف
واحسانه ، فقبلت الارض تقبيلا ، وعفرت وجهي في التراب طويلا ، وشكرت
الله ما يسره وسهل ، واجللت قدر النعمة بما تطول به علي وتفضل ،
وقلنا استرحنا من شقاء وذلة ، وخدمة زيد والركوب الى عمرو ،
وابتدأ الشيخ نجيب الدولة فتقدم عندما ذكره في اسباب التقدير ، ونضح لي
منه بالعسير بعد الكثير ، فانا اطلب منه القدر النزر الذي ينبذ خلة ، ويقع
غلة ، واجم نفسي من الاقتضاء ، وابيت على احر من الرمضاء ، واستنجح الالحاف
في الاستمداد ، وان كنت على احد من شوك القتاد ، واصون ماء وجهي عن ان
يريقه فرط التملق والتذلل ، واصبر على صواعق نفيمني محافظة على ابقاء التجمل ،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

39

الى ان افنيت مدة العمر وضاق رحب الصدر ولم يبق لي في الكتابة
نيل ولا في الخزانة فضل واعجلت العبرة من تذكرة رفعها الى الموقف الجليل
زاد الله في جلالته مشتملة على مال الديوان وما يلحقه فيه من الخسران
والنقصان وذكر الجهات التي لا يستحسن قطعها ولا يستجيز منعها ورأت
الحضرة الاقتصار على جملة علم عليها لو اشار اليها وكنت اثمن ونفسا رجاءه
مكتم السر رعاية لشروط المروة وتحاشيا عن مراجعتي بما لا يليق بالفتوة
ولو كشف لي او لاح من صورة الحال لكان الصدق انجز والمنع اوجز ولي في الديوان
جاري خمس سنين سوى بقايا بقيت من سنين متقدمة ووالله الذي لا
معبود سواه ولا ارجو رازقا الا اياه اني لو وطئت بلاد الروم وتوسلت الى ملكها لم
بالادب الذي لا تنفق منه بضاعتي ولا تخفى فيه صناعتي ثم وان خدمته
بحضرته قاعدا وعاشرت بطارقته واساقفته شهرا واحدا لما استحسنوا قطع رزقي
ولا اضاعة حقي ولا رضوا عنائي فيما بين ظهرانيهم وآمالي عاطلة واحوالي
من سنن النظام زائلة فكيف تستجيز هذه الحضرة المقدسة مع جلالة
قدرها وعظم امرها وهي حضرة الامامة ودار الخلافة التي يهاجر اليها من كل
شعب وواد ويتصرف في نعيمها كل حاضر وباد ويرجو بركاتها كل رائح وغاد
قطع رزقي وقد بذلت في خدمتها كنه الاستطاعة ولم يظهر مني بها غير
العبودية والطاعة وبيني وبين الشيخ عميد الدولة من العشرة السالفة و
الالفة والمودة التالدة والطارفة ما انه حافظ على بعضها اصدق المخايل في
كرم وحقق بما يظنونه خولا وخدما وانا اقسم عليه بحياة مولانا ذي الحياة
التي نفوسنا في استبقائها متفقة وايدي الخلائق بدوامها متعلقة وبنعمه عليه
التي لا يحمل عليه كفرانها ولا يسوغ لعاقل نسيانها ولا يجوز ان يضيعها
ولا يذيعها ويسترها ولا يظهرها ان يتلطف في انهاء صورة حالي
بالموقف الشريف مني ما وجد خلوة واستيضاحها ان راى بسماعها
شروع فان جرت قط مني زلة تقدح في الدولة او ظهرت مني خيانة
توجب قطع رزقي من بين الجملة فالسيف ولا الاعتذار والقتل ولا
الاستغفار وان صح بالحضرة ان طائفة من حساد السفل تحالفوا
على كذبه خرقوه وبهتان صنعوه تداركني بمراحمها قبل ان اذوب هزالا
وخصصني بمكارمها قبل ان افتضح افتقارا واختلالا اذ تحققت ان ليس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رتع ولا ضياع اعتزل عنهما · ولا شغل ولا اعتقاد ارجع اليهما · وملاك امري
وقوامه · ومساكه ونظامه · هذا الجاري فان بقي على شيء شئت على ملازمة
الحضرة والخدمة فذلك · وان عدت فذلك حظي وعذري · وما امله الله ان ارى
بها الحسن · واحوج الا الاعتذار من الاثم والظنان · وامين المؤمنين ملك حظي بعين
احسانه وانعامه · والشيخ عبد الله ولد متكفل بمصالحي في نظره وايامه · ومن
عند الله التوفيق والمعونة · وهو حسبي ونعم الوكيل · رسالة في هجو القواد
معروف بالقيادة على يد محمد بن عبد الرزاق في لا زال الغيب ولا من
الضياعة · ومعتمدي من بين الجماعة · ادام الله امتاعي ببقائه · وقربا علي
باحوانه · واكل انسي بتلاعبه وتنعمه · ووفر حظي من بضاعته وتكليفه ·
استاذ غير مدافع في اصلاح ذات البين · وحفظ نظام المتحابين · متقدم
بلا منازع في تقريب المتباعدين · والجمع بين المتضادين · حاذق في حسم
غائلة المتنازعين · وعقد السلم بين المتشاجرين · قدوة في صنعته · اوحد
في شرعته · دافع في صدر المخالف · فاتل في حبل الاجتماع والايتلاف · ذكي
القلب · قليل الحجب · حسن الاستعطاف · جيد الاوصاف · بليغ الرسالة ·
لطيف الاستمالة · يقود بعذب كلامه · ما لا يقوده الليل بظلامه · ويجر
بشوقه · ما لا يقدر عليه الشيطان بجنوده · وتدب لطائف مكائده في البناء
اسرع من دبيب الخمر · وتؤثر بدائع اوابده في الصبيان ابلغ من السحر · ويحل ختمه
في العقد · ما يحوي على عين الرشد · ويحل من ذوي الحاجات محل الروح من
الجسد · وكلامه من القدر المقدور · وخطابه احلى من العسل المشور ·
وحديثه الذ من الغناء المطرب · ومزاجه اعذب من الشراب الطيب · يطيعه
الامرد عينها يكون رأسا · ويسكن اليه العلق اصعب ما تراه شماسا · ويتقف
عليه الصبي اشد ما يكون جماحا · ويتبلد لديه الفتى اشد ما يكون نطاحا
حتى يعد بحسن تأثيره قلادته · ويتغلب بلطف تأثيره متاعه · ويمكن يد ماشة
خلقه من تقاده · ويقيد بسكونه ورفق على فساده · طرقني من رفاقه شخص قد
خضب الحياء وجنتيه · ومثل الظرف بجده بين يديه · ووقف ساعة يلتفت
كغزال افلت من شبكة صياد · وتلوى مستوفزا منثنيا كالغصن المياد · كانه
جاء من الرقيب على حذر · وزار من يخاف على غرر · الى ان سكنت روعته
وتكلف مشقته · وامنت روحه عقيب اظهار عطفه وشفقته · الى ان ذهب الدلال

يحركه

وبالي

شبكة الألوكة
alukah.net

وطاب ونام . وبات صريع راح . ووقع أرطال وأقداح . واستبحت حوزها
لم يكن بمستباح . وظفرت بالأماني كلها . ودخلت المدينة على حين غفلة
من أهلها فوجدت الحضرة محروسة . وفتحت قلة قلعة أعيت على
خطابها وملكتها بمهند . والعبث النائم كما قيل بكر عجانها ولما تفتق .
لا كما قال يزيد بن وهب الأنصاري . مثل الذي عجمها أمها
عذرا بكر ودي في التاريخ بل كما قال حبيب . بكر فما افترعتها كف حادثة .
ولا ترقت إليها همة النوب . لا كما قال سبعة الخطيب . مفتى طفيا برح الانسان لم
تحطم الراس من لحوم عقب . بل كما قال الحريري . ولي وما هو للرماح درية .
سنا وما هو في الكفاح طعين . لا كما قال ابن الخطيم . ملكت باكفي فانهرت فتقها
يرى قائم من دونها ما وراءها بل كما قال الهيثم بن الأسود . منيع الجوانب صعب المرام
وثيق العماد مصون الحرم . لا كما قال منصور بن إسماعيل الفقيه المصري .

ثلمت في جنح الظلام قميصه . فوجدت خلف قميصه مقدودا .

بل كما قال عمرو بن مسعدة الكاتب .

عذراء ما خلقت عذراء في الحشا . يوما ولا مس القراب حسامها .

لا كما قال أبو علي التنوخي القاضي .

فاتسع الناس في خلافهم . فصرت أهدي ثغور زمان .

بل كما قال المعوج الرقي

وشاهد صدق لم يدنس بريبة . ولا ظن بالفحشاء مذ كان أمردا .

لا كما قال غيره .

مضى يوسف عنا بتسعين درهما . وعاد وذلك المال في كف يوسف .
وبتنا نعتنا فلو أبصرتنا . لأراك الدهر منا عجبا .
وبتنا جميعا آمنين كأننا . من الضم مقراضان شدا إلى صدر .
وبتنا جميعا لو تراق زجاجة . من الراح فيما بيننا لم تسرب .
بتنا وأنفاس الوصال تضمنا . كضم الرياض نسيم أنفاس الصبا .
وبتنا من الدهر في غفلة . ضجيعين ليس لنا ثالث .
فليس يؤرقنا خائف . وليس يفرقنا حادث .
بتنا كسيفين في غمد وهاجتنا . ضم ورشف وتقبيل وتقليب .
وبتنا على رغم الحسود وبيننا . حديث كطيب المسك شيب به الخمر .

قربنا من الدهر في خفية * بغير رقيب ولا حافظ
فلسنا نبالي بوعظ النصو * ح ولا في حوائلك من واعظ

بتنا ونلنا المنى من غير فاحشة * فظن خيرا ولا تسال عن الخبر
بت ليلي بنشاط وطرب * نشرب القهوة من بين شنب
ليتنا دمنا على حالتنا * ومتى يسلم حر من نكب
انا في فرحة بين * من حبيب ووصال * بت ليلي لا ابالي * وحبيبي قد دنا لي
بتنا صريعين من كاس ومن قدح * حتى الصباح بلا خوف ولا فزع
بتنا وبات هجوم الناس نازعة * وقد قضينا لبانات واوطارا
بات يدنيني الى لثته * ويداوي من جراحي ما جرح
دارت الاقداح فيما بيننا * ثم غنى لي واكفاه القدح

ولو كان البدر دخيلنا لما قدر من فرط العناء ان يطلع * ولو بات النجم بيننا لما اطاق من شدة الضم ان يجمع * ولو وقع علينا الزيبق لما وجد مندرجا * ولو انعصر الهوا بما بيننا لما صادف مخرجا * فما راعنا الا الصباح وقد دب في جسم الظلام ودبّ والفجر وقد بدا كنفس العليل ومتوجع * والديك يستدر هجوع النيام * والشا وقد فاح نسيمها كنفحات الكرام * ورايت النديم كابيا على الكوب لا يفرق بين صباحه من عشائه * والمغني طافحا من الشروب لا يلحق ضربة بغنائه * وغرد المؤذن فلا يدري اقال حي على الراح * او حي على القدوح * وامر بالتكبير * او بالرطل الكبير * وغابت الثريا مشرفة على شرف الدار كانها رقيب * والقمر قرب من الغروب وقد خاف منه مغيب * فقمنا وما حسبنا ما بين العشاء والفجر الا لحظة باصر * ولا فرقنا بين المسا والصباح الا نفرة طائر *

كذلك ايام الوصال قصيرة * واقصر منها الصبر عند التفرق *
هل الى عيش تقضى * ابد الدهر سبيل *
لي على دهر التصابي * والهوى حزن طويل *
هل بعد هذا في التصابي مطمع * ام هل لايام مضت من مرجع *

الى بعض الامراء يجربه وهو ممرض

ايها الامير قل في التسليم على الناس بطرف الانف * وسقط الكف * قبضة ام سنة * ام تنحنح بالكلام ومننه * ام تخاف الموت * ان رضت الصوت * ام تخشى ان يراق دمك * ان انفتح فمك * ام تحسب ان لسانك يجنى ان كلمت

اما

أحد أخرقًا • أو ما تقودت لطافًا وإحسانًا • أو كنت تخشى إذا تقرحت فاك أن تبدد
أسنانك التي أرجو من الله أن يريها بالفؤاد ع • أم يفشو بحزنك للذي هو
أنأى من تيس العفراء • ليس من جبته بحجة الإسلام فقد أحييته • وأمن
ترفقه عن السلام فقد توجته • أنت أخشى من جبة الزرد • وأحرص منه من اليهود •
فلم تحتمل على حيونك الزائد • وتصبر على خطرات البارد • ولم تقبض الأيدي
على لحيتك التي كأنها النبات المجرود في الأرض الجرز • ولم ترغب في صحبتك
التي هي أسد أو من عوز • اقبل يا هذا قولي • وقدم لحيتك أبلها ببولي • ثم
أحلقها لك مجانًا في ساعة • وأشتهيها بحذق ولطف صناعة • فما رأيت لحية
أولى أن تحلق من لحيتك لقذارتها وقتارتها • ولا شاهدت منفقة أحرى
بأن تنتف من منفقتك لعدم نظافتها وقلة طهارتها • فإن نشطت للنتف
فالدبق حاضر واليد حاذقة • وإن رغبت في الحلق فالبول وافر والموسى مالقة
فاختر أيهما شئت والسلام •

عوز من سداد لامه

السعيد من سعد في أيامه • وحظي الرزق اصطناعه واستخدامه • والشقي
من فقد عنايته واهتمامه • وحرم جميل رعايته وجزيل إنعامه • فيا ليت شعري من أي
الفريقين أنا • أمن السعداء فأجر ذيلي فوق المجرة اشتهارًا وافتخارًا • وأحوز منكب
الجوزاء استظهارًا واقتدارًا • وأستخدم الإقبال لتزيين آثاري • وأتصرف على حكم إيثاري
وأهزم الحرمان فيدرك منه ثاري • وآمن كبوتي وعثاري • أم من الأشقياء •
فأتدرع لباس الياس • وأتلفع بالإفلاس • وأنقطع عن الناس • وألف رأسي حداد •
وأبكي على الذي ذهب جفاء • وأعمل بقول لبيد •

طيبا فالتأسي فإني • رابع العيس والدجى والبيد •

وأتسلى بقول ابن سعيد •

أرى ماء وبي عطش شديد • ولكن لا سبيل إلى الورود •

وأعيد قول محمد بن سعيد •

كم تقاضي ما بينكم وتبالي • كل يوم يبلى وحظي البليد •

وحاشى مولاي أن أشقى زمانًا من سعد الأشقياء • فيصابيب تدبيره وشريف
أخلاقه • وسلوا عن نكد العيش بإشفاقه • وشاهدوا لرحمة تزين المشاهد
وتنافي الزاهد • ونظروا الأوابد والسوابد • وتؤلف العقول الشوارد • ورأوا
سياسته مجد الملك صقالًا • وتزيده كل يوم استقامة واعتدالًا • وصدق عزمه

يقدح خاطر ذكي. وبحر روية يجيلها راي جلي. ووفور كفاية اكتسب الملك
بها اعجابا. ونظرا شافيا جعل الله بينه وبين الغير حجابا. وحاشا الوزير الاجل
ادام الله دولته وهو الاوحد ذكاء وفضلا. والسيد فرعا واصلا. ان لا يميزني
من الكافة بصحيح انتقاده. ولا يبرزني في حلوق اضداده. ولا ينجز ما علق
به رجاي من صادق ميعاده. ولا ينعشني من عثرة تركتني ضائعا ضارعا.
ولا ينتاشني من حفرة غادرتني حائرا خائرا. ولا ينقذني من عيش قد تهلهلت
ملابسه. ودثرت مغارسه. وانتقضت مناجسه. وتعطلت مجالسه. ولا
ولا يرتضيني لخدمة اجري في ميدانها فاتي بين كرما وعتقا. وبراعة وسبقا. وبلاغة
ونطقا. وصناعة وحذقا. لا سيما في هذا الوقت الذي القى الزمان اليه
مقاليده. وجعل الاحرار صنايعه وعبيده. وساعدته السعادة فمكنته من
نواصي مخالفيه. واقبل عليه الاقبال فابلا الاوامر ونواهيه. والذي بقي اكثر
من الذي لقي. والذي في ارق الغيب منتظر. اشهر مما فوق الاعلام منشور.
ولكنا ما زلت نقضي الايام فترة والناس في اضطراب الامور في عمى وحيرة
واعتزلت مؤثرا ان لا اخدم الا الطاهر النسب. الظاهر الادب. الخطير الحلية
من حيث العرب. ورضيت بالقناعة كما رضي غيري بالانمة. ونفضنا الكف
على غاية. حتى تفضل الله على الخلق فكشف تلك العماية. واظهر باهل الفضل العناية
ونسخ تلك الآية. ونسخ تلك الرواية. ثم ما ثنى ثانيا الا انجلت تلك الغوايل وتولت.
وتوالت هذه المسرات وكملت. واصبح مولاي الوزير الاجل ادام الله علوه متصدرا
بالكفاية والكرم متطولا بلا استطالة. متفضلا بلا اطالة. متنزها عن كلالة. وانا
الى اليوم اذهب مع الظن الجميل. واتقلب بالامل العليل. وامني نفسي بما في
ادراجه تكون النفس بها مبتهجة. واعدها بوعده افرح ان تحمل بها سفتجة.
والله يعلم اني لا ادري ما الغاية الى هذا الوقت حتى ان بضاعتي كل يوم يزداد
كسادها. ويتحقق بكبوة جوادها. وبصلد زنادها. وما وجه الغاية وذكائي يخدم العقل
وطبعي يطبع ولا يصقل. وما الفائدة لفضيلة لا يلوح للابصار نورها. ولا تطلع
على الاعصار بدورها. والى متى صبري على عيش مر قد استمرت الايام على كلفه
وضناه. فلا يتعقبه اختياره واصطناعه. وتردد صديق في ضنك
وضيق. وقد جد الزمان في بحث اثليه واهتضامه. ولا يهتز لاختياره واستخدامه
ودوامه الى لا عجب من ارباب محلت في تحصيلها الثناء. وكانت سبب الحرمان.

ومعلوم

وعلوم جبت في تحصيلها الافاق ، وغيبتني في النسيان ، ومن تجارة طلبت
الربح منها فادتني الى الخسران ، ومن صناعة اردت العز بها فقادتني الى
الهوان والامتهان ، ويتولى الوزير ادام الله ايامه يعلم ان من عادتي ا
اعف اذ الحف في السوال ، واكف اذا زوحمت النوال ، ولا اشكو فحال
وفي الشكوى مفزع ، ولا اعتب المقال وفي السكوت مقنع ، وقد ولى صفر
ومنزلي صفر ، ووجوه مالي صفر ، واقبل الربيع وربعي قفر ، واعرى ما
اعاينه واعانيه ، والاقتار قد اخنى واجحى ، والاعسار قد اخرسني
وابكمني ، هذا مع ما يشهد لي ادام الله سعادته ، وقبل شهادته ، اني احد
الناس قديما وحديثا في محبته تهالكا وتحرقا ، واشدهم بعروته تمسكا
وتعلقا ، وابعدهم في موالاته غلوا وتوغلا ، واكثرهم بحمده تشرفا وتجملا
واشهرهم بزمانه افتخارا واعتدادا ، واعظمهم بمكانه اعتضادا واستعدادا ،
واسبقهم لاثاره ما اثره نشرا واذاعة ، وامتثالا لاوامره سمعا وطاعة ، فكاني
به وهو يقول ، لا مرحبا بالعبدي فلقد قال فاطال ، وتكلم فابرم ، وهذى
فاذى ، وهدر فاضجر ، فالى متى يغيثنا ببارد كلامه ، ويوذينا باضغاث
احلامه ، ويحدث باشغال المحال ، ويتشبث بحبال الخيال ، ويتوسل
باداب اسملت برودها ، وانحلت عقودها ، ويتوصل باسباب
افلت سعودها ، واضمحلت جنودها ، وهو يعلم انه لابد للمصدور
من نفثة ، والمظلوم من غوثة ، ولست والله انسى ما له عندي سالفا
وآنفا ، وتالدا وطارفا ، من منن اتقلدها ، ولا اجحدها ، ونعم انشرها
ولا استرها ، وغرايب لا ينهض باهل الارض باعبائها ، ولا يستطيع احد
ان يجازيه على جزء من اجزائها ، وبدايع احسان ان غطيتها دلت عليها ظهور
حقايقها ، وان اخفيتها ابا عنها زرور بشارتها ، واقل اليوم ان اصادف
مكانتي عنده كما عهدتها قديما معمورة لا تخالطها كدورة ، ووجه ودي مشكور
لا تتغير صورة ، وانا انال من وابل سحابه قطرة ، ومن شامل ايجابه نظرة
وان تتفق لي سعادة في ايامه الناظرة السعيدة ، وتحت ظلاله الظليلة
المديدة ، اجد بها من صروف الدهر سلوة ونجاة ، لا ابيع بها بضاعة مزجاة
واري لبضاعتي سوقا ، ولسلعتي نفاقا ، ولاعدائي نفوقا ، ان شاء الله

ذرور

الى مجد الدولة في باب الاقتضاء والاذكار والمعاتبة بمصر

وله الى ابي الفرج احمد بن محمد القسوري بدمشق
وكتبت ادام الله بقاء الشيخ وادام الله ايامه . واسبغ عليه انعامه . مبكرا
على ان اقصد حضرته فاتشرف بها . واستوفي اقسام السعادة بقربها
فوجدت الهوى ابرد من مزاح الثقيل . وطلعة البخيل . ورايت
السما قد ندفت على الارض من سبائخ الثلج ما سد في الطرق
بل الافق . وضربت في الشوارع من الضريب مضارب . وعبت
في كل صقع من الصقيع مواكب . فترجلت عن غارب الركوب
ومشيت مشية المرعوب . وقرت عيني من الثلج فلم تبصر
سماء ولا ارضا . وصارت من القر يدي كيد الجواد لا تطيق على المال
قبضا . فلم ازل استقبل عواصف الزمهرير . واطا ارضا كالقوارير
وانعزب بين الازقة والحال في الاوحال . واتوقل في تلال من الثلج
كالاوعال . واهتز مثل السعفة خضرا . وانادوه من البرد الذي لم
يبق لي سمعا ولا ابصرا . وازلق بالطين يمينا وشمالا . واميل مع الريح
جنوبا وشمالا . واغوص الى حلقي في الثلوج . وارتعش ارتعاش
المفلوج . وانعكس في العثور من قدمي الى انفي . واتبع والصبيان
يتصايحون خلفي . الى ان صدني عن وجهتي التعب والعيا . وردني
نزلي بين الخجل والحيا . واستدركت الراي فانحرفت الى الدار التي انا
ساكن فيها كمن فر من دش الى سيل منصب وعلى ملابس من قر ومدارع
من ريح صر . وقعدت في بعض زواياها كالقنفذ ازوي صبره
وانطوى كره . وانبت في الحال لما قاسيته في طريقي من الامر الفاضح
والخطب الفادح . وعاينته من البرد الكالح والقر القاشع الى ان تمنيت
لعيني سخنة . ولعقلي حرقة . وذممت ام الزمان اذ نحاني من البيت
واخرجني . والجاني الى الاقتنا في مثل هذا اليوم واحوجني .
ولعنت وقتا بليت فيه بمباشرة الطبول . وملازمة الطلول .
ومجالسة الوعول . وممارسة الوحول . ولوى الى مرزوق من كل شي
بدمشق حتى من المنازل المعمورة . والمساكن المشهورة . والقصر المشيد
والصرح الممرد . فلا ادري كيف ابتلاني الله بهذا المنزل الذي يشاهده
مولاي الشيخ ادام الله سعادته . فان ما بان سقفه واوضحه الاشبر . ولا

[illegible]

الاذكار اطال الله بقاء الشيخ عماد الدولة بابا الى الانجاح ، والاقتصار دليل
على قلة الرغبة بحكم القضاء ، ومعاينة الزمان مخيف ، وترك الحركة في طلب
الرزق جبن وضعف ، والاستغناء عن الناس عز ، والشكوى الى من لا يعينك
عجز ، والمنع الوجيز خير من المطل الطويل ، واليأس المريح خير من الوعد العليل
والانتظار الموت الاحمر ، ومسئلة الناس العذاب الاكبر ، والتمني شجرة ثمرها
في ، ونبتها بطي ، وطعمها بشع ، وعيش واستنشاده جرع وغصص ، وما احسن
الصبر اذا آذنت نفسه بنجاح ، وما اقبح الحرص ولو دلت صفقته على ارباح ،
وما اضيع الصنيعة اذا اسديت الى غير احرار يجهلون مقدارها ، ويجحدون بدايع
الشكر عنها وابكارها ، وان صناعة تكون وبالا على صاحب الصناعة سوء ، وان
بضاعة تزداد كل يوم كسادا البضاعة شر ، وان عناية تحتاج الى ان تصطاد بالاشرا
ك والارهاق ، وتنقاد بحبل الارفاق ، وتجلب بالوسايل والوصايل ، وتطلب
بالسؤال المتواصل لعناية لا تثمر غير العنا ، ولا تظهر غير الشقا ، والرغبة عنها
غير الرغبة فيها ، والاستغنا عنها افضل من الاستغنا بها ، واهنى المعروف
ما قرن بتعجيل ، وانغص البر ما وصل بتطويل ، واحلى النعم ما لم تكدرها
المنن ، ولم تتكلف المؤن ، والى الله الرغبة في تسهيل ما تعسر من الاحوال ، وتعجيل
ما تأخر من الآمال ، والتوفيق لشكر النعم ليلا ونهارا ، والتحدث بها اعلانا واسرارا
ان ذلك بيده ، ومرجو من عنده ، ثم ما اشبهني ادام الله عز الشيخ عماد
الدولة معكم الا برجل سمين كان بالعراق فسقط من جدار عال فانفصلت
مفاصله ، وتكسرت اعاليه واسافله ، واحضر المجبر ليجبر عظامه ، ورد جسمه الى نظامه
فامس المجبر منه طرفا الا راه منقصفا ، ولا لمس منه عرقا الا وجده
فتقا ، فقال لاهله هذا المسكين لا مطمع في حياته ، ولا سبيل الى مداواته ،
وتضيع التعب في امره ، ولا يجي منه شي وان بالغت في جبره ، فضحك
العليل والمجبر يجسه ، ومن الشدايد ما يضحك ، وقال ان رجلا مثلي
بهذا الطول والطائل ، والقامة كالدقل ، لا يجي منه طفل صغير لحقيق بان
لا يجبر من سقطته ، ولا ينتعش من ورطته ، وانا اقول ان مثلي رجل من
كتب الاداب ملكها ، وشاهد العجايب وادركها ، ودرس العلوم فحاز من فنونها
واستولى على فضايلها بالباع الاطول ، وخدم الملوك
وكان من ثقاتهم ، وعاشر اهل الفضل على اختلاف طبقاتهم ، وتقلب في البلاد

وتغرب

وترتب • وتهذب في الأسفار وتدرب • لا يحتاج لجده الحرفة بجليلة
في خدمته اليه • ولا يعول على شيء من تهاتها عليه • ويجد زمان يبكي على عثرة
ويعطش بين الحوض وعقره • وان لا يتناول ورزن • ولا ينفع لشكايته
اذن • ولا يسأل عنه حضر أم غاب • ولا يبالي بأخطأ أم أصاب • ولا
يعد في الناس تقدم أم قام • وسهر أم نام • ولقد رأيت الناس في أيامي
والواحد منهم يكسب بقليل الأدب كثير النشب • ويبلغ باليسير من
العلوم مطلع النجوم • فدرج أولئك الكرام • وانقضت تلك الأحكام
وبطلت تلك الأحلام • ومضى ذلك الزمان • وتقلبت الأعيان •
وبقينا في أعقاب أولئك الأفاضل نتمنى الموت طلبا للراحة • وهربا
من الحاجة والاستماحة • ومتا سانا احوال ان كشفنا عن حجبها لزم غير
الفضائح • وشمت بنا الكاشح • وعذل الناصح • وان كتمناها اختنقنا غصص كامنة
وقتلتنا ادواء باطنة • ولست ادري يشهد الله ما ذنبي عند الناس سوى انني
موسوم بالأدب الذي لا ينفع كثيره وقليله • ولا يرضى جاهله ولا تحصيله •
ومشهور بكتابة انا ابرأ الى الله منها براءة يوسف من الذئب • والمسيح من
الصليب • في غرائب النحو واللغة • ونظائر بلاغتي التي لا تنفعني الى البلغة •
وما الحاجة الى صناعة لا أخلو فيها من حرفة وإدبار • وبضاعة لا تنفق
حبة بالف مسمار • وكم اعترف بالعجز ولا ينفعني الاعتراف • وكم اتظلم ولا
يدركني الانصاف • وكم اتغافل ولا احظى بحظ الجهال • وكم اتعاقل ولا ارزق
رزق الأغفال • وكم ازيد على الأذهان • وكم اتقدم على قادة الجمعان • وكم
أحسد ولا أحسد • وكم أحظى بالوحدة والقصد • وما ذلك على الله بعزيز ان
يجعل لنا فرجة • ولا يجعل ما اتم به علينا حجة • ويكفينا مؤن حسادنا بتنغيص
معايشهم • واظهار فواحشهم • وتمزيق قطعهم • وتسليط الكساد على سلعهم •
بجوده ومجده • أردت أن أذكر الشيخ أدام الله معالي • واحمده على حمل متاعب
آمالي • والحمد لله شدة تطلعي لها وعدني بالوزير الأجل أدام الله جلالته من
نظرة تربي لي بعرفها ومنفعتها • ويجعل سود ايامي بيضا • وترفع بعض
مقتنا القدر الغالب • وتفري ذي المواضي القواضب • واصطناع
يجدد ويدل على علو همته • واقبال يحرم بكبت حاسديه ويرغم • فقا
البديهة • وجادت القريحة • وضل القلم من جادته • وجرى النفس على عادة

وخط الخاطر زاهيا وما اعهد به ساهيا حتى عدلت من الفرض لما في
القلب من المضض ونسيت قصد الطريق لما اقاسيه من القصور
والضيق وهو ادام الله عزه بان الاجماع كان واقعا بين كافة اهل
الفضل بان الوزير الاجل ادام الله دولته لا يضيع ايام نظره الاول بالتطول
في امري والتنويه بذكري والتقرب في تقريبي واختصاصي لما تحققه
من صدق ولائي واخلاصي والتوصل الى ايثاري لما عرفه من حميد
آثاري وكنت اظن والظن يخطي ويصيب ان لا يتعذر علي جميع ما
اقترحه من كرمه من جلائل الاعمال ولو كان بين يديها رمل الاحقاف
وسورة الاعراف وقد مضت على ميعاده شهور ثلاثة وتقدمتها
سنون كما يجب ثلاثة وانا بعد جملة تفصيلها ضر يشغل القلب
الفارغ وينغص العيش السائغ ويفني التليد والطارف ويجعل
الاكياس فوارغ لنفائف وفي اذكاري ما تقدم من الجنون وطليعته
وشرعة الوسواس وذريعته ولو كانت بحمد الله في الدنيا مادة من جهة
لتبلغت بالندة وتحملت العوارض التي لا بد منها عدة واسكت غير
مستبطي ما وعدته من اسعاف يرم ما رثته الايام وانصاف يعيد
ما اختل منها واخل الى النظام ولكن المواد منقطعة والارفاد مرتفعة
والوقت صعب والمرتقى جدب والفطام شديد والمشتهى بعيد
والاشغال متزاحمة والمؤن لا بد منها لازمة آزمة فهل بعد سند
الوزارة لنجم مقعد او بعد بلوغ السماء لمرتقى متصعد وبعيد ما
يقعد بين المتوسمين من ينتقد الرجال ادام الله فضله كانتقاده ويعهد
العدل كاعتماده ويجتهد في ابتناء المكارم كاجتهاده والثقة بعد
صنع الله الجميل وفضله الاول بتفضل الشيخ عماد الدولة ادام الله نظام
سعادته في انها صورة حالي الى تلك الحضرة الجليلة تنوب عني من بعض
النحوس واعسار وتخدم من يجد بها السعادة واليسار ويجربه اهتمام
في باب ينبه على ابواب التعذر ويوثر في عمارة حالي ابلغ التاثير
عالما بان شكري اسير في الآفاق من الامثال وانتهى الى النفوس من ايام
الاقبال رقعة الى صديق له يخبره بالطوق جاريه ويعرفه صورة
الحال وهو معتقل من جهة البغدادي ما انتهى الشيخ ادام الله عزه ما يجدد

ل

لي من جميل راي الوزير الاجل ادام الله ايامه وتوفر علي من جزيل انعامه • وبليغ عاطفته واعتنايه • واياديه السالفة عندي وان كانت كلا ابيضًا لم تدنسها الكدورة ولم تخسها الغير فان هذه الصنيعة لجديدة صارخة في وجوه انعامه الغرة • وفي عقود افضاله درة • تلزمني ادنى نعمة من نعمه انفاق باقي باقي العمر على طاعته • وبلوغ اقصى الغاية في خدمته ومشايعته • وانا واصل رغبتي الى الله في اطالة مدته • وتسهيل مصاعب الامور لرايه ورايته • واجرا الامور كلها على حسب ارادته ومحبته • بفضله ورحمته • وقد تفضل الآن لا زال متفضلا • وللاحرار معقلا وموئلا • بعرض رقعتي بالحضرة والتلطف في خروج الامر العالي باطلاق جاري الذي كان منذ سنين معتقلا محبوسا • واقامته عقيب ما كان مركوسا منكوسا • وترقيتي الى اوفر الحظ من انعامه بعد ما كان منحوسا • واحيا املي في كرمه عقيب ما كان باسباب النوايب مضروسا • وامر بالتوقيع باعادته من غير ان اتعب في السعي قدمي • واحث في استعادته قلمي • واحب ان يتطول الشيخ ادام الله عزه عند وصول التوقيع اليه باحضار صاحبه فلان وموافقته على تعجيل المال • ومنعه من المراوغة والمطال ان شاء الله

الى الوزير شفيق الدين يهنيه فيها بانتقاله الى الدار الكبار المنسوبة الى ابن المرحوم المشيد

انا اطال الله بقا الوزير الاجل استصغر ان يكون مسكنه من الارض القصر ذا الشرفات من سنداد • بل ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد واستحقر ان ارى موطنه صرح سليمان عم • او شعب بوان • او منتزهات طبرستان • او مداين كسرى انوشروان • واستقل بستانه ان يكون غوطة دمشق بصنوف اشجارها • او ابلة البصرة بجميع انهارها • او سعد سمرقند بغرايب فواكهها وثمارها • او نوبهار بلخ ببدايع ازهارها وانوارها • لان المنازل الوسيعة لو كانت تسكن باستيجاب واستحقاق • والمراتب الرفيعة لو كانت بجلالة النفس ومكارم الاخلاق • لكان الوزير الاجل ادام الله دولته يستحق ان يتخذ منازل القمر مجالسه ومنازله • ويرفع عنها مجالسه ومنازله • بل يستوجب ان يكون على بحر المجرة موضعه وفوق محل الشمس مصيفه ومربعه • واستسهل الا يطا بقدمه

القلب • ولتجدد من بين يديه السبقة الشهب • الفضايل عنده مجتمعة •
تفضل عنها فوارط الآمال وزوايدها • وعقايل لديه مستبدعة تكل دونها
مساعي الظنون وموارد ها • واعراق له في الرياسة ومجد له اصيلة لم
تشن بلوم واقتراف • واخلاق له في السياسة والكياسة جليلة لم تشب
المبين منها عن كره وعفاف • وعزايم كالصوارم بل احد مضا ونفاذا •
وصرايم صلبة المحاجم تركت مجاجم الحساد اجدادا • فلتهنه هذه المناقب
التي اسبغ الله عليه ظلالها وجلالها • وهذه المراتب التي عيا لاقترانها
واتصالها • وهذه المعالي التي قصرت دونها مراقي الهمم العالية • وهذه
المعاني التي تشرفت بها تواريخ الامم الماضية • وليتهنه بما خصه الله به من
اقبال لو نقل منه على الملح الاجاج لصار عذبا • ولو اناخ منه بالمناخ
الجدب لعاد خصيبا • ولو ركب دهم الخيل لتحركت شهبا • ولو مس صم الصفا
لانبت عشبا • ولو استوقف الشمس لما دانت لها ابدا غروبا • ولو امر
الدهر بجعل مكروهه محبوبا • ولو فرق جزا منه على العالم لاصبح المحدود
فيه مجدودا • ولو قسم بعضه على جميع الخلق لاصبحت نحوسهم سعودا •
لا زالت السعادة منطقية بعقوته • والبركات بادكة بندوته • والاقدار
تابعة لاغراضه • والمسار رافعة في رباعه • والاحكام منقادة لحكمه
والايام ممتثلة لرسمه • ودعايم الدين محروسة بنظره • ومعالم الاسوة
بجميل سعيه • واطال الله له في العز لبثه لو قلاه مخادع الايام • وتدبه
لنقضه وابرامه شرايع الاسلام • ويكتب به صدر الوزارة بجلاله •
ويكتسي دست الرياسة باقباله • انه سميع مجيب • ولان كانت الثقة
بالله صادقة • والسنة البشاير ناطقة • بان الوزير الاجل اعاد الله حاله
حيث ما حل وآل • وانما اناخ وخيم • فالاقبال متقبل لمقدمه •
والسعد مساعد لخدمه • والتوفيق رفيق اختياره وايثاره • واليمن
واليسر عن يمينه ويساره • والجد السعيد جاد في تجديد محال له
سامية تدع مناكب النجوم دونها • وتشييد منازل عالية تتمنى الشمس
ان تكونها • فان هذا المنزل الذي نزله الآن مستوطنا منه اسعد الحظ
وللمواطن • مستقرا اسعد المنازل والمساكن • مؤذنا له بانتقال صروف
الدهر عن عواصمه • مبشرا بسلامته من نكايد الزمان وخلاصه • وولايات

تولى

توالي عدة سعودها، وينجز لها من الايام موعودها، وترادفت
تزاحم عليه مواكبها وجنودها، وتدوم بحضرته اقامتها وخلودها،
الى ان تبلغ من المعالي حيث لا مطرح فيها للافكار، ولا مسرح وراءها
للابصار، والله ولي تحقيق ظنون عبيده، في ادامة عزه
وتأبيده، وتخييب آمال عدوه فيه وحسوده، بكرمه وجوده،
ولما عزمت ادام الله تمكين الوزير الاجل الجواهر التي تعدها
النثار في هذا اليوم السعيد، والمحل الحميد، فدامه من هو في
طاعته مخلص، ويجد منه متخصص، وبحبال ولائه متمسك،
وبالاتصال باوليائه متبرك، وقفت تحت ظلال التهيب
انثر جواهر نظمها القريحة، وضمها الفكرة الفصيحة، عالما بان
جواهر الفكر اعظم من جواهر البحر قدرا وسناء، ودرر الصحف اظهر
من درر الصدف نقاء واصفاء، ومحاسن الرسائل والخطب
التي من معادن الفضة والذهب غلاء وعلاء، وابتهل الى الله
في ادامة هذه الايام المشرقة، وابقاء هذه الدولة المشفقة،
وارغب اليه جل اسمه في ان يجري طالع هذا التحويل سعيدا، و
طائره حميدا، وبناء عزه مشيدا، ولباس انسه جديدا، وان
يجعل هذه الدار مثل دار القرار عموم امن، وشمول يمن، وارتفاع
منار، واتساع بسطة ووقار واقتدار، ويزين بجمال الزمان
ونور بقائه المكان، ويجدد له فيها عزا وشرفا لترى رؤوس
اعدائه ومعانديه فوق جدرانها شرفا، ويعينني على خدمته التي
بالاعتزاء اليها البس لباس اعتزاز وافتخار، وبالتحلي بها اعلو
كاهل ثروة واستظهار، ويرزقني في ايامه حظا انتعش به من
وهدة العدم، والحق بذوي الخصائص من الخدم، بلطفه وعطفه

الى صديق يتضمن شكره عن الشيخ صفي الدين وعن حسن
نزوله ديوان الخاص بما جرى من جار بيتي

انا اذا كتبت الى صديق ادام الله عز الشيخ رفعتي صدرتها اولا بمحامد
مولاي الوزير الاجل دام الله ايامه وختمتها بشكر فضائله
التي نادت في البعد والقرب، ومناقبه التي سارت في الشرق

والغريب • ومحامده التي اخذت بمجامع القلب • ومآثره التي
فاحت كالمندل الرطب • وافاداته التي اذعن لها كل فاضل •
واستكثر منها كل حال وعاطل • علما بانها اذا نعتت غرر اوصافه
وانطوت على شرح رياسته ورياسة اسلافه • سلمت من العلل • وخلت
من الخطا والخطل • وتشرفت بها كف الناشر • وازدهت بها لسان القاري
والذاكر • واعرق بصدقها كل جاحد • ورغب في معروفها كل زاهد • أعرق
وادام الله ايامه في عز يدوم جاله • وجلال يتجدد اقباله • وسعادة
يتزايد اشراقها • ودولة يدوم انتظامها واتساقها • بجوده ومجده
ولست انسى الا وعنده حقيقة ما اسداه الى الوزير الاجل
ادام الله تاييده • آنفا من الجميل الذي اعجز اللسان ذكره • وضمنه و
اختشى في الافاق نشره وعرفه • واستعطف قلوب الاحرار اليه
بعد ما كانت جامحة • واستوثق به نفوس اولي الاقدار وكانت
سابحة طامحة • وهذه المكرمة الواحدة وان كانت جزءا من مكارمه
التي لا تعد • وبعضا من عقائله التي لا تحد • فانها دلت على انه
وضع لها موضع النقب هناءه • واوقع مكان الداء دواءه • واحسن
الى من يحتبه الشكر والثناء بيام • ويخطب بذكره والخلق قيام •
وكنت ادام الله عز الشيخ لما حضرت مجلسه وامر باطلاق الجاري عازما
على ان اتلطف في استقراض مال شهرين من الديوان تلويحا • اذ كان
محيا بمعنى المشافهة به تصريحا • فكلما هممت بان اطلق بذكر الحاجة
لساني • ثنت الحشمة عناني • وكلما شجعني على السؤال صورة الحال •
قد عقني عنه كثرة الهيبة والاجلال • فقمت ومضيت ولم استطع
مضيا • ولت نفسي اذ سخت باتلاد بلدة وغنيا • وهذه جملة سخت
تفصيلها ما اوثره من تفضل الشيخ ادام الله فضله بالتقدم الى
الجهبذ بتعجيل حمل مال هذا الشهر الواحد لا تترك بعود مجاري طال
جوده • وجف من عدم الماء ورقه وعوده • او مطالعة الوزير الاجل
ادام الله ليترى فيها التمسته راي حضرته العالي ان شاء الله رقعة الى
الشيخ ابي محمد بن عبد الله بن احمد بن الخشاب رحمه الله انا ادام الله بقا الشيخ
عاد الله ولست ممن يترك الصفو ويشرب الكدر • ويضيع لحرمة وسبب

الحرمة

النَّدَر • ويُزْرِي بالضمير وقد طوى عشرًا • ويرضى بالحقير وقد شقي
دَهْرًا • ويجهل قدر النعم سرًا وجهرًا • ويغفل عن شكر المنعم نطقًا
ونثرًا • ولكني أوفي المودة حقها • وأنزل عن دار الهوان بمعزل •
وأعاتب الشيخ أدام الله عزه على ما يتكدر لي من صفائه • ويتغير
لي أحيانًا من جميل وفائه • وأطالبه بما يوجبه من احتفائه واتفاقا
وأغار على المودة إذ لم يخصني من بين جميع أصدقائه بفضل إيجاب
ورعاية • وآنف لرؤية إذ لم يؤثرني من بينهم بمزيد إيثاره وعنايته • وأحثه
على اختصاصي بتفضل حفوه وبحلوته • ونغضب بجديد وعلى أثره
خصوصًا وقد جمعتنا أسباب الغربة التي هي عند الكرام كالأرحام •
ونظمتنا النوب بخدمته على سالف الأيام • وتأكدت بيننا معارف
هي عند أهل الفضل ذمة تقتضي أن تصان ولا تبتذل • ويلزم أن
تنصر ولا تخذل صانه الله عن مكايد أعدائه • وأمده بالنصر في
جميع مقاصده وأنجائه بجوده ومجده • ثم كنت جاريت الشيخ
عماد الدولة أدام الله عزه حديث رقعة خدمت بها حضرة مولاي
الوزير الأجل أدام الله علاه أطلعه لها وشرحت له ما ضمنتها من صورة حالي التي هو
بها عارف • وعلى جملتها واقف • وما كنت ظننتها بما يرى له أن تستنبطها النفوس
في أي حيلة • وذكرت بوسائل أن لم تشفعني فأشفع لأحد وسيلة • وتلطفت
حسبما أتفق في سمع ألفاظه وتناهي في استعطافه • والتوصل إلى استرضائه
والتعوذ بكرمه من سوء رأيه • واجتهدت فيما أمكنني في إزالة وحشة
إن تقدمت • والدلالة على ثقة بتفضله تأكدت أيضا واستحكمت •
وذكرت لحضوري في شريف مجلسه عقيب ما أوصلتها إليه بيومين مستخبرًا
عن حالها لأعلم هل أسفر صباح النجاح • أم تحيفت حائلة بعد طمعي في
اللقاح • كأن البشر المبتسم زائد • والقبول للإقبال قائد • وعرفته أدام الله
سعادته أنه لم يستغرق الكتاب بكليل حضرته حتى شاهدت منه طلاقة أطلقت
في منتبذ الوصال • وتهللا دنا بنا الحلال • ونقشا مقدر كرم ذكيته • وهمة
في المعالي ممكنة • ولحظة دالة على افتتاح مغالق الرجاء • ومخالفتي في باقي
مذهب الأرجاء • ولحظة تستعطفني على مفاتحته بالكلام • وتبسطني بعد
الانقباض والاحتشام • غير أني كلما هممت بالخطاب • أرهقتني عجلة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بان
يضيق

الرباب • وكلما عزمت على شرح حالي ثناني هيبة الاعظام والاجلال •
حتى كاد ريقي يجف بعد الابتلاع • ومكاني يضيق بعد الاتساع • وانا
متحير في التقدم والتاخر • والسكوت ام التكلم • الى ان حانت منه التفاتة
دلته على ان لساني الذي كان اطول من الرمح بقي اقصر من ابهام الحبارى •
وبياني الذي كان اوضح من الصبح صار ابهم من بيان السكارى • فتفضل
ادام الله فضله في الزيادة في تقريبي وايناسي • وتطول لازال
متطولا بازالة نفاري وشماسي • ووعدني بمواعيد الامل ان الله
لا يخيب فيها الامل • ولا يحبط العمل • ولا يغلق دون نجحها ابوابا •
ولا يجعل بينها وبيني الا نجاز حجابا • بلطفه وعطفه • والشيخ عماد الدولة
ادام الله سعادته يعلم ان بهذه الحضرة في اولاد الخبث من حسادي
كثيرة • وان لي في قلوبهم من مقامي بين ظهرانيهم حسرة كبيرة • هذا ولا
ذنب لي عندهم سوى اني اعلم وهم جهال • واهتدي وهم بغال • واسمع وهم
طلول • وابصر وهم طبول • واتقد وهم انعام • واميز وهم اصنام •
فكلما لاقوني تنفسوا الصعداء كمدا • وكلما سمعوا بخبري ذابوا النفس حسدا •
وكلما راوا قربي من حضرة الوزير الاجل نصبوا المكايد • وطلبوا الاوابد •
وخلقوا الاساطير • ولفقوا الاكاذيب • وتحالفوا على افساد حالي بالقول
المحال • ودسوا ما يلي غرضهم • واتفق شملهم على الارجاف بالباطل والضلال
فلعنهم الله لعنة ترمي معاطسهم بالجنادل • وتنادي بمخازيهم بالمحافل •
وكفانا شرهم الذي لا يكاد يخمد شراره • ولا ادري تبرد ناره واواره • وسلبهم
النعمة التي نقلتهم من الوهد الى الكنف • وزهد اولي الفضل في استطالة
لؤمهم وكرمهم • والذي ارغب فيه الى تطول الشيخ عماد الدولة ادام الله عزه
الا يعتدي بانها صورتي الى الحضرة مولاي الوزير الاجل وتقرير امري
لديه وقت خلوته بعد ان يكشف عن مكنون قلبه • ويعرف مكنون عيبه
ويعرف السبب الذي افسد حالي عنده حتى صرت الف الوصل بعدما
كنت لام الفصل • ونون الجمع في الاضافة بعدما كنت لام التعريف • ويتبع
ما اعلمته وشرحته له بثناء جميل يجيده ويزيده • ويشكر يبديه
ويعيده • ودعاء يمليه من صحائف خاطره • ومدح طويل يصل اوله
باخره • ثم يجد لترقيع ما فتقته يد الايام من احوالي • والتوسل الى استعارة

جاه

جاوز وقت من اربعة احوال • ولا رضي الا بازالة الوحشة الاجنبية • ولا
من ان يذهب في امري مذهب الواقفية • ولا استنجاز لما سبق
صادق وعده • واجرى على ما لم ازل اعهده من كرم عهده • عسى ان
تذكره الرقعة فيعيدني بما اضمنتني به ايادي الاعادي • ويجيبني في باب
مكرمة تهدم المباني وهي باقية مشيدة • وتبلى الايام والليالي وهي
نامية جديدة • ونكتب بما تعلق في هذا الامر شكرا ابرع بذكره دون
المنابر • وتوزع بشائره كتائب المناخر والمفاخر • ان شاء الله تعالى

الى اصحاب الدواوين شكاية ومعاتبة وارعاد ومعاقبة وهو نصيب بن بشر بن هولة وال المخلص

الشيخ اطال الله بقاء سيدي ولا هذا هذا الاخذ • والاخلاف • ولا
هذا الوسواس • والحرمان • ولا هذا الامتهان • والمنة • ولا هذه
الذلة • والحاجة • ولا هذه الضراعة • والفقر • ولا هذا القبض •
وخرط القتاد • ولا بعض هذا الكساد • واستخفاف الزمان بالادب • ولا
ارضى بهذه الحالة • ولا استنكاف من الابواب • ولا معاملة هؤلاء
الكتاب • وبكم الموت اطيب من هذه الحياة • والفناء احسن من معاناة
هذه الاعنات • والاعتزال في قلل الجبال • احسن من هذا الاحتمال
والاعتكاف في زوايا المساجد • انفع من انتظار هذه الفوائد •
فحصلنا بعد هذا الافتضاء • على مقاسات البلاء • والشقاء • و
اغتربنا بعد الاستعداء • والاستعفاء • الى احاديث بوار وترهات
ابن البناء • وابتلينا بالخلو عن عرض وانفاق عرض عمر • وانفاذ حديث
خرافة بالوعود • وبالرد على صحيفة الماء • والتعلق بالهباء في الهواء •
وبمواعيد بلاد دينار واحد • وبالضرب من وصول المال من عند ابن ابي
الحديد في حديد بارد • وبالتعلل بالاماني الغفل العطل • وبالقناعة
بالف رطل من العطل • وامتحنا يشهد الله تعالى بمشتري يسخر من بائع •
ومتخم يعفو على جائع • وراكب يتهكم براجل حاف • وغالب يستخف بقوم
ضعاف • وسكران يضحك من صاح غافل • وناقص يولع بحر فاضل •
ولو اني استغنيت عن العقل فهداني الى الصبر • واستغنيت عن الكرم فنهاني
عن ارتكاب الشر • لتركت العتاب • ولكشفت الحجاب • ولرميت دمية فاضل •